

# أرض زيكولا

رواية

عمرو عبد الحמיד



نشر وبيع بمطبعة

منتدى سور الأزبكية

---

WWW.BOOKS4ALL.NET

الكتاب: أرض زيكولا / عمرو عبد الحميد

المؤلف: عمرو عبد الحميد ، عمرو

النوع: القصص العربية

تصميم الغلاف: محمد المحيط

إخراج داخلي: بثينة عزام

الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١

عدد الصفحات: ١١٠ صفحة

المقاس: ٢٠×١٤

تعمد:

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عهود مصطفى عهود

كورنيش المعادي، بومار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ) برج  
(٢) الدور العاشر،

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦) (٢٢)

البريد الإلكتروني: darsarh@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.dar-sarh.com

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٨٣٤

التسجيل الدولي: 978-977-6382-39-8

نوي ٨٠٣

حقوق النشر محفوظة للنشر

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بنية وسيلة  
إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

# أرض زيكولا

رواية

تأليف

عمرو عبد الحميد



فكر يصنع حضارة

الإهداء

إلى

أسرقي الطيبة، وأمي ميرفت شلبي

إلى

أعضاء فريقَي العزيز (نت أمان دقهلية) ومُشرفيه، ذلك الفريق الذي

طالما عشت معه لحظات نجاح

إلى

صديقي العزيزين الدسوقي عبد الحميد، ومحمود عز الدين



يقولون: الحب أعمى.. وهو يقول: «أصابني العمى حين أحببت».. ولكن ماذا يفعل؟.. ها هو قد أحب وحدث ما حدث.. وها هو يجلس كل يوم في حجرته ليكتب مجددًا..

«أنا خالد حسني.. ثمانية وعشرون عامًا.. خريج كلية تجارة القاهرة منذ ستة أعوام.. بلدي يُسمى «الياهو فريك» تابع لمحافظة الدقهلية.. واليوم قد رُفض زواجي بحبيبتى للمرة الثامنة.. ولنفس السبب..»

ثم نظر إلى الحائط.. وقد قام بتعليق الورقة بجوار سبع ورقات أخرى، يبدو أنها عُلفت في أوقات سابقة..

الورقة الأولى مكتوب بها اسمه، ومنه، وبلده، وبها: «رُفض زواجي بحبيبتى اليوم»، وجوارها ورقة ثانية، وبها: «رُفضت للمرة الثانية»، والورقة الثالثة بها رفضه للمرة الثالثة.. وهكذا حتى الورقة السابعة..

بعدها أسند ظهره إلى الخلف ونظر إلى أعلى، وعادت به ذكرياته إلى ما قبل ستة أعوام مضت حين كان يدرس بالسنة الأخيرة بالجامعة.. وشاءت الأقدار أن يتعرف على «منى» ابنة بلدته صدفة في طريقهما من البلدة إلى جامعته بالقاهرة.. وزادت فرحته حين علم أنها تدرس بنفس الكلية في عامها الأول بالجامعة.. ومن يومها وقد تعددت صدف لغائهما كثيرًا سواء بقصد أو دون قصد..

حتى أفاق من ذكرياته، وزفر زفرة قوية حين نظر إلى ورقة كبيرة علقها على الحائط أسفل الشاي ورفات، وقد كتب عليها: «رفضت نفس البب».. البب.. والد «منى» المجنون..



كان «خالد» إن سمع كلمة مجنون فدائمًا يتذكر والد «منى».. ولا اعتقد أنه «خالد» فقط، بل جميع أهل البلدة.. ولكن «خالد» أكثر من عرف ذلك المجنون.. فمئذ أن أنهى دراسته، وعزم على أن يتقدم للزواج من «منى» حتى فوجئ بأبيها - في أول زيارة لخطبتها - ينظر إليه بغرابة:

- أنت عاوز تتجوز «منى»؟!



خالد: - أيوه

- والد «منى» وقد ارتفع حاجباه: وأنت عملت أیه فی حیاتک؟!!

ازداد وجه خالد احمراراً، واضطرب قلباً.. وكان السؤال صاعقة

لم يتوقعها.. حتى رد:

- عملت أیه فی حیاتى؟! الحقيقة أنا مش فاهم قصد حضرتك

بالسؤال.. بس أنا خريج كلية تجارة جامعة القاهرة.. وحضرتك عارف

إن والدائى توفاهم الله، وعایش مع جدی من صغری.. ومعنى من

الجيش.. وحالياً بدور على وظيفة مناسبة..

رد الرجل:

- وتفرق أیه عن غیرک عشان أجوزک بتی؟!؟!.. ثم انتهى المقابلة

بالرفض..



اعتقد خالد وقتها أن سبب رفضه للمرة الأولى أنه لم يجد الوظيفة

المناسبة.. ولكنه تأكد أن السبب ربما يكون غير ذلك تماماً، حين وجد

عملاً وتوجه لخطبة «منى» مجدداً.. حتى قبل بالرفض للمرة الثانية

ونفس سؤال الأب: «ماذا فعلت في حياتك؟!». وبم يختلف عن

غيرك.. هذا السؤال الذي لم يجد إجابة وافية لأبيها حتى المرة الثامنة  
لطلبه الزواج، ولم يراع في كل مرة حب خالد لابنته أو حب ابنته له..  
حتى فاضر بخالد الكيل في تلك المرة فصاح به:

- أنا معملش حاجة في حياتي.. أعمل أيه يعني؟!.. عارف إنك  
كنت بطل في حرب ٧٣.. شايف إن ده سب بخليك تذئنا؟!.. يعني  
أنت عاوز بطل لبنتك.. قولي أبقي بطل ازاي.. أروح أحارب في العراق  
عشان تبيض؟!.. ثم نظر إليه وقد ظهر الغضب في عينه:  
- هاتجوز «منى» يعني هاتجوزها.. غصب عنك هاتجوزها..



البلدة كلها تعرف أن هذا الرجل غريب الأطوار.. يريد أن يزوج  
ابنته الوحيدة لشخص فريد من نوعه.. أي فريد هذا؟!.. لا أحد  
يعلم.. الكل يعلم أن مصير ابنته العنوسة لا غير.. طالما أبوها ذلك  
الرجل.. ومع هذا لم يطرق الاستسلام قلب «خالد» أبداً، ولم يعد بياله  
سوى ذلك الشيء الذي يجعله فريداً من نوعه.. يجعله يستحق «منى» كما  
يريد أبوها.. ولكن ما هذا الشيء.. هل يرق أحد البنوك ويصبح من

الأثرىاء؟.. هل يبيحث عن كنز ما؟.. لا يعلم.. فلم يجد سوى أن يتوجه  
بالدعاء إلى الله أن يأخذ أباها..

رغم أن «خالد» كان يتسم بخفة الظل.. وروحه المبهجة دائماً، إلا  
أن حبه له «منى» ورفض أبيها الدائم له جعل الحزن وشاحاً دائماً على  
وجهه.. حتى لاحظ جده -والذي كان يقترب من عامه الثمانين وكان  
يعيش معاً منذ وفاة والدي «خالد»- حزنه الشديد بعد رفضه تلك المرة،  
وقد اقترب منه وسأله:

- أنت لسه زعلان؟.. أنت المفروض خلاص اتعودت..

رد «خالد» في حزن:- أنا بحبها ومش متخيل أني أشوفها لحد  
غيري.. ومش عارف أبوها عاوز أيه!.. مش عارف إن زمن المعجزات  
انتهى..

رد جده:- وأنت متفعد جنبي كده، حاطط إيدك على خدك؟؟

«خالد»:- طب هعمل أيه؟..

ضحك الجد وحاول أن يداعبه كي يخفف عنه حزنه:

- لا.. أنت أحسنك تدفن نفسك في سرداب..

لمعت عينا «خالد».. وكأنه تذكر شيئاً ما:

- سرداب.. السرداب..

ثم أكمل:

- جدي.. أنت فاكِر لما كنت صغير، وكنت لما أعيط تحكي لي عن قصة السرداب الموجود تحت بلدنا.. وإنك نزلته من أكثر من خمسين سنة.

رد الجَد مبتسماً: - أيوه، طبعا فاكِر، لما كنت بتعيط.. تحب أفكر بك بأيامك..

ضحك «خاله»: - لا.. عايزك تحكي لي عن السرداب.. ونزولكم له.. ابتسم الجد وصمت كأنه يتذكر:

- ياه.. دي أيام فاتت من زمان.. مش فاكِر منها إلا القليل.. كنا أربع تُبان بنحب الشقاوة والمغامرة.. وسمعتنا كلام كتير يقول إن فيه كنز موجود في سرداب بيعدي تحت بلدنا.. وإن السرداب ده كان زمان مخزن كبير للأغنياء وقت أي غزو..

- الكل كان عارف إن السرداب ده موجود فعلاً.. بس محدش جَرَب ينزله؛ لأن معروف إنه مسكون عفاريت، وأي حد هينزله مش

هيخرج منه، بس احنا رمينا الكلام ده ورا ضهرنا.. وقلنا لازم ننزله..  
يمكن نلاقي الكنز ده، ونخرج البلد من حالة الفقر اللي كانت فيها..  
قاطعه «خالد» وقد ظهر استماعة على وجهه:- كمل..

- كنا عارقين إن باب السرداب موجود في بيت مهجور في البلد..  
بيت محاط بسور كبير.. وإن هناك صخرة كبيرة موجودة على الباب ده..  
وفي ليلة توكلنا على الله.. ورحنا لليست ده في السر، وقدرنا نحرك  
الصخرة وبدأنا ننزل واحد ورا التاني.. ومع كل واحد فينا لجة جاز..  
وبعد ما نزلنا سلم طويل ولقينا نفسنا في نفق متساوي.. ومشينا كام  
خطوة في النفق ده لحد ما لقينا نفسنا مش قادرين ناخذ نفوسنا.. وفجأة  
انطفت لمبات الجاز كلها في وقت واحد.. وصرخ واحد فينا.. عفريت  
طفي لتي.. وبعدها كل واحد فينا خد ديله في سانه.. ورجعنا جري  
على برة.. وركبنا بنخبط في بعضها.. ومن وقتها ومحدث فكر إنه ينزل  
تاني..

ضحك «خالد»:- .. بس هفضل ذكرى حلوة.. وإنكم قدرتموا  
تغلبوا على خوفكم.. حتى لو أخذتموا ديلكم في ستانكم.. ثم ضحك  
جده مداعباً له:- متقولش لحد حكاية ديلنا دي..

بعدها عاد «خالد» إلى حجرته.. وقد حاول أن ينام، ولكن هبّات أن يغمض له جفن.. يفكر كثيرًا فيها أخبره به جده.. هو يعلم أن ما سمعه يبدو أسطورة.. ولكن السرداب موجود بالفعل، وجده لا يكذب قط.. ثم نظر إلى الورقة المكتوب بها سبب رفض والد «منى».. إنه يريد شخصًا فريدًا.. شخص يُرضي جنونه.. يحدث نفسه.. إنه لن يتزوج غير «منى»، وإلا فلن يتزوج.. ثم تحدّث إلى نفسه مجددًا بصوت عالٍ:

فيها أیه لو نزلت السرداب.. افرض كان فيه كنز موجود فعلاً.. ثم صمت وتحدّث لنفسه وكان شخصًا آخر يحدثه.. كنز أیه.. ده كلام عجائز.. ومتشائش إن السرداب ده مسكون عفاريت، وأشباح.. وأنا أكثر واحد عارفك.. أنت في بعض الأوقات بتخاف من خيالك.. ثم عاد مجددًا:

لو كنت جبان يبقى متتحقش «منى».. أنت عاجباك حياتك كده.. خريج كلية تجارة وشغلك ملوش أى صلة بالتجارة.. درست أربع سنين عشان تخرج تشتغل في مخزن أدوية.. ولولا إنك ساكن لوحدك مع جدك كان زمان مرتبك خلصان في نص الشهر..

ثم أكمل:

لو كنت بتحب «منى» فعلاً.. مت شجاع عشان حبها.. أثبت  
لنفسك ولها أنك بتحبها فعلاً.. ولو لقيت الكتر ده هتكون أشهر واحد  
في البلد دي.. لا في مصر.. لا في العلم كله.. حتى لو ملقتوش، كفاية  
إنك تحاول في سبيل حبك..

ثم انتفض من على سرير.. وأخرج صورة لـ «منى».. ونظر إليها  
وكانه يحدثها:

أنا هنزل السر داب ده.. هنزل معها حصل.. وإن كان أبوكي  
مجنون.. فأنا أوقات كتيرة بكون الجنون نفسه..



كان «خالد» يظن أنه يتحدث إلى نفسه وحيداً.. ولكنه لم يكن يعلم أن هناك من يسمع حديثه إلى نفسه بصوت عالٍ خارج الحجرة.. حيث كان يقف جده مجاوراً لباب الحجرة، ويستمع إلى ذلك الحديث وصباحه إلى صورة «منى».. ورغم هذا لم تبدُ على وجه جده أي نوع من أنواع الدهشة، وكأن ما سمعه - من حديثه عن نزوله المرداب - أمر لا يمثل له أي اختلاف، بل يبدو وكأنه أمر يتوقع حدوثه.. وظل واقفاً هكذا حتى صمت «خالد»، وأغلقت أنوار حجرته، وساد الهدوء المكان، ولم يقطع هذا الهدوء إلا ذلك الصوت المميز الذي يعلمه جده جيداً حين ينام «خالد»..



بعدها غادر هو الآخر مُنكناً على عصاه إلى حجرته حيث جلس صامتاً على أريكته بعضاً من الوقت لم يتجاوز دقائق، وكأنه يفكر فيما سمعه من حديث «خالد» إلى نفسه، ثم حرك عصاه ليجذب بها صندوقاً خشبياً صغيراً يبدو عتيقاً، حتى فتحه فأخرج منه (البوم) قديماً



للمصور، غُطى بالكثير من الأتربة.. وبعدما أزاح الأتربة عنه بدأ يقلب في صفحاته صفحة تلو الأخرى، ويشاهد ما بها من صور.. حتى توقف كثيراً عند إحدى الصور..



في اليوم التالي استيقظ كل من «خالد» وجده مبكراً كما تعودا دائماً.. فد «خالد» لديه عمله المبكر، وجده لا ينام بعد صلاة الفجر، ويظل يقرأ في كتاب الله حتى ينهض «خالد» فيتناول إفطارهما معاً.. والذي تُعدّه لهما فتاة تكن بجوارهما قد اعتادت على ذلك منذ سنوات.. حتى جلس «خالد» وكان ينظر إلى جده بين الحين والآخر وكأنه يريد أن يخبره بشيء.. حتى قطع صمته وسأل جده:

- عبده (كما كان يحب أن يناديه).. أنت تقدر تعيش لوحدهك؟

نظر جده إليه.. وأظهر أنه لا يفقه سؤاله:

- أنت عاوز تسافر ولا آيه؟!

صمت «خالد».. ثم نظر إليه مجدداً:

- لو سافرت لفترة قليلة.. تقدر تعيش لوحدهك؟ ثم أكمل وكأنه

يوضح كلامه:

- أنا عارف إن كلامي صدمة لك.. بس أنا فررت إني أسبب  
البلد لفترة.. واقسم لك إني مرجع في أسرع وقت.. ومش هتحمس  
بغياي أبدا.. ثم حاول أن يجد مبرراً لحدثه:

- أنا هافر أي مكان الأقمي فيه نفسي.. أحس فيه بوجودي.. أنت  
عارف ابن ابنك خريج كلية التجارة يشتغل أيه؟  
رد جده:- آه.. شغال في مخزن أدوية..

رد «خالد» وأظهر حزنه:- ابن ابنك شغال شبال في مخزن أدوية..  
شبال.. هات الكرتونة دي، خطها هنا.. خذ الكرتونة دي وديها هناك  
ثم هم بالوقوف ليغادر.. وقال لجده:

- هافر فترة مش طويلة.. ثم التفت خارجاً، حتى أوقفه كلمات  
جده:

- أنت ليه بتكذب يا «خالد»؟!.. أنت ليه مش عاوز تعرفني إنك عاوز  
تنزل الرداب؟!

كانت تلك الكلمات كالصاعقة التي وُجّهت إلى «خالد».. فقد  
اختلف رغبته في السفر لفترة كي لا يعلم جده بذلك، ويظن أنه أصيب  
بالجنون.. ولا يعلم كيف عرف جده ببيئته.. حتى نظر إليه:

- سرداب؟.. أنت عرفت منين؟؟!!.. أقصد سرداب أيه.. وكلام  
فاضي أيه..

أكمل جده:

- عرفت من زمان.. من زمان جدًا.. ثم أمره بالجلوس مجددًا.. وسأله  
في جدّة:

- أنت عاوز تنزل السرداب ليه؟

صمت «خالد».. ثم تحدث وحاول أن يجعل الحديث مزحة:

- أنت ليه مصمم على حكاية السرداب دي.. أنا بقولك أنا هسافر..

أعاد جده نفس سؤاله:- «خالد».. أنت عاوز تنزل السرداب ليه؟

لم يجد «خالد» مفرًا من الحديث سوى أن يخبره بالحقيقة.. فقال  
بعد أن زغر زغيرًا طويلاً:

- عاوز أنزل عشان أثبت لـ«منى» وأبوها إني بطل.. إني مختلف عن  
غيري..

فسأله جده:- بس!

أجاب «خالد» في تعجب من سؤاله:

- أيوه بس.. ثم أكمل:

- ومين عارف، يمكن ألاقى الكتر اللي نزلتوا له قبل كدة..

كرر جده: - بس!...

«خالد»: - أبوه

تحدث جده في جدية: - أنت مش عاوز تنزل عشان كده.. نظر إليه

«خالد».. ولاحظ الجدبة التي لم يرها على وجه جده من قبل.. حتى

أكمل جده:

- افرض إن «منى» اتجوزت حد تاني، هتنزل المرداب ولا لا؟

صمت «خالد» مفكرًا لبعض الوقت.. وقد أكمل جده مجددًا:

- عمري ما هصدق إنك عاوز تنزل عشان «منى».. أنت عاوز

تنزل لسبب ثاني تمامًا.. سبب نزولي ونزول غيري.. السبب اللي بييجري

في دمنا.. دمي، ودمك، ودم أبوك.. السبب هو حينا للمجهول.. حينا

للمرء.. حينا لاكتشاف حاجة جديدة.. حينا للاختلاف..

- أردف:

- لما كنت صغير كنت بحكيك عن المرداب وأنت بتعيط..

ويمكن كنت تبص لها إنها مجرد حكاية عشان اسكتك بيها، ومتعرفش

إني كنت بنتي فيك السب ده.. وصدقني كنت عارف إن هيجي يوم

وتكبر وأحكى لك من تانى عن السرداب.. بمجرد حكاية صغيرة عنه  
وهنتفض من جواك..

- ثم تابع حديثه:

- مانت ياما رفضك أبو «منى».. وكنت عارف سبب رفضه..  
إشمنى المرة دي اللي حيت تعمل بطل.. لحد ما جه اليوم ده امبارح،  
وحصل لك نفس اللي حصل لأبوك يوم ما حكيت له عن السرداب..  
بس الفرق إنني عرفت إنك عاوز تنزله، أما هو راح فجأة..  
- «خالد» في دهشة كبيرة:

- أبويا نزل السرداب؟!!

رد جده:- مش أبوك لوحده.. أبوك وأخذ أمك معاه.. كانوا  
فاكرين إنهم هيروحوا رحلة صغيرة ويرجعوا.. عشان كدة سابوك  
وأنت ابن سنتين.. وقالوا راجعين بعد أيام.. لكن الأيام بقت شهور،  
والشهور بقت سنين، والسنين قاتت ومرجعوش.. والبلد كلها عرفت  
إنهم ماتوا في حادثة.. والكل شكر ربنا إنك مكتشش معاهم ونجيت من  
الحادثة دي.. ولكن الحقيقة إنهم نزلوا السرداب..

ثم تنهد وأكمل:- عمري ما أثبتهم على كدة.. بقول لنفسي ماأنت  
 كمان نزلت السرداب، وكنت فخور بنفسك.. بس الفرق إن ربنا  
 نجّاك، ثم نظر إلى «خالد»:- وعشان كده عمري ما هزعل إنك كمان  
 تنزل السرداب.. حتى لو كنت عارف إن قرارك ده ممكن يبعدك عني..  
 بس لازم تكون متأكد إنك نازل من جواك أنت.. مش نازل لسبب  
 وهمي خاططه لنفسك هو «منى».. ثم همّ بالوقوف.. ومشى بضع  
 خطوات معطيًا «خالد» ظهره:

- ساعة ماتقرر قوتي.. لأن لسة كلام كبير عن سرداب (فوريك)  
 حد غيري علوز يقوله لك..



بعدها غادر «خالد»، ولم يتجه إلى عمله كما كان يذهب كل يوم،  
 بل توجه لمقابلة «منى» بعدما هاتفته وطلبت مقابلته بأحد الأماكن  
 داخل جامعة المنصورة.. حيث كانا يلتقيان هناك دائمًا.. وفي طريقه إلى  
 هناك لم يشغل باله سوى حديث جده إليه.. وهل يرغب في نزول  
 السرداب حُبًّا لـ «منى»، أم أن حُبَّ المغامرة هو ما يدفعه لذلك.. ثم  
 تذكر حديث جده عن والدته اللذّين لا يعلم عن هيشتهما أي شيء..

فقد وجد نفسه منذ طفولته مع جده، ولم يرَ صورة واحدة لأبيه أو أمه.. لم يساعده على تخيلهما إلا كلمات بعض أقاربه.. أنه طويل مثل أبيه، فقد كان -تقريبًا- في مثل طول أبيه الذي يبلغ أكثر من مائة وثمانين من السنتيمترات -كما كانوا يقولون له- وكفيه المريضين والبيئة القوية.. هذه أشياء يقولون إنه شابه أباه فيها.. أما أقارب أمه فطالبوا أخبروه أن شعره الأسود الداكن، وابتسامته الدائمة يظللان شبيهًا دائمًا بينه وبين أمه.. وضحكك حين تذكر تلك الجملة التي كان ينفجّل منها حين كان صغيرًا.. جميل شبه أمه..



بعدها عاد بتفكيره إلى ذلك الرجل الذي أخبره جده أن لديه كلامًا كثيرًا عن السرداب.. وعن ذلك الاسم الذي سمعه لأول مرة.. سرداب (فوريك).. وظل تفكيره منشغلًا هكذا، حتى وصل إلى ذلك المكان الذي كان يقصده لملاقاة «منى»..



وجد «خالد» «منى» في انتظاره بحجابها المميز وألوانها المتعددة،  
وعباؤها السمراء التي كان يداعبها دائماً ويخبرها أنه يتشائم حين تقابله  
بتلك العباءة.. فنظر إليها بابتسامة:

- إزيك يا موني.. (كما كان يحب أن يناديها)..

لم نبسم «منى» كماداتها.. ولكنها نظرت إليه في حزن:

- أنا متأسفة إن بابا عمل معاك كده للمرة الثامنة..

ضحك «خالد»:

- «لا.. أنا خلاص اتعودت.. أنا بقيت مفضوح في البلد أساساً..

الناس بقى بتقول عليا إني ضربت الرقم القياسي في رفض جوازك بيا  
وإني المفروض أدخل موسوعة جينيس..» قال تلك الكلمات كي  
يخرجها من حالة الحزن التي وجدها بها ولكن دون فائدة..

أكملت «منى»: - أنا كنت مفكرة زيك إن بابا عاوز حد مختلف..

بس للأسف بابا اتغير فجأة..

اندهش «خالد»: - يعني أيه اتغير؟؟

أكملت «منى»: - فيه دكتور اتقدم لبابا عشان يتجوزني.. وطبعاً

أنا كنت متأكدة إن بابا هيرفض.. بس فوجئت إنه وافق..



«خالد» وقد صاح بها:

- أيه.. وافق؟؟!

«منى»: -آه.. وافق ومضّر إني اتجوزة... ثم تساقطت بعض دموعها..

«خالد» وكأنه غير مصدق: - وأنا؟!

«منى»: - حاولت اتكلّم معاه بخصوص حبي ليك.. فوجئت إنه

ضربني على وشي.. وقال إنه عارف مصلحتي أكثر مني.. وإن مستقبل

مضمون مع الدكتور.. واني هتعب معاك..



كانت «منى» تتحدث، واختلط حديثها بدموعها.. و«خالد»

ينصت لها، وكأنه لا يصدق ما تسمعه أذناه.. ماذا يريد ذلك الأب

المجنون؟.. كان يخبره بأنه يريد شخصًا لابته فريدًا من نوعه.. ولكن

يبدو أنه كان يريد أي شخص.. إلا «خالد حنى».. أنا.. هل يضيع

حب تلك السنوات ما بين عشية وضحاها؟!.. إنه لم يحب في حياته مثلما

أحب «منى».. ولماذا لم تعترض «منى» على قرار أبيها؟!.. هل

استسلمت خوفًا من عنتها؟.. كلّها أسئلة دارت في ذهنه، بينما كانت

تحدث «مى»، حتى طلبت منه الرحيل كي لا تتأخر في عودتها إلى  
مترها.. وكأنها تهرب من لقائه..

ابتسم «خالد» ساخراً مشيراً إليها بيده أن ترحل دون أن  
يتحدث.. وكانت المرة الأولى التي يتركها ترحل بمفردها.. وجلس في  
مكانه ينظر إليها وهي تغادر، وكأنها المرة الأخيرة التي يراها بها،  
ويخفه ذلك الضيق الذي يشعر به.. تلك هي المرة الأولى التي يشعر  
فيها بالهزيمة.. إحساس لم يجتثعه من قبل.. لم ينتبه في أية مرة تقدم إليها  
لخطبتها ورُفض فيها.. كان يعلم أن هناك ما يُدعى (الأمل) الذي يجعله  
يتقدم إليها ولو مائة مرة حتى يقبل أبوها..

يتذكر تحمله لنظرات الناس إليه، وسخرتهم منه حين كان  
يخبرهم بأنه سيتزوجها ذات يوم، وستبقى قصة حب يخلدها التاريخ..  
كان يظن نفسه أحقّ حين طلب منها ذات مرة أن يتزوجها دون معرفة  
أبيها حتى رفضت، ودام خصامهما لمدة طويلة حتى اعتذر منها مجدداً..  
ولكنه أكثر حماقة الآن.. «إنها ستوافق على ذلك الطبيب كما وافق أبوها  
ربما أرادت أن تقابلني تلك المرة كي ترضي ضميرها فقط لا غير»..  
هكذا حدث نفسه.. حب سنوات يذوب كقطعة جليد في ثوانٍ قليلة..

حتى قطع تفكيره صوت رنين هاتفه الخليوي.. وحين قام بالرد وجد صاحب العمل الذي يعمل لديه يعتفه لتفنيه، فلم يتمالك «خالد» أعصابه، وأخبره أنه لن يعمل لديه مجدداً.. وأغلق الخط على الفور..



بعدها عاد «خالد» إلى بلدته . كان يمشى في شوارعها مطأطأ الرأس.. يشعر بطعم الهزيمة في حلقه.. لا يريد أن يتحدث إلى أحد.. حتى وصل إلى يته ، ودخل غرفته ثم نظر إلى حوائطها المليئة بتلك الأوراق التي كان يعلقها دائماً.. أوراق طلبه للزواج من «منى» ورفضه في الثاني من رات ..

وقف أمام كل ورقة على حدة، ونظر إليها وهو يسخر من نفسه.. ويضحك بصوت عالٍ كأنه أصابه الجنون.. حتى قام بمزيقها كلها.. ثم جلس على أرضية الغرفة واضعاً رأسه بين يديه.. يسبح بين ذكرياته مجدداً، حتى انتفض ذاهباً إلى حجرة جده.. رفيق حياته.. حتى وجده قد أنهى صلاته.. فسأله على الفور:

- أنت قلت لي إن فيه حد عنده كلام كثير عن الرداب..  
رد جده في هدوء:- أنت خلاص قررت؟

«خالد»: - أيوه.. أنا عاوز أنزل السرداب..

جده: - عشان «منى»!!؟

تمالك «خالد» نفسه: - «منى» خلاص راحت من إيدي .. وخلاص

سبت شغلي.. ولازم أنزل..

ثم أكمل:

- لازم الألفي حاجة واحدة في حياتي أقدر أحكيها لولادي من

بعدي.. عاوز أحص مرة واحدة إني بطل قدام نفسي.. إحساسي بفشلي

بيقتلني..

سأله جده مجدداً:

- مش خايف إنك مترجعش زي أبوك وأمك؟

رد «خالد»: - صدقني.. الحاجة الوحيدة اللي كنت خايف عليها..

إني أسبيك لوحديك، لكن طالما أنت بتشجعني، مفيش مكان لأي

خوف في قلبي..

ابتسم جده: - والعفاريت.. والأشباح.. وإنه مسكون؟

«خالد»: - معتقدش إني هلاقي عفريت أصعب من بني آدم.. أنا

خلاص قررت إني هنزل.. وكان عندك حق لما قلت لي إن «منى» مش

هي السبب.. بالعكس بعد ما «منى» راحت من إيدي بلحظات، زاد حبي للتزول أكثر من الأول..

ثم أكمل:- يمكن ألاتي في السرداب الذكري اللي تخليني أقدر أنسى إهانة ست سنوات لنفي.. ثم نظر إلى جده:

- مين الراجل ده.. وفين ألاقه.. فابتسم جده:

- اطمئن.. هو سمع كل كلامنا.. ويمكن اتأكد إنك عاوز تنزل السرداب فعلاً..



نظر «خالد» في دهشة إلى جده.. وكأنه لا يفهم شيئاً، حتى دخل عليهما رجل عجوز يقترب في سنه من جده.. وعلى الفور تحدث جده وأشار إلى العجوز:

- أعرفك.. ده مجنون السرداب.. أكيد تعرفه..

نظر إليه «خالد»:

- أبوه طبعاً.. الحاج «مصطفى أصلان».. ولا أنت مفكرني من بلد تانية؟

أكمل جده:

«مصطفى» كان أول واحد فكر إنه ينزل السرداب من حين سنة.. وكنا مسمينه مجنون السرداب.. وكان دايماً يقول إن عنده معلومات محدث يعرفها عن السرداب غيره، ومستني اليوم اللي يقرر فيه حد ينزله.. بعد ما أبوك وأمك مرجعوش. ثم تركهما كي يكملوا حديثهما بمفردهما..



نظر «خالد» إلى ذلك العجوز.. وتعجب مما قاله جده، فإنه يعرفه منذ سنوات عدة.. ولكنه لم يكن يعلم أنه مجنون السرداب الذي ظاننا سمع جده يتحدث عنه وهو صغير.. حتى قاطع صمته العجوز:  
- جددك حكى لي أد أبيه أنت عماوز تنزل «سرداب فوريك».. وأنا اتأكدت دلوقتي..

رد «خالد»: - أبوه.. بس أنا أول مرة أسمع إن السرداب اسمه «سرداب فوريك».. تابع العجوز حديثه:  
- هو ده الاسم الحقيقي للسرداب.. ولو بحثت عن الاسم ده في أي مكان استحال تلاقى أي معلومة عنه..

ثم تنهد وأكمل:- يمكن الناس بتفكرنا أنا وجدك في عداد  
المجانين.. ومث مصدقين إننا من خمسين سنة نزلنا السرداب فعلاً..  
بس دي عندهم حق فيها..

انطبعت الدهشة على وجه «خالد» مجدداً حتى سأله:

- آيه؟.. عندهم حق.. يعني آيه؟

أكمل العجوز:- أبوه.. عندهم حق.. يمكن دي معلومة أنا  
الوحيد اللي أعرفها.. إن من خمسين سنة لما نزلنا احنا الأربعة..  
مترلناش سرداب فوريك.. ويمكن عشان كده طلبت من جدك إنه  
يسيننا لوحدنا.. لاني مش عاوز أحطم نقطة فخره بنفسه..

قاطعته «خالد»-ومازال مندهشاً:- أقال النفق اللي نزلوه ده كان آيه؟  
العجوز:- النفق ده مجرد طريق لسرداب فوريك.. والدليل على  
كلامي إن النفق على عمق مش كبير.. وله مسافة معينة، والدليل الأكبر  
إن لمبات الجاز انطفت بعد دقائق من نزولنا..

ابتسم «خالد»:- آه.. العفاريت..

ضحك الرجل:

- لا.. تقصد التهوية.. النفق غير السرداب.. الأكجين في النفق قليل.. وتقريبًا ممكن يكونش موجود لو باب النزول انقفل.. ووقتها لما لمبات الجاز انطقت أنا قلت عفريت.. والكل خاف وجري.. بس بعد كده اكتشفت إنه كان خيال حد فينا.. ومن جوابيا كانت سعادتي ملهاش وصف.. لإني حسيت إني حطيت رجلي على أول طريق السرداب.. وفضلت حاطط أمل لنفسي إني هوصل للسرداب في يوم.. بس المسنين قاتت، والمرض حاصرني، وفضلت مستني اليوم اللي ينزل فيه حد غيري السرداب.. ويعقق حلمي.. ثم أخرج كتابًا قديمًا كان معه.. وأكمل:

- الكتاب ده من نسخة واحدة.. اللي كتبه شخص نزل السرداب قبل كده.. لقينته بالصدفة في كتب والدي لما كنت شاب.. لكن للأسف عامل الزمن أثر عليه قبل ما ألقاه.. فكان السليم منه تقريبًا عشر ورقات بتتكلم عن سرداب فوريك.. ثم أعطى الكتاب لـ«خالد».. وأشار إليه أن يقرأ سطور الكتاب بصوت عالٍ..





أخذ «خالد» الكتاب ليقرأ وريقاته... بينما جلس العجوز لستمع إليه، ويحتسي كوب الشاي الذي برد بالفعل.. وبدأ «خالد» في قراءة سطروره المكتوبة بخط اليد.. والذي تحدث عن «فوريك» أحد الأثرياء الذين تواجدوا في العصر المملوكي.. وقد كان يمتلك تلك المنطقة التي يوجد بها بلدة -البهو فريك-.. والتي كانت تسمى وقتها.. «بهو فوريك».. وما يحيطها من بلدان، وقد أمر أن يتم حفر ذلك السرداب على عمق كبير كي يكون ملاذًا له ولأهل مدينته إن تعرضت بلاده لأي غزو.. واستغرق حفره وتشييده أكثر من خمسة عشر عامًا.. وقد حُزنت به ثروات كثيرة منذ ذلك الزمن..

ثم تحدث -من قام بكتابة هذا الكتاب- عن رحلته للسرداب.. وعن ذلك النفق الذي لا توجد به تهوية.. ولا بد من تجاوزه في أسرع وقت إلى السلم الحقيقي للسرداب.. والذي يمتد لأكثر من ثلاثين مترًا تحت الأرض.. ومنذ تلك اللحظة فلن توجد أدنى مشكلة بالتهوية.. فقد صُمم ذلك السرداب بكل براعة.. لا يُعرف كيف تمت تهويته بتلك الطريقة.. أما تعجب «خالد» فقد ازداد حين قرأ أن السرداب لا يكون مظلمًا يوم يكتمل البدر في السماء رغم وجوده تحت الأرض.. إنهم

مهندسو الماضي.. يا لها من براعة.. حتى انتهت العشر ورقات حين  
كتب صاحبه:

- «كنت أظن أن الكنز الحقيقي هي الثروات التي خُزنت به..  
ولكنني اكتشفت ما هو أثمن من ذلك بكثير، وأعظم من كنوز فوريك..  
إنني اكتشفت...» حتى انتهت العشر ورقات دون أن تكتمل الجملة!!



نظر «خالد» إلى المعجوز في لفحة:

- اكتشف أيه؟

فأخبره المعجوز أنه لا يعلم.. إنه وجد الكتاب على تلك الحالة..  
ويظل السؤال قائماً «ما الذي اكتشفه صاحب هذا الكتاب؟» والذي  
ظل يشغله طوال خمسين عاماً.. ثم نظر إلى «خالد»:

- لو كنت عاوز تكتشف اللي اكتشفه.. لازم تكون في السرداب

اللييلة دي..

«خالد»: - اللييلة دي؟؟!

المعجوز: - أيوه.. اللييلة دي القمر بدر.. وده التوقيت اللي يكون فيه  
السرداب فيه إضاءة على حسب كلام الكتاب..

صمت «خالد» قليلاً.. ثم نظر إليه..

-وأنا مستعد أنزل.. مستعد لفرصة حياتي..



كانت الساعة تقترب من السادسة حين تركه المعجوز وغادر.. وترك معه ذلك الكتاب الذي تصفحه لأكثر من مرة.. ومع كل مرة تزداد رغبته في نزول السرداب.. يدفعه ذلك الفضول إلى معرفة ما اكتشفه كاتبه.. يشعر أنه يمتلك سرّاً من أسرار الزمان.. ويسأل نفسه.. هل اكتشف كنوزاً لا حصر لها؟.. هل توجد آثار بالأسفل، وأكون أنا مكتشف القرن الحادي والعشرين؟.. وظل هاتماً في أحلام اليقظة..



اقتربت الشمس من المغيب فصعد أعلى بيته.. ونظر إلى بلدته.. ينظر إلى تلك الأراضي الزراعية.. وإلى الأشجار العالية، والطيور التي تزيناها.. ينظر إلى البيوت المجاورة وكأنه يراها لأخر مرة.. يستنشق نسيم بلده العطر، ويتحدث إليه.. ربما يكون آخر نهار لي هنا.. أتمنى ألا يكون.. حتى عاد إلى حجرته ليتم استعدادة لرحلته..



مر الوقت، ودخل الليل، وزُيِّنَت السماء بالبدر.. وها هو ينتظر حتى يسكن الهدوء البلدة.. وهو يعلم أنه لن ينتظر كثيرًا.. فعادةً ما يدبُّ الهدوء البلدة بحلول العاشرة مساءً على الأكثر.. لا يتأخر بها سوى صديقه دكتور «ماجد منير»، والذي يفلق صيدليته في وقت قد يتجاوز الثانية عشرة.. إنه لا يريد أن يراه أحد وهو متّجه إلى ذلك البيت المهجور في أطراف البلدة..

حتى دقت الساعة الواحدة صباحًا.. واستعد للرحيل، ونظر إلى جده مبسمًا ومودّعًا له:

- إن شاء الله هرجع..

ابسم جده:

- أكيد هترجع إن شاء الله.. أنا ابن ابني بطل.. ثم طلب منه أن ينتظر لحظة.. وقد أخرج ذلك الصندوق الخشبي.. وأخرج منه ذلك (الألبوم) القديم.. فأله «خالد»:

- آيه ده؟؟!!

قام جده بتقليب بعض صفحاته، ثم وقف على تلك الصورة التي توقف أمامها من قبل وتحدّث إليه:

- عارف مين دول؟

نظر «خالد» ومازال الـ الذهشة تتملكه .. حتى أكمل جده:

- دى صورة أبوك وأمك .. كانت آخر صورة لهم قبل ما يسيو في .. ثم دمعت عيناه ..

نظر «خالد» إلى الصورة .. ودمعت عيناه هو الآخر .. وظل متأملًا بها لفترة:

- أول مرة أشوف صورهم ..

أكمل جده:- كنت مستني اليوم ده .. وفضلت معذب نفسي عشان اليوم ده .. ثم أعطاه الصورة، ومسح بيده دموع «خالد»، واحتضنه .. فهمس «خالد» في أذنه:

- هرجع لك يا «عبد» .. هرجع .. ثم غادر ..

\*\*\*

كان الهدوء يسود البلدة .. ولم يكن يسر بشوارعها أحد سوى «خالد» والذي كان يعمل شنطة في كتفه، بها من الطعام ما يكفيه لعدة أيام، ومصباح للإنارة، والكتاب الذي أعطاه له العجوز، وبعض

الأوراق والأقلام، اعتقاد منه أن هناك ما يحتاج لتدوينه.. وقد وجد  
عدم حاجته لكاميرا تصوير؛ فوجود هاتفه الخلوي يغنيه عن ذلك..  
كان يسير مسرعاً إلى أطراف البلدة حيث ذلك البيت المهجور..  
وما أن اقترب منه ومن سوره العالي حتى عزم على تجاوز ذلك السور..



أما جده فكان يجلس وحيداً يقرأ في كتاب الله، ويدعوه ربه أن يعود  
به سالمًا.. حتى سمع طرقات على باب بيته.. وقد ظن أن «خالدًا» عاد  
من جديد.. وما إن قام ليفتح الباب حتى وجد «منى» في وجهه.. وقد  
اندھش حين وجدها أمامه في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. حتى  
سأله:

- فين «خالد»؟؟! ومش بيرد على تليفونه ليه؟!

رد جده:- ليه؟!

أجابت «منى» في فرحة:

- خلاص يا جدو.. قدرت أقنع بابا إننا نتجاوز أنا و«خالد»..

ومش فادرة استنى للصبح عشان أقوله.. خايفة يكون لسة زعلان من  
الصبح، فابتسم العجوز ثم صمت..

تجاوز «خالد» سور البيت المهجور.. وقد أثار مصباحه حين وصل إلى مكان الصخرة الذي وصفه له جده بالتفصيل.. والتي كان يصعب أن يصل إليها دون وصف جده له.. حتى حاول إزاحتها فلم يستطع في البداية رغم قوته البدنية.. فحاول مرة أخرى دون أن يستطيع.. فصاح بنفسه أنه لن يستسلم.. وعاد للمحاولة مرة ثم مرة ثم مرة.. وقد سال العرق من جبينه، ولكن دون جدوى..

حتى وجد لوحًا من الخشب ففكر أن يكون وسيلة لإزاحة الصخرة.. وبدأ يحاول من جديد ويصرخ مجددًا لن استسلم.. ويدفع بقوة، ويضغط أسنانه ببعضها.. ويدفع مجددًا اللوح الخشبي.. ويصيح، ويدفع.. حتى تحركت الصخرة بعض الشيء تبعها سقوطه على الأرض.

ما إن تحركت الصخرة تلك الحركة الضئيلة حتى سهّل تحريكها بعد ذلك.. ودفعها رويدًا رويدًا.. بعيدًا عن ذلك الباب الحديدي الذي كان يرقد أسفلها.. حتى سقط على ركبته.. وقد ازدادت ضربات قلبه، وزادت سرعته تنفسه.. ويقول مبهتًا لنفسه:

- اجد يا بطل.. احتال له في البداية..

بعدها نظر إلى الباب الحديدي الذي كان جزءاً مرتباً من الأرضية.. وقد سمى الله.. وقام بفتحه، فلم يكن موصداً بأي نوع من الأقفال سوى الصخرة.. وما إن فتحه، وأحدث صوتاً يدل على غلقه لمدة طويلة.. ووجه ضوء المصباح بداخله حتى وجد سلتها عمودياً إلى الأسفل.. وتحدث إلى نفسه مجدداً ومشجعاً لها:

- بسم الله نبدأ طريقنا إلى السرداب..

بعدها بلحظات بدأ نزول ذلك السلم.. وما إن نزل حتى فوجئ بالباب يتفلق مجدداً.. وكأنه حُبس.. فعلم أن اللوح الخشبي الذي كان يدعم فتح الباب قد كُسر.. ولكنه لم يهتم بذلك.. ما شغل باله هو أن يتجاوز النفق في أسرع وقت.. وتابع نزوله دون أن ينظر لأسفل.. بل يخطو درجة وراء الأخرى.. حتى وجد نفسه داخل ذلك النفق المظلم.. ولا يوجد به ضوء سوى ضوء مصباحه.. فتحرك بضع خطوات يتحس طريقه.. يمسك المصباح بيده اليمنى، ويزيح ثيابه العنكبوت الكثيفة بيده اليسرى.. حتى سار لعدة أمتار فبدأ يشعر بسرعة ضربات قلبه.. يحاول أن يرى نهاية ذلك النفق.. ولكن دون جدوى، فشبه العنكبوت حالت دون ذلك..



تقدم «خالد» في الظلام أكثر وأكثر.. وحاول أن يُسرّع.. يبحث  
عن سلم المرداب الذي أخبره به المعجوز.. حتى شعر بضيق صدره..  
فأسرع في تحركه.. حتى قَلَّ الهواء بصورة شديدة.. وبدأ يضع يده على  
رقبه من الاختناق.. الاختناق يزداد.. ولا يجد ذلك الطريق إلى  
المرداب.. يجري كالمجنون وقد خرت قواه.. يتحسّر حرائط النفق  
بيده.. يبحث عن أية فجوة بها.. ولكن لا فائدة.. يسأل نفسه.. أين  
أنت أيها الطريق؟.. يعلم أنه لن يستطيع حتى العودة إلى سلم النفق..  
فقد يموت غتغًا قبل أن يعود إليه.. يسرع في طريقه إلى الأمام.. يبحث  
في كل مكان.. على الجانبين، وأعلى، وأسفل.. ولكنه لا يجد شيئًا.. حتى  
سقط على الأرض.. وسقط بجانبه مصباحه، وصرخ بصوت واهن:  
- لا يوجد سرداب.. لا يوجد..

ثم صمت.. وأمال رأسه جانبًا.. وكاد يغمض عينيه مستسلمًا..  
حتى نظر بعيدًا إلى بقعة أضواءها مصباحه الملقى بجواره.. فابتسم  
ابتسامة يشوبها إعياء شديد، وتحدث بصوت خافت:

- سرداب فوريك.. ثم أغمض عيني للمحطات حتى فتحها مرة أخرى .. ونظر مجدداً إلى الواح خشبية متراصة ظهرت في بقعة الضوء، وكأنها باب صغير يوجد بأحد جانبي النفق..



كان الباب الخشبي يبعد عن «خالد» عدة أقدام.. وما زال «خالد» ملقى على ظهره من شدة الإعياء حتى انتفض مجدداً، وتحرك بجسده تجاه ذلك الباب.. ويزحف كأنه إحدى الزواحف.. لا يقوى أن يقف على قدميه، وينازع اختناقه كمن ينازع الغرق.. يتحرك بجسده، ويدفع بقدميه، ويستعين بذراعيه.. وقد وضع مصباحه بين فكيه.. يقاوم أكثر وأكثر.. يتحدث نفسه أنه الأمل، إنه سر داب فوريك.. حبث الهواء.. حيث الحياة، يهذي بكلمات يقوى بها نفسه.. ويقترب أكثر وأكثر من الباب.. ويدفع بقدميه في قوة.. حتى توقف جسده مرة أخرى بعدما خرت قواه مجدداً، ولم يكن يتبقى سوى أقل من قدمين نحو الباب، ولم يعد يقوى على المقاومة..

تنظر عيناه إلى الباب.. ويحاول أن يمد ذراعه إليه لكنها لا تلمسه وكأنها انسلت.. حتى صرخ صرخة قوية، وكأنه يجمع ما تبقى لديه من قوة، وقذف بجسده تجاه الباب كصخرة اندفعت نحو باب خشبي قديم قد أذابه الزمن.. حتى انكسرت ألواح.. واندفع «خالد» بداخله

ليجد جده يهوي على سلم خشبي مغمضاً عينيه.. ويتدحرج كما  
تندحرج الكرة حين تقط على درجات سلم.. ولم يستطع السيطرة على  
جسده على الإطلاق.. ويرتطم بين الحين والآخر.. ويزداد سقوطه  
أكثر وأكثر.. ثم هدأ ارتطامه قليلاً حتى توقف.. وقد فتح عينيه ليجد  
نفسه في مكان مختلف على الإطلاق..



فتح «خالد» عينيه.. فوجد نفسه ملقى على إحدى درجات السلم  
العريضة.. وقد انتعش صدره بالهواء، وكأنه ارتوى ببر من الماء بعد  
ظماً شديداً.. وزاد سروره حين وجد نفسه يرى كل شيء دون الاستعانة  
بمصباحه، وقد زال ظلام النفق.. حتى وقف على قدميه وصرخ:  
- أنا في سرداب فوريك.. أنا في سرداب فوريك..

بعدها نظر إلى أسفل حيث لم يتته السلم بعد.. وقد أسرع إلى  
أسفل، يخطو درجاته في أمل.. لا تعوقه آلام ارتطامه حين سقط.. يريد  
أن يكتشف كل شيء في وقت قليل قبل أن يختفي البدر.. ويتحدث إلى  
نفسه: إن كل ما ذكره الكتاب حتى الآن قد وجده.. فالهواء موجود  
بالفعل، وإضاءة البدر تثير له طريقه، وكأنها جُمعت لترداد قوة إضاءتها

داخل السرداب.. يالها من براعة هندسية.. ولكن يظل سؤاله إلى نفسه.. «ماذا اكتشف صاحب الكتاب؟!».. حتى انتهى المسلم.. ووصل إلى نهايته، فوجد نفسه في السرداب..



وجد «خالد» نفسه أمام نفق كبير أكبر كثيرًا من النفق الذي مرّ به سابقًا.. فارتفاعة يقترب من عشر أمتار.. واتساعه يبلغ مثل ارتفاعه.. حتى سار به، وينظر إلى جدرانها الضخمة في دهشة.. وكأنه في مزار سياحي.. وقد أخرج قلمه وأوراقه.. وأخذ يكتب بعض السطور عما يراه.. ويتقدم أكثر وأكثر، ويسأل نفسه كيف يوجد هذا السرداب الضخم أسفل بلده ولا يعلم أحد شيئًا عنه سوى صاحب الكتاب المجهول، وبعض الأشخاص الذين لن يصدقهم أحد؟!.. إنه قد يكون أعظم اكتشاف في العصر الحديث.. وقد يعمل من بلده مزارًا سياحيًا.. يبدو أن الكاتب قصد باكتشافه السرداب نفسه.. ويسير منبهًا ويتقدم.. ويضحك بهتيرة، لقد انتهى الألم.. ولعله يجد أحد الكنوز الآن..



يبحث في كل جوانب السرداب.. لا يريد أن يترك شبرًا واحدًا يفوته.. حتى ارتطمت قدماه بشيء ما.. وما إن نظر إليه حتى انتفض قلبه حين وجده هيكلاً عظيمًا لأحد الأشخاص.. وقد كانت المرة الأولى التي يرى فيها مثل هذا الهيكل، ولكنها لم تكن الأخيرة.. فكلما تقدم وجد أكثر وأكثر.. حتى بدأ الخوف يتسرب إلى قلبه.. وكان تلك الهياكل تتحدث إليه، وأنها مصير كل من دخل هذا السرداب.. وحدث نفسه.. ربما يكون أحد تلك الهياكل لأبيه أو أمه.. ولكنه تمنى أن تكون الحقيقة غير ذلك..



بعدها شعر «خالده» أن الإضاءة تقل شيئًا فشيئًا من خلفه.. فنظر إلى ساعة يده فوجدها قاربت الخامسة فجراً.. وعلم أن البدر قد بدأ في زواله.. ولا يعلم ماذا سيحدث بعد ذلك.. ما ذكره الكتاب أن السرداب يظل مضاءً وقت وجود البدر.. ولم يذكر شيئاً آخر، وطمأن أنه لو كان يمتلك الكتاب كله..

حتى مر بعض الوقت.. وتلاشت معه إضاءة السرداب تدريجيًا.. ولكنه لم يعط اهتمامًا لذلك.. وتقدم أكثر وأكثر.. حتى وجد صورة

لشخص.. تبدو على ملامحه الشراء.. منقوشة على أحد جداري  
الرداب، فتحدث إلى الصورة مبسمًا:

- أكيد أنت «فوريك».. أحب أعرفك بنفسي.. أنا «خالد  
حسن»، مكتشف سردابك العظيم.. واللي بسببك هيعيش أحل أيام  
حياته..

ثم ضحك.. وأخرج هاتفه الخليوي ليلتقط له صورة.. وما إن  
التقط هاتفه الصورة حتى شعر بهزة عنيفة تحت قدميه تزامنت مع بدء  
الظلام من خلفه.. حتى نظر خلفه فجأة فوجد جدران الرداب  
تنهار.. ويقترب الانهيار منه بشدة، فعاد يظهره للخلف بضع  
خطوات.. بعدها لم يجد أمامه سوى أن يلتفت ويمضي للأمام..



يمضي «خالد» سريعًا.. وانهار الجدران يسرع خلفه، وكأنه فريسة  
يلاحقها أسد مفترس.. لا يصدق عينيه.. يشعر بأنه في حلم ما،  
ويسرع.. وتسمع أذناه صوت ارتطام صخور الجدران الضخمة.. لو  
أصابته صخرة واحدة لقتلته... حتى سقطت شظية كفه وما بها.. ولكنه  
لم يعا بذلك.. وواصل عدوه... تساعده قدماء الطويلتان وخطواته

الواسعة.. ويجري إلى حيث لا يعرف مصيره.. يجري إلى المجهول..  
ويصرخ بداخل نفسه.. كيف يعود إلى بلده مجدداً؟!.. إنه الهلاك.. إن  
السرخاب ينهار.. ماذا حدث بالأعلى.. هل هناك زلزال ما ضرب  
الأرض بالأعلى؟!..

حتى وجد نفسه أمام طريقين قد انقسم إليهما السرخاب..  
واندفع إلى أحدهما دون رغبته.. بل دُفع إليه بعدما انهار الطريق الآخر  
قبل أن يصل إليه.. وكان الانهيار يتحكم في مساره.. حتى فوجئ بنفسه  
يجري إلى منحدر يتجه إلى أعلى.. ويلحقه الانهيار أسرع وأسرع يريد  
أن يتلعه..

يحاول أن يقاوم صعوبة الصعود.. ويتقدم، وما زال النور أمامه  
والظلام من خلفه.. ويخطو بقدميه سريعاً.. حتى وجد نوراً شديداً على  
مرمى بصره، وكأنه نور النهار الذي يعرفه جيداً حين كان يفتح نافذة  
حجرته صباحاً.. فأسرع إليه.. «إنها النجاة مجدداً.. لا بد وأنه مخرج  
آخر للسرخاب..» هكذا حدث نفسه.. وما زال الظلام والانهيار يلحقه  
حتى أسرع، وقد اقترب من الفتحة وقفز خارجاً منها لنهار هي من  
أسفله.. وتغلق وكان الأرض قد دفته خارجها..



وجد «خالد» نفسه ملقى على الأرض.. ورأسه منغمس في  
رمال.. فرفع رأسه، وأزال الرمال عن وجهه، وعن عينيه.. ونظر إلى  
السماء وضحك.. وشكر الله بعدما ظن أنه عاد مرة أخرى إلى أعلى..  
وأنه قد نجا من انهيار ذلك السرداب الذي يبدو ملموتاً.. حتى نظر إلى  
السماء مجدداً.. ولاحظ زرقنتها وصفاءها إلى درجة لم يرها من قبل.. ثم  
نظر حوله فوجد رمالاً في كل مكان، وعلى مرمى بصره، وكأنها  
صحراء.. حتى قام وقد دار بجده ليرى ما حوله.. فلم يجد سوى  
صحراء واسعة تظللها سماء في غاية الصفاء.. حتى ضرب رأسه بيده،  
وتحدث بصوت عالٍ:

- فوق يا «خالد».. أنت بتحلم ولا أیه.. أنت قين ؟!.. وأیه اللي جاب  
الصحرا دي هنا..

ثم نظر حوله مجدداً.. ولا يجد بها إلا نفسه.. ولا يصدق ما يراه..  
وسأل نفسه مجدداً أين هو.. ثم سار ببعض الخطوات في كل اتجاه..  
ولكن دون جدوى.. إنها صحراء لا يوجد بها أحد.. حتى جلس مكانه  
في دهشة.. ونظر إلى فتحة السرداب التي خرج منها فوجدها وكأنها لم  
تكن.. فضحك ساخراً.. وتحدث في خيبة أمل:

- باين السرداب ده كان معمول عشان نعتبر الصحرا.. والكفر  
وفوريك ده كان مقلب.. ويا ترى أنا في الصحرا الشرقية.. ولأ  
الغربية.. ولأ في سينا؟!.. ولا أكون عبرت الحدود.. ورحت لبيبا..  
أو السعودية.. ثم صرخ وكأله أصابه الجنون:  
- أنا فين؟!؟!..



مرت ساعات على جلوسه هكذا.. يجلس لا يعلم أين يذهب..  
وقد خلع قميصه، ووضع فوق رأسه كي يقيه حرارة الشمس.. وقد  
اندش حين نظر إلى ساعة يده فوجد عقاربها توقفت عن الحركة.. ولم  
يفكر بهذا الأمر كثيرًا حيث فوجئ برجلين يجريان في الصحراء بعيدًا  
عنه.. فأسرع إليهما على الفور.. وبدأ الأمل يدب في قلبه، وحدث  
نفسه وهو في اتجاهه إليهما:

- أكيد دول عارفين احنا فين وهو رجع لبلدي ثاني..

حتى اقترب منهما.. ولاحظ زيئهما الغريب وشدة إعيائهما، وكأنهما  
مريضان بمرض مزمن شديد.. ومازالا يجريان بسرعة.. حتى أوقفهما..  
وسألها:

- لو سمحتوا، أنا محتاج مساعدتكم..  
ولكنهما تركاه.. وواصلتا جريهما، فأسرع خلفهما ليرقفهما مجدداً:  
- أنتو بتجروا ليه؟! .. فنظر إليه أحدهما:  
- ألا ترى مانحن به؟!  
تعجب «خالد» من لهجتهما الغريبة.. وابتسم ساخراً وكأنه يقلده:  
- أجل أرى يا سيدى.. ثم سأله:  
- احنا في السعودية، صح؟!  
نظر إليه الرجل متعجباً:  
- ماذا تعنى السعودية؟!  
ابتسم «خالد».. وقد زفر زفيراً طويلاً.. وتحدث إلى نفسه:  
- دول في الضياع..  
ثم سأله الرجل الآخر:  
- وأنت غريب؟  
فأجابه «خالد» على الفور:  
- أيوة أنا غريب.. ثم أكمل..  
:- احناقين؟ .. وانتو مين؟..

أجابه أحدهما:

- إنا فقراء.. وقد هربنا إلى الصحراء.. ألا يوجد معك طعام؟!

أجابه «خالد»: - لا للأسف.. كان معاي بس ضاع مع الشنطة.. ثم

وضع يده في جيبه، وأخرج ورقة من فئة العشرة جنيهات.. وأكمل:

- أنا معاي فلوس ممكن تشتروا أكل لو قلتوا لي احنا فين.. وازاي أرجع

بلدي..

خطف أحدهما ما أخرجه «خالد» من نقود.. ثم وضعها بفمه

وأكلها.. فاندesh «خالد»، وسأله متعجبًا:

- أنت جعان للدرجة دي؟.. أنت أكلت الفلوس !!

فأجابه ذلك الذي سأله عن السعودية:

- ماذا تعني بالنقود.. إنها ورقة.. وقد أكلها صديقي الجائع، ثم أكمل:

- يبدو لي أنك كريم، ولهذا تأكدت أنك غريب عن هنا.. وأشعر بأنك

غني للغاية..



ضحك «خالد».. ونظر إلى نفسه، وملابسه البالية والتي غطاها

تراب النفق والسرداب، وحالته التي يُرئى لها.. وسأل نفسه.. أي غنى

يتحدث عنه ذلك الأبله؟.. عشرة جنهات رآها شمر بانتي غني.. ثم تجاوب معها وكأنها مجنونان.. وسألها مجدداً، وقد ضاق صدره:

- دلو قتي أنا عاوز أعرف أنتو هتعيشوا لزاوي في الصحرا دي؟؟ ،  
وهريانين من أيه؟... وسؤالي الأهم.. احنا فين أساساً؟..

أجابه الذي أكل النفود في تعب:

- إنا فقراء، ومتكون الصحراء أفضل لنا كثيرًا من أرض  
زيكولا.. حتى لا يأتي يومنا كمن سبقونا.. لعل الحظ ساعدنا، وهربنا  
بأعجوبة وتركنا من نحب قبل هذا اليوم..

اندهش «خالد» من الاسم:

- أرض زيكولا؟؟

سأله الرجل الآخر:

- ألا تعرف أرض زيكولا؟؟

أجابه «خالد»:- لا.. فين زيكولا دي؟.. أنا مش شايف إلا صحرا في  
كل مكان..

فأكمل الرجل:

- يبدو أنك غريب عن الدنيا كلها.. من يوجد في هذا الزمان ولا يعرف أرض زيكونلا؟! ثم أكمل الآخر محدثاً صديقه:

- إنهم الأغنياء، يسخرون منا دائماً هكذا.. ثم أشار إلى «خالد» أن يتحرك عدة أمتار في اتجاه يده:- إنها هناك بالأسفل.. أيها الغني..

ثم تركاه وواصل جريهما في الصحراء.. وقد تحرك «خالد» إلى الاتجاه الذي أشار إليه الرجل.. محدثاً نفسه:

- دول مجانين رسمي.. بس لازم أسمع كلامهم، مفيش حل ثاني.. وواصل تحركه.. حتى وجد نفسه على حافة هضبة عالية، فنظر إلى أسفل حتى وجد مدينة كبيرة ذات منظر بديع من أعلى.. بها مبانٍ شتى، وتتخللها مساحات خضراء وكأنها أراضٍ زراعية، ومسطحات من الماء..



(٤)

اتسعت عينا «خالد» من الدهشة، وسأل نفسه كيف توجد تلك  
المدينة بجوار تلك الصحراء الجرداء؟!... حتى قاطع تفكيره صباح أحد  
الرجلين إليه مُجدِّداً:

- إياك أن تذهب إلى زيكولا.. إياك.. وواصل جريه مع صاحبه..



لم يُعطِ «خالد» اهتماماً لذلك المجنون، كما سَاء.. وظل ينظر إلى  
تلك المدينة من أعلى.. ويسأل نفسه مجدداً، أين هو من العالم؟.. وأين  
توجد أرض زيكولا تلك؟.. حتى ابتسم حين نظر بعيداً إلى أسفل  
فوجد طريقاً طويلاً مُمهّداً إلى تلك المدينة.. به كثير من التعرُّجات  
ومرتفعاً إلى أعلى، حيث يمرّ بالقرب من تلك الهضبة التي يقف عليها..  
فلم يجد أمامه سوى أن يسرع باحثاً عن ذلك الطريق.. يريد أن يذهب  
إلى المدينة في أسرع وقت بعدما حلَّ به الجوع والعطش، وبعدها يحاول  
أن يعرف أين هو..



بعدها سار «خالد» في الصحراء متجهًا إلى ذلك الطريق الذي شاهدته عيناه.. وقد ظنّ في البداية أنه قريب منه، ولكنه اكتشف غير ذلك تمامًا.. وكلّما تقدم لم يجد شيئًا حتى اعتقد أنه سراب.. ولكنه تحقّق من وجوده حين وجد عربة يجزّها حصان، وتسير على مقربة منه.. فأسرع في اتّجاهها فوجد أمامه ذلك الطريق الذي شاهدته من أعلى.. ولكن سائق العربة لم يلحظ وجوده وابتعد بها عن «خالد» الذي واصل تحركه في نفس الاتجاه الذي سلكته العربة..



مرّ الوقت وقد أصبحت الشمس عمودية.. وزادت حرارتها، وحلّ الإرهاق والتعب على «خالد».. وبدأت آلام ارتطامه في السرداب تحلّ عليه مجددًا.. ولكنه تابع مسيره رغم أنه يعلم أن هذا الطريق طويل للغاية، ولا بدّ له من ثقل قسط من الراحة.. يريد أن يصل إلى هناك في أسرع وقت.. يشعر أن هناك أملًا ما في انتظاره.. حتى سمع صوتًا من خلفه.. وحين التفّ وجد عربة يجزّها حصان فأشار إلى سائقها أن أقف.. فأوقف السائق حصانه بالفعل.. فنظر إليه «خالد» في تعب:

- أنا عاوز أروح أرض زيكونلا..



فنظر إليه السائق:

- وكم ندفع؟

فوضع «خالد» يده في جيبه.. وأخرج بعض النقود الورقية..  
وأشار إلى السائق أن يأخذها.. فنظر إليه السائق في غضب:

- ورق؟!

ثم ألغاه في وجهه.. وتركه وغادر.. و«خالد» لا يفقه شيئاً  
مجدداً.. وحدث نفسه بصوت مسموع:

- أيه حكاية الورق دي؟.. البلد دي كلها مجانين ولا أيه؟!

وواصل تحركه مرة أخرى.. فجاءت عربة أخرى وحدث معها  
مثلياً حدث مع العربة السابقة تماماً.. وتركه سائقها وغادر.. فابتسم  
«خالد» ابتسامة بها خيبة أمل كبيرة.. «إنها زيكولا أرض المجانين»  
هكذا حدث نفسه.. وسار مسافة أخرى وازداد تعب.. حتى سمع من  
جديد صوت عربة، ولكنه حين نظر خلفه وجدها عربة ضخمة.. يبدو  
عليها الثراء، وقد اختلفت عن العربات السابقة من حيث تصميمها  
وأناقته.. فرأى أن يوفر تعب.. ولا يشير إليها، ويكمل مسيرته.. حتى  
مرّت بجواره فوجد شاباً في مثل عمره متشبهاً بمؤخرتها دون أن يراه

سائقها.. وحين وجد «خالد» أشار إليه يده أن يسرع إلى العربية..  
فأسرع «خالد» إلى مؤخرة العربية هو الآخر.. وقد تشبث بها.. ونظر إلى  
ذلك الشاب في بسمة: - شكراً.. فهمس الشاب إلى «خالد»، وقد  
وضع يده على قم «خالد»:  
- اصمت.. كي لا نسمعنا أحد..



سارت العربية في طريقها إلى زيكولا.. ويصبح سائقها إلى حصانه  
أن يسرع.. و«خالد» ومن معه ما زالوا متشبثين بمؤخرتها.. و«خالد»  
ينظر إلى ذلك الشاب في دهشة من ملابسه.. وأيضاً شعر «خالد»  
بدهشة ذلك الشاب التي بدت واضحة على وجهه.. حتى اقتربت  
العربية من سور ضخمة.. فأشار الشاب إلى «خالد» أن يقفز معه تاركين  
العربية.. فقفزا.. وما إن نظر «خالد» أمامه حتى وجد سوراً ضخماً يبدو  
أنه يحيط بالمدينة.. ويصل ارتفاعه إلى ما يقرب من خمسة طوابق، وتزينه  
نقوش غاية في الجمال.. وبه باب ضخمة للغاية، إنه باب زيكولا.. وقد  
كان مفتوحاً على مصراعيه.. تمر منه العربات مجيئاً وذهاباً.. حتى نظر  
«خالد» إلى الشاب:

- أنا بشكرك جدًا..

رد الشاب:- لا تشكركي يا أخي.. إنني مثلك تمامًا كادت تقتلني حرارة الشمس..

سأله «خالد»:- أنت من زيكولا؟

رد الشاب:- نعم .. وأنت تبدو غريبًا..

ضحك «خالد»:- أبو.. أنا من البهوفريك .. بلد جناب المتصورة..

ارنمت الدهشة على وجه الشاب:- ماذا؟!!!

أسرع «خالد» وكأنه يصحح حديثه:

- أقصد مصر .. أنا من مصر..

لم تختف دهشة الشاب:

- ماذا تقصد بمصر؟!.. هل هي في الشمال؟

رد «خالد» في غرابة:

- أنت مش عارف مصر أم الدنيا؟

رد الشاب:- نعم أخي.. لا أعرفها..

صمت «خالد» مفكرًا ثم أجابه وكأنه يريخ نفسه من غرابة هؤلاء

الناس الذين يقابلهم:

- أيوه مصر في الشمال.. ثم سأله:

- احنا فين؟..

رد الشاب:- ألا ترى يا أخي.. إننا في زيكولا.. أرض الذكاء..

لم يتمالك «خالد» نفسه من الضحك:

- أرض الذكاء؟!.. لا فعلاً الذكاء. واضح على كل اللي قابلتهم، ثم  
سأله:

- يعني تبع دولة أيه؟.. قارة أيه؟

رد الشاب متعجلاً:- لا أفهم قصدك.. إنها زيكولا فقط.. والآن

لا بد أن أتركك.. إني أضعت اليوم وقتاً من العمل.. ولا بد لي أن أقوم  
بتعويضه..

وقد مديده مودّعاً «خالد».. فابتسم «خالد»:

- أنا اسمي «خالد»..

رد الشاب:

- وأنا «يامن».. حظاً سعيداً في أرض زيكولا.. ثم تركه وغادر..



كان «خالد» مازال واقفاً أمام ذلك الباب الضخم للمدينة.. حتى تقدم إليه وما إن مرّ خلاله حتى شعر برعشة قويّة تسري بجسده، وألم شديد برأسه وكأنه يقتله.. حتى سقط على ركبتيه ممسكاً رأسه بيديه من الألم الذي لم يشعر بمثله في حياته.. وظل هكذا لعدة دقائق حتى بدأ الألم يتلاشى شيئاً فشيئاً، وكأنه لم يحدث ثم تابع مسيره إلى داخل المدينة..



سار «خالد» بالمدينة وكأنه يسير بمدينة الأحلام.. ينظر إلى وجوه الناس وتعبيراتهم المختلفة.. منهم من ترسم البسمة على وجهه، ومنهم من انطبع الحزن على جبينه.. وإلى زيّهم الذي انقسم إلى أقسام عدة.. فمنهم من يرتدي جلباباً وعلى رأسه عمامة، وقد كانوا كبار السن.. أما الشباب والصغار فقد كانوا يرتدون بنطالاً واسعاً من أعلى وضيقاً من أسفل.. وكأنه زيّ الصيادين الذي اعتاد أن يراه ولكنه أكثر أناقة.. ومن أعلى يرتدون قميصاً واسعاً مصنوعاً ببراعة من جلود الحيوانات أو من القماش.. أما النساء فقد وجدتهن يرتدين فساتين فضفاضة ذات ألوان براقّة.. وجميعهن لا يضعن شيئاً فوق رؤوسهن.. وقد لاحظ جمال

الكثير من النساء في تلك المدينة.. ولكنه خشي أن ينظر إلى إحداهن ..  
وهو لا يعلم كيف ستكون ردة الفعل في تلك المدينة..

ويعجبه ذلك التنوع في الزي.. وتلك الأناقة التي بدت على كل  
فني وفتاة بالمدينة.. ويسير بشوارعها منبهراً بتلك المباني المتلاصقة..  
والتي بدت عليها المهارة المعمارية، كانت غمتلك ارتفاعاً واحداً لا  
يتجاوز الثلاثة طوابق.. وقد بُنيت من الطوب المحروق والأخشاب



أكمل «خالد» مسيره حتى وجد مكاناً يُقدّم طعاماً.. فسمع  
أصوات بطنه تناديه، وتذكّره بالجوع.. حتى اقترب من ذلك المكان..  
وجلس به.. وطلب طعاماً.. ثم جاءه رجل بطعام من الخبز واللحم..  
وقال له:

- شكراً لشريفك لنا أيها الغني..

فابتسم «خالد»:

- تافى غني!!...

ثم أكل وامتلات بطنه.. وانتظر أن يأتي الرجل ليأخذ نقوده فلم  
يأت.. حتى أكل ومشى.. وقد عادت إليه قوته مجدداً.. وأكمل سيره في

المدينة حتى وجد مكانًا آخر لصناعة الملابس وبيعها.. فنظر «خالد» إلى نفسه.. ووجد أن يشتري لنفسه زيًا.. كي لا يكون زيُّه مختلفًا عن باقي أهل المدينة.. حتى يعرف أين هو.. وقد دخل ذلك المكان.. فآله من به:

- لست من زيكولا..

فرد «خالد»:

- أيوه..

فأعطاه الرجل زيًا مناسبًا.. بنطالًا واسعًا.. وقميصًا واسعًا من القطن.. ولم يأخذ منه نقود.. وقال له مثلها قال صاحب المطعم:  
- شكرًا لشريفك لنا أيها الغني..

فابتسم «خالد».. وتذكر كلام من قابلهما بالصحراء.. وأنه غريب لأنه كريم.. وقال لنفسه إنها مجنونان بالفعل.. فما وجدته من أهل المدينة حتى الآن كرم مبالغ فيه.. حقًا إنها مجنونان..



يسير بالمدينة بزيه الجديد.. ويقلب عينيه هنا وهناك.. وقد لاحظ شيئًا لم يفهمه، وهو أن كل مكان للبيع والشراء يجد مكتوبًا عليه أرقام

ووحداث .. عشرة وحدات أو خمس .. آية وحدات تلك .. لا يفهم ..  
حتى أكمل مسيره وقد حلّ الليل .. ففوجئ بأن تلك المدينة رغم ما  
يدو عليها من الرثاء إلا أنها لم يصلها الكهرباء بعد .. ولكنه اندهش  
حين أضيئت المدينة بالنيران .. وانتشر الضياء في كل مكان .. ولا  
تختلف إضاءتها عن المصابيح التي يعرفها .. تلك هي الأخرى براعة  
هندسية ..

حتى جلس على جانب أحد الشوارع .. وكاد يغلبيه النعاس ..  
حتى فوجئ بأهل المدينة يستعدون وكأنهم يحتفلون بشيء ما .. الجميع  
يلعبون ويعرّحون .. والأطفال يرقصون .. ويسأل نفسه هل هناك عيدٌ  
ما .. يبدو كذلك .. وقد فرح بذلك .. فجميع أهل المدينة خارج  
منازلهم .. وسيؤنس ذلك وحدته دون مكن .. حتى اقترب منه فتى  
فسأله «خالد» لماذا يحتفل الناس هكذا .. فأجابه الفتى فرحاً:

- إن الاحتفال لم يبدأ بعد ..

ضحك «خالد» مداعباً الفتى :- أمال هيداً امثي ؟

تعجب الفتى :

- لماذا لهجتك غريبة ؟



رد «خالد»:- أنا من الشمال.. إنني غريب..

رد الفتى:- تقصد كنت غريباً.. أما الآن أنت من أهل زيكولا..

ابتسم «خالد» ووضع يده على رأس الفتى:

- عارف أن زيكولا أرض الكرم بس كمل..

أكمل الفتى:- اليوم الكل يستعد للاحتفال.. أما الاحتفال

الحقيقي سيكون غداً.. إنه أعظم احتفال في الكون.. والكثيرون من

البلاد البعيدة يأتون للمهظة المجاورة.. ويقفون بها لمشاهدة احتفالاتنا..

تعجب «خالد» وسأل الفتى:

- وأيه سبب الاحتفال؟

ظهر التعجب على وجه الفتى:

- إننى كنت أظنك غنياً.. أرجوك لا تدعني أشك في قدراتي بمعرفة

الأغنياء.. ثم أكمل:

- إن احتفالاتنا تبدأ غداً.. احتفالاً بيوم زيكولا.. اليوم الذي يعمل

من زيكولا أشهر مدينة بالتاريخ.. اليوم الذي يسمد به كل أهل

زيكولا..

ثم صمت قليلاً.. وأكمل:

- ماعدا شخص واحد بالطبع..

سأله «خالد» في لهفة:

- مين الشخص ده؟

ضحك الفتى:

- بيدوانك لا تعرف كثيرًا عن زيكولا.. ثم تنهد ونظر إلى «خالد»:

- سيدي، إن يوم زيكولا يُذْبَح فيه أفقر شخص يوجد بالمدينة..

\*\*\*

شعر «خالد» بالصدمة حين أخبره الفتى أن يوم زيكولا يذبح به أفقر من يوجد بالمدينة.. وحدث نفسه بأنه أفقر من بالمدينة.. وما معه من نقود لا تفيد بعدما تأكد من مواقفه السابقة أنهم لا يعترفون بتلك النقود.. وإن كان حديث الفتى صحيحًا سيكون هو الضحية.. حتى قاطع تفكيره الفتى وأكمل:

- في يوم زيكولا تُجرى منافسة بين أفقر ثلاثة أشخاص بالمدينة..  
أما غدًا -للأسف- فلن تكون هناك منافسة.. وسيذبح الشخص  
مباشرة بعدما نجح الأخران في الهرب.. أه لو رأيتها بعيني.. تذكر  
«خالد» من قابلها بالصحراء.. وقال بصوت عالٍ:

- المجانين؟؟!!

فنظر إليه الفتى حتى تدارك «خالد» قوله.. وحدث الفتى:

- تقصد إن الفقير ثم اختياره فعلاً..

رد الفتى:- نعم..

هنا تنفس «خالد» الصعداء .. وأخرج زفيرًا طويلًا .. وشكر ربه

في سره .. حتى أكمل الفتى:

- المعتاد في زيكولا أن يتم حبس الفقراء الثلاثة قبلها بأيام .. ثم

تقوم بينهم منافسة الغنى والفقير .. الزيكولا .. ومن يحضر منهم يذبح ..

وبالطبع طالما هرب الاثنان سبذبح الشخص الثالث .. ثم أشار إلى بيت

مجاور:

- إنه من متطفتا .. فظفر «خالد» إلى البيت وتعجب:

- ازاي ده بيت فقير ..

بعدها تركه الفتى، ومضى ليلعب مع من معه ..



جلس «خالد» مرة أخرى في مكانه .. يفكر فيها يحدث له، ويتذكر

ماذا حدث له منذ أن وجد نفسه بالصحراء .. وزاد إلحاح سؤاله الذي

تعهد تجاهله دائمًا .. أين هو؟ .. وأين زيكولا تلك التي لم يسمع عنها

من قبل .. وعن أهلها المشيرين للدهشة؟ .. بعضهم يبدو عاقلاً ..

والكثيرون لا ينتمون للعقلاء بشيء .. ثم انتفض جسده حين سأل نفسه

ماذا لو انتقل به الزمن عبر السرداب إلى الماضي كما كان يقرأ دائماً في

الأدب الأجنبي.. ماذا؟.. هل هذا صحيح؟ لا.. لا.. إنه خيال..  
إنني لم أسمع عن زيكونلا.. ولم أقرأ عنها من قبل.. هكذا حدثت  
نفسه.. ثم علا صوته:

- بس ليه لا؟

- الأحصنة اللي بتجر العربات.. ولبس الناس هنا.. مش معقول  
يكون لبس حد في القرن الواحد والعشرين.. الحاجات دي فات عليها  
قرون..

ثم عاد إلى نفسه:

- ممكن تكون دي بلد معزولة أنت مسمعتش عنها.. وده زعيم الوطني  
فعلاً..

- صاح إلى نفسه مجدداً:

- بلد آيه.. كل اللي مشبته في السرداب حوالى كيلو واحد أو اثنين  
بالكثير..

- أكيد أنا انتقلت في الزمن.. والدليل إنهم يتكلمو عربي وميعرفوش  
مصر.. هو فيه منطقة يتكلم عربي في العالم كله إلا الوطن العربي..  
- ثم أمسك رأسه بيديه:

- أنا حاسر إني مش قادر أفكر.. أنا كنت أذكى من كده.. ثم نظر بعيداً:

- بس.. ده الدليل إني انتقلت للماضي..

قال ذلك حين وجد جماعة يحملون سيوفاً ودروعاً وكأنهم جنود، ويسرون في صف واحد.. وفد وقف على قدميه.. واتجه مسرعاً إلى الفتى الذي كان يصرح مع أصدقائه.. وجذبه من يده:

- أنا عاوز أسألك سؤال واحد.. احنا في سنة كام؟

فأجاب الفتى متعجلاً:

- يبدو أنك تشرب الكثير من الخمر.. إننا في نهاية العام التاسع بعد الألفين يا سيدي..

فعاد «خالد» بقدمه للخلف.. ودارت به رأسه حتى سقط وكأنه فقد وعيه.. فضحك الفتى وتحدث إليه:

- نعم سيدي، أرى أن النوم قد يفيدك.. ثم تركه ومضى..



في صباح اليوم التالي فتح «خالد» عينه على صوت ضوضاء شديدة.. فوجد نفسه ملقى على جانب أحد الشوارع فنهض مسرعاً..

وحاول أن يصلح من هيأته، وأزال الغبار عن ملابسه.. حتى نظر أمامه وفرك شعره حين وجد ذلك الكم الهائل من الناس يسبرون بانتظام في اتجاه معين.. والجميع يرتدون ملابس تبدو جديدة..

الرجال يكون بأيدي النساء.. والفتيان يكون بأيدي الفتيات اللاتي بدا عليهن الجمال الشديد.. يسبرون في فرحة كبيرة، ويضع كل منهم حول رقبته عقدًا من الورد.. ونظلمهم موسيقى لم يسمعها من قبل، ولم يسمع ما يماثلها في جامها.. ويمزفها مجموعة من الأشخاص أصحاب زِيٍّ مختلف، ويحملون طبولًا ووتريات وآلات نفخ لم ير مثلها، ولكنها تُخرج صوتًا بديعًا.. ويسبرون وسط ذلك الحشد من الناس.. ثم وجد بعض الشباب يمتطون أحصتهم.. وخلف كل شاب توجد فتاة تلف يدها اليسرى حول خصره، واليمنى تمسك بها الورد وتلوح بها.. فابتسم «خالد» وقال:

- أنا عرفت ليه الكل متي اليوم ده..

ثم أعجبه تلك الحركات البهلوانية التي كان يقوم بها البعض.. حتى فوجئ بالعربة الثرية -التي كان قد تشبَّث بها هو و«يامن» حينما كان في الصحراء- تسير وسط الحشد، وقد خرجت منها فتاة في غاية

الجمال، وما إن خرجت حتى صاح البعض فرحاً وزاد سرورهم.. وبدأت تُلقني بالكثير من الورد، والكل يتهافت ويتسابق على أخذه.. حتى بدأت تقذف الورد لأعلى وما إن تسقط حتى يرتطم الشباب بعضهم ببعض.. وتزداد بسمتها الرقيقة.. و«خالد» يشاهد ذلك في سعادة كبيرة.. وينظر مجدداً إلى تلك الفتاة وقد شعر براحة نفسة كبيرة.. حتى وجد إحدى الفتيات تقرب منه وتسأله:

- لماذا تقف بمفردك؟.. يمكنني أن اصطحبك اليوم مجاناً.. فنظر إليها «خالد».. ثم نظر إلى فتاة العربية مرة أخرى:

- لا، شكراً..

ثم نظر بعيداً.. فوجد «يامن» فأسرع إليه وسط ذلك الزحام.. حتى وصل إليه بصعوبة وحذنه:

- «يامن».. أنت فاكركي؟

فابتسم إليه «يامن»:

- نعم.. أهلاً بك يا صديق.. ثم نظر إلى زبته:

- مبارك عليك الزبي الجديد.. ثم سأله:

- كيف كان يومك الأول بزيكولا؟



كانت الأصوات عالية من حولهم فاضطر «خالد» أن يرفع من

صوته:

- يومي الأول؟.. مش فاهم لحد دلوقتي أيه اللي بيحصل لي..

ضحك «يامن»:

- ريبا لأننا في أعياد زي كولا.. ما إن تنتهي الأعياد حتى تعود الحياة مرة

أخرى إلى الطبيعة.. إنها أيام استثنائية ليست كباقي الأيام..

فابتسم «خالد»: - ياريت.. ثم سأله:

- أمال فين المُرّة بتاعتك؟

اندهش «يامن»: ماذا؟؟!

ضحك «خالد»: - أقصد حيثك.. أنا شايف معظم الشباب معاهم

بنات..

ابتسم «يامن»: - آه.. لاء، إنني لم أرتبط حتى الآن..

نظر «خالد» إلى الأمام ثم سأله: - هو احنا رايجين فين؟

«يامن»: - ماذا تقصد بـ (رايجين)؟

رد خالد: - أقصد ذاهين؟

ضحك «يامن»:

- إننا ذاهبون إلى أرض الاحتفال حيث يلتقي هناك كل أهل زيكولا..  
وسيدبح شخص ما..

ضحك «خالد»:

- آه، عرفت.. الفقير.. ثم صمت، وأكمل سيرهما مع الآخرين..  
حتى سأل «خالد» مجددًا:

- «يامن».. هي مبن دي؟ ثم أشار إلى الفتاة التي ترمي بالورد من  
العربة..

رد «يامن»:

- إنها «أسيل».. طيبة زيكولا..

«خالد» وقد همس إلى نفسه:

- «أسيل».. طيبة؟ ثم وجدها تقذف بوردة إلى أعلى وتسقط

تجاهه.. وتصارع الشباب معه حتى قفز مستغلًا طولها، وقد أمسكها  
ونظر إليها مبتسمًا فابتسمت له ابتسامة جعلته هائلا للحظات..

الجميع يسرون، و«خالد» يعجبه ذلك الاحتفال.. والموسيقى

الرائعة التي تملأ في كل مكان، ورائحة الورد التي أنعمت صدره حتى  
تناسى أسئلته لنفسه عن أرض زيكولا.. وسار بجوار «يامن» وهو

ينظر إلى العربية وإلى «أسيل» التي تبسم كلما أمسك أحد بوردة قذفتها..  
ثم ينظر نظرة مختلفة تمامًا مقوَّسًا حاجبيه إلى الفتاة الأخرى التي رفض  
أن يسير معها.. والتي لم تُرحَ نظرها عنه طول الوقت، وما إن تصطدم  
عيناه بها حتى تُخرج له لسانها في غضب.. فينظر مجددًا إلى «أسيل»،  
ويستشق رحيق الورد التي أمسكها ويبتسم.. وتابع سيره معهم حتى  
وصلوا إلى أرض واسعة.. وقد فوجئ بوجود كم هائل من الناس قد  
بتعدى الحمين الفأ.. حتى اندهش وسأل «يامن» على الفور:

- ييه الناس دي كلها؟!

رد «يامن»: - إنهم أهل زيكولا.. جاءوا من مناطقها الكثيرة.. إنا جئنا  
من منطقة واحدة، وباقي الناس جاءوا من المناطق الأخرى..  
حتى ابتسم فرحًا حين اقترب منه شاب آخر.. واحتضنه كثيرًا ثم  
نظر إلى «خالد»:

- إنه صديق عمري «إياد».. ثم نظر إلى صديقه:

- إنه «خالد».. صديقي الجديد.. وتبدو عليه الشهامة، وسيكون  
صديقك بالطبع..

صافح «خالد» «إياد»، وقال مبتسمًا:

- أيوه.. هنكون أصدقاء لغاية ما أرحل فريبًا..

ضحك «إياد» بصوت عالٍ:

- ترحل؟؟ ثم نظر إلى «يامن»:

- صديقك يريد أن يرحل!!.. ثم ضحك مجددًا فغضب «خالد» من

سخريته.. ونظر إلى «يامن»:

- هو غريب إني أرحل ولا آيه؟



كاد «يامن» يبييه ولكنه أشار إليه أن يصمت بعدما دقت الطبول كثيرًا.. وقد صمت الجميع، وصمتت الموسيقى.. بعدها صعد رجل ضخم إلى منصة عالية ويده سيف طويل.. فأدرك «خالد» أن الذبح سيتم.. وأن الفتى كان صادقًا معه حين أخبره بذلك.. وبعدها صعد رجلان أقوياء، ويجزان رجلًا حليق الرأس يبدو عليه المرض رغم شبابه.. والصمت يجيم على الجميع.. حتى دقت الطبول مرة أخرى فنزل أهل المدينة كلهم على رُكبتهم ما عدا «خالد».. فجذبه «يامن» حتى نزل هو الآخر على ركبته بجواره هو و«إياد».. ونظر إلى تلك المنصة حيث سقط الفقير هو الآخر على ركبته، ويدها مقيدتان بالخلف.. وبعد

لحظات وخزء السيف في ظهره حتى شق برأسه فأطاح برقبة..  
وتناثرت دماؤه على المنصة.. فصاح أهل المدينة فرحاً.. ودقت  
الموسيقى مرة أخرى.. وبدأوا يرقصون ويمرحون.. وبدأت الألعاب  
البهلوانية مجدداً..

أما «خالد» فقد سرت في جسده رعشة مما رآه.. وانتفض قلبه  
بقوة، وتسارعت أنفاسه وهو ينظر إلى ذلك الجسد المنزوع الرأس..  
وجسده يرتعد، إنه لم ير مثل ذلك من قبل.. يتحس وجهه، ويأل  
نفسه هل يحلم أم أنها حقيقة؟.. ويأل نفسه مجدداً.. لماذا ذهبوا ذلك  
الفقير؟.. إننا في مجتمعنا نساعدهم.. إنهم قوم بلا قلب.. حتى صاح  
بـ «يامن»:

- «يامن».. احنا في سنة كام؟

رد «يامن»: - إننا في نهاية العام التاسع بعد الألفين..

صاح «خالد»: - ٢٠٠٩.. إزاي؟

ابتم «يامن» كي يمتص غضبه:

- إنه الزمن يا صديقي.. هل بيدنا أن نغير الزمن؟!.. ثم صاح «خالد»  
بـ «إياد» في عصبية:

- وإيه الغريب إني أرحل وأسيب زيكولا؟!

رد «إياد»:

- يا صديقي.. إن باب زيكولا قد أغلق بنهاية أمس.. إنه لا يفتح إلا قبل يوم زيكولا بيوم واحد.. ثم يغلق مجددًا حتى يوم زيكولا في العام الذي يليه.. ولا يستطيع أحد مغادرة زيكولا حتى ذلك اليوم.. أكمل «يامن»، ونظر إلى «خالد»:

- إنه اليوم الذي دخلت فيه إلى زيكولا.. ثم سأله متعجبًا:

- لماذا تريد أن ترحل وأنت لست فقيرًا؟

جن جنون «خالد».. وقد فاض به :

- مين اللي قالك إني مش فقير؟!.. لأ، أنا فقير.. أنا محتلكش أي حاجة..

اندعش «إياد»:- كيف هذا؟!.. ألا تشعر بتفك؟

رد «خالد» غاضبًا:- أشعر بأيه؟!.. دي حتى الفلوس اللي كانت معايا، وحدث ربنا إنها كانت معايا بالصدفة قلتوا عليها ورق وملهاش أي قيمة..

ابتسم «يامن»:- ولماذا تحتاجها يا صديقي؟

رد «خالد»: - دي فلوس.. يعني اشترى بيها اللي أنا محتاجه..

اندهش «يامن»:

- تقصد العملة؟!

«خالد»: - أيوه..

صمت «يامن» ثم تحدث مجددًا:

- أها.. الآن عرفت لماذا زاد ارتباكك إلى هذا الحد حين وجدت

ذلك الفقير يذبح.. إنك خفت أن تكون فقيرًا وتذبح مثله.. ثم نظر إلى

«خالد»:

- يا صديقي إن عملتنا مختلفة تمامًا.. إن عملة أرض زيكونلا هي

وحدات الذكاء.. ومن يكون ذكيًا هو الغني.. أما الفقير فهو الأقل

ذكاء.. هنا نعمل ونأخذ أجرنا ذكاء.. ونبتاع ونُدفع من ذكائنا..

ونأكل مقابل وحدات أخرى من الذكاء.. ثم صمت برهة وأكمل:

- لا أعلم من أين جئت.. ولكننا ولدنا فوجدنا أنفسنا هكذا..

علينا أن نحافظ على ذكائنا.. وأنت منذ دخولك إلى أرض زيكونلا

أصبحت مثلنا.. وعليك أن تحافظ على ذكائك، وأن تنميّه.. كي لا يأتي

يوم زيكولا وقد قلّ ذكائك؛ فيكون هذا مصيرك.. ثم أشار إلى جثة  
الذبيح فنظر إليه «خالد» متعجبًا.. وكأنه لا يفهم شيئًا:

- «يامن».. أنا كنت يقول عليك عاقل..

رد «يامن»: - أعلم أنك تظننا بلهاء.. ولكننا - أهل زيكولا -  
نختلف عن باقي بقاع الدنيا.. والكل يعلم ذلك.. ويخشون أن يدخلوا  
إلينا حتى لا تسرى رعشة زيكولا بجسدهم ويصبحون مثلنا..

هنا تذكر «خالد» تلك الرعشة.. وذلك الألم الشديد الذي حلّ  
برأسه حين مرّ من باب زيكولا.. وقد أكمل «يامن»:

- عليك أن تصدقنا.. وأن تحافظ على ذكائك لأن اعتقادك بأننا  
بلهاء لن يفيدك بشيء.. أنت لن نستطيع أن تغادر زيكولا مهما حدث..  
وإن جاء يوم زيكولا وكنت الأقل ذكاءً فيحدث لك مثلما أخبرتك،  
ثم تابع:

- إنه عام.. ستحتاج إلى طعام، وإلى شراب، وإلى ملابس  
وممكن.. وهنا في زيكولا لا يعطى أحد شيئًا بالمجان.. سوى يوم  
زيكولا فقط.. اليوم.. يكون يومًا بلا عمل.. وقد تكون هناك أشياء  
قليلة للغاية دون مقابل..



- عليك أن تعمل وتأخذ أجرك من الذكاء تعرض ما تفقده لسد احتياجائك.. صديقي، هنا في زيكونا لا ثروتك هي ذكاؤك..

ما زالت الذهنة منطبعة على وجه «خالد».. وبدأ يشك بذلك، ويشعر بأن ذكاءه قد قلّ بالفعل منذ دخوله إلى تلك المدينة، وأن قدرته على التفكير قد قلت قليلاً.. ولا يعرف السبب.. ولكن ما يقوله «يامن» لا يصدقه عاقل حتى تذكر شيئاً.. وتحذّث إلى «يامن»:

- كلامك مش صحيح.. أنا أكلت وشربت واشترت هدومي من غير مقابل..

ابتسم «يامن»:

- صديقي.. هل لاحظت وجود الأسعار بالوحدات في تلك الأماكن؟ تذكر «خالد» تلك الوحدات.. والتي سأل نفسه عنها من قبل:

- أيوه..

أكمل «يامن»:

- وحدات الذكاء لا تدفع باليد.. إنها تنتقل تلقائياً بيتاً.. وطالما رأيت تلك الوحدات.. أقصد الأسعار، وتواجدت في تلك الأماكن.. هذا يعني أنك موافق على الشراء وعلى الأسعار التي رأيتها.. وينتقل

منك ثمن ما أكلته أو اشتريته إلى صاحب هذا المكان دون إرادتك..  
الغريباء يسمونها لعنة زيكولا.. قاطعه «خالد» هاتماً:

- أنا أكلت كثير.. والزِّي ده كان مكتوب عليه أكبر وحدات..  
وصاحبه قال إنه أغلى زِيّ عنده.. وشكرني لأنني غني..

رد «يامن»: - بالفعل يا صديقي.. لقد لاحظت اليوم اختلافك قليلاً  
عن المرة الأولى التي رأيتك بها..

ثم نظر إلى «إياد»:

- يبدو أن صديقنا قد فقد جزءاً ليس بالقليل من ثروته...



تساءل «خالد» في لهفة:

- وأنت عرفت أزاى؟

فابتسم «يامن»:- إن وجهك أصبح شاحبًا بعض الشيء يا صديقي..  
ثم أكمل:

- كلما قل ذكاؤك زاد شحوب وجهك، وبدي المرض عليك..

وهكذا نعرف من هو الغني ومن هو الفقير.. كلما تكسب ثروة تكون  
طبيعي بل يزداد شبابك.. أما حين تحسر فستجد المرض ينسرب إلى  
جسدك.. وهكذا حتى يقترب يوم زيكولا فيقوم الجنود بجمع الأكثر  
مرضًا بالمدينة.. ويعرضون على «أسيل».. الطيبة... وهي من تحدد  
المريض حقًا والمريض بالفقر.. وبعدها تختار الثلاثة الأشد فقرًا..

فقاطعه «خالد» قبل أن يكمل حديثه:

- لا دي بلد مجاتين.. أنا لازم أسب البلد دي.. ثم تركهما وجري..



ترك «خالد» «يامن» و«إياد» وجري مسرعاً.. وقلبه يبدق خوفاً..  
يخشى أن يكون ما قالاه واقعياً.. وأكمل جريه هائلاً وسط الزحام..  
وأهل المدينة يرقصون ويمرحون والموسيقى في ذروتها.. و«خالد»  
يتحرك بصعوبة بينهم، ويحاول أن يخرج من هذا الزحام.. ويصطدم  
بالتفتيان والفتيات دون أن يعتذر.. ما يشغل باله أن يخرج إلى باب  
زيكولا.. وواصل جريه بعيداً عن أرض الاحتفال.. ويجذث نفسه:

- مش معقول يكون ده صحيح.. مش معقول..

وتعدو قدماء مرتعين.. حتى اقترب من باب زيكولا، وقد ظهر  
العرق الغزير على جبينه.. فوجده قد أغلق بالفعل ونواجد أمامه الكثير  
من الحراس.. فاقترب «خالد» من أحدهم وقد كان ضخم الجثة..  
وحذّته:

- أنا عاوز أخرج..

فضحك الحارس ساخرًا:

- تخرج؟؟

فصاح «خالد»: أيوه.. أخرج

فضحك الحارس مجددًا.. ثم نظر إلى حارس آخر وحذّته:

- إننا نترك احتفالات زيكولا ونقف هنا حتى يأتي السكاري.. ويعبثون معنا..

فصاح «خالد» مجددًا:

- أنا مش سكران.. أنا هخرج.. ثم دفع الحارس يده..

فظهر الغضب على وجه الحارس ثم لكم «خالد» لكمة قوية أعادته خطوات للخلف.. حتى سقط على الأرض وقد سالت الدماء من حاجبه الأيسر.. فتهض «خالد» على الفور ثم عاد ووقف أمام الحارس مرة أخرى.. ولكنه نظر إلى الدرع الذي يحمله.. وكان لامعًا كالمرآة.. وأمعن النظر به، ونظر إلى صورته المنعكسة.. لا يخشى أن يلكمه الحارس مجددًا.. ولا تشغله الدماء التي تسيل على وجهه.. بل يتحسس وجهه بيديه.. وما يدي عليه من شحوب.. وينظر إليه وقد اتسعت عيناه من الدهشة والخوف.. وتسارعت أنفاسه وخفق قلبه بقوة.. حتى قاطع تفكيره صوت الحارس الغليظ:

- عد إلى حيث كنت وإلا سيكون السجن مصيرك..

فنظر إليه «خالد» في خيبة أمل واضعاً يده على حاجبه .. يريد أن  
يوقف دماءه .. وقد أدرك أن الباب لن يفتح كما أخبره «إياد» .. وأن  
حديث «يامن» إليه ما هو إلا الحقيقة التي نخشيتها ..



بعدها عاد «خالد» إلى شوارع المدينة .. يسير هاتئاً، ويفكر كيف  
سيعيش عاماً في تلك المدينة الملعونة .. ويسأل نفسه: عام؟! .. إنه لم  
يستطع أن يعيش يوماً واحداً .. فكيف له أن يعيش عاماً كاملاً، ثم عاد  
بتفكيره .. ماذا لو مر العام وكنت أفقر من المدينة .. ماذا لو كنت  
الأغنى .. ثم علا صوته .. وسأل نفسه:

- وجُدِّي؟!

- هل هيقدر يعيش سنة من غيري .. أنا كنت بقول يومين أو ثلاثة  
وأرجع له ..

- يا ترى فُكّرني مت زى أبويا وأمي؟

- سنة؟! هيعيش هنا سنة؟!!

وظل هاتئاً هكذا حتى أفاق حين صدمه حصان ما .. وقد كان  
الحصان الذي يجر العربى الثرية .. عربى «أسيل» .. فصاح به سائق العربى

يعنفه.. ثم توقفت العربية، ونزلت منها «أسيل» على الفور لتطمئن عليه.. ولكن «خالد» قد غادر هائثًا.. ورغم ندائها إليه كثيرًا فقد أكمل مسيره دون أن يلتفت وكأنه يتجاهلها.. فعادت إلى العربية مرة أخرى.. وحدثت نفسها:

- لو كان شخصًا آخر.. لطلب تعويضًا على ذلك.. ثم أمرت السائق أن يتحرك من جديد..



مرت ساعات و«خالد» مازال يسير بالمدينة.. ولم يتوقف عقله عن التفكير.. حتى وجد نفسه يقرب من بحيرة واسعة.. فأسرع إليها وحين تذوق ماءها وجدده عذبًا.. فابتسم وشرب منها كثيرًا.. ثم أسند ظهره على شجرة بجوار البحيرة.. وضحك حين جال بخاطره أن يأتي والد «منى» إلى تلك المدينة.. وأقسم أنه سيذيع على الفور.. حتى «منى» لو جاءت ستذيع هي الأخرى.. يتذكر أصدقاءه وأنهم لا يمتلكون من الذكاء شيئًا، بل سيذهبون كلهم.. ثم ضحك وحدث نفسه ساخرًا:

- عاوز أكل مقابل وحدتين ذكاء..

ثم ضحك مجددًا حين تذكر أحد أصدقائه.. وكان سمينًا للغاية  
ويأكل كثيرًا.. وأنه لو كان بزيكولا لفقد ثروته كلها مقابل أن يأكل..  
ثم تحدث إلى نفسه:

- بتضحك يا «خالد».. فعلاً مصري ابن مصري.. نضحك في  
أشد أوقات الكرب.. ثم سأل نفسه:

- هتعمل إيه يا «خالد»؟

- فأجاب نفسه.. وكأنه شخصًا آخر.. وقد أغلظ من صوته:

- معيش زي الناس هنا.. أنت قدامك حل تاني؟ فردّ كأنه الشخص  
الأول:

- لا..

- فابتسم.. وجعل صوته غليظًا مرة أخرى:

- يبقى تكبّف مع الوضع.. وأملًا بك في زيكولا..

بعدها نظر إلى السماء التي خيم عليها الليل.. وانتشر السكون  
حتى اختفى مرة أخرى حين وجد ألعابًا نارية غريبة عما يعرفها تزيين  
سماء زيكولا.. ولم تتوقف للحظة فابتسم:

- يوم زيكولا.. ثم أكمل بعد برهة من الصمت:



- كلَّها ساعات ويتهي.. وأشوف زيكولا على طبيعتها..

ثم نظر إلى البحيرة، إلى شاطئها فلم يجد أحدًا غيره.. فوجدها فرصة أن يستحم.. وما إن تجرد من ثيابه.. وكاد يكون عاريًا تمامًا حتى شعر بحركة غريبة.. وسمع همسًا وبعض الضحكات فالتفت فوجد فتاتين تنظران إليه.. فارتدى ملابسه على الفور، ثم أسرع عائداً إلى الشجرة مرة أخرى، وأسند إليها ظهره من جديد.. وضحك وحدث نفسه:

- لا.. أنا بقول أناام أحسن..



مرّ الليل، وقد أشرقت الشمس.. و«خالد» نائم بجوار شجرة على شاطئ البحيرة.. حتى انتفض حين سمع صرخات.. وحين نظر بعيداً وجد سيدة تصرخ بأن ابنها يغرق في البحيرة.. فأسرع «خالد» إلى البحيرة بملابسه.. يريد أن يصل إلى ذلك الفتى، والذي كان بعيداً بعض الشيء.. ولم يتخيل أن تكون البحيرة عميقة هكذا.. حتى اقترب منه فجذبه تجاهه، وعاد به مرة أخرى إلى الشاطئ.. وقد فقد الفتى وعيه، وما زالت أمه تصرخ.. أما «خالد» فقد أنام الفتى على ظهره..

وبدا يضغط يده على صدره.. يريد أن ينعش قلبه.. يضغط بعض الضغوطات ثم يضع فمه على فم الفتى ويملا صدره بالهواء.. ثم يعود ليضغط بعض الضغوطات مرة أخرى.. وقد اجتمع الناس من حوله، ومن بينهم «أسيل» التي أسرعت إلى الفتى وطلبت من «خالد» أن يبتعد عنه.. ولكن «خالد» لم ينظر إليها ولم يرفع نظره عن الفتى.. وما زال يضغط على صدره ويعطيه من الهواء.. حتى شفق الفتى.. وبدأ «خالد» يشعر بنبضات حين وضع أصبعيه على رقبته.. فحمد الله ثم نظر إلى أمه:

- الحمد لله.. هوبخير.. فنظرت إليه الأم باكية، وقد احتضنت ابنها:

- شكرًا لك.. ثم سالت:

- كم تريد مقابل هذا؟

فتعجب «خالد» ثم أجابها:

- أنا مش عاوز حاجة.. أي حد مكاني كان هيعمل كده.. خدي بالك منه بعد كده.. والناس ينظرون إليه في غرابة.. حتى سألته «أسيل»:

- كيف فعلت هذا؟!.. ولماذا لم تتركني أساعدك؟!

فرقع «خالد» رأسه.. ونظر إليها، وكانت المرة الأولى التي ينظر إليها بعدما لم يترك نظره الفتى حين كان ينقذه.. حتى فوجئ بأنها

صاحبة الصوت الذي طلب منه أن يتركه.. فشعر بقلبه يخفق سريعاً حين وجدها قريبة منه إلى ذلك الحد.. لا تفصلها سوى أقل من خطوة.. وحدث نفسه في سره.. إنها جميلة جمال لا حدود له.. ينظر إلى شعرها الأسود الطويل، وعينيها الضيقتين، ورموشها السوداء الطويلة.. ويتذكر ضحكتها حين كانت ترمى الورد، وتضيق عيناها كلما ضحكت فتعطيها جمالاً خاصاً، ولا سيما مع شفيتها الرقيقتين.. حتى نطق هامساً:

- «أسيل»!!...

فقوشت هي الأخرى بأنه من تجاهلها، ومضى حين اصطدم حصان عربتها به.. ثم سأله مجدداً:

- كيف فعلت هذا؟

ضحك «خالد»:

- أول مرة أحس أنني اتعلمت حاجة مفيدة.. دي دورة إسعافات أولية كنت اتعلمتها في القاهرة.. ثم أسرع، وأخرج وردة من ملابسه المبتلة.. والتي قد التقطها في اليوم السابق.. ونظر إليها مبتسماً:

- دي وردتك.. أنا محتفظ بيها..

فتجاهلت «أسيل» حديثه عن تلك الوردة.. وسأله:

- لماذا لهجتك غريبة؟.. ثم أكملت:

وأين القاهرة تلك؟

فابتسم «خالد»:

- دي قصة غريبة جداً.. وأكد مش هتعرفي القاهرة.. أنا مش من

زيكولا.. ثم أراد أن يتحدث إليها بلهجتهم:

- لست من زيكولا.. وقد دخلت إلى زيكولا أول أمس.. ولم أكن

أعرف أن بابها سيفلح..

- فصمتت «أسيل».. وكأنها تتذكر شيئاً ما.. ثم نظرت إليه:

- مثلي تماماً..

رد «خالد» في لهفة:

- مثلك؟؟!!

ردت «أسيل»:- نعم مثلي.. أنا أيضًا لم أكن من أهل زيكرولا ثم

نظرت إلى حاجبه الذي لم يلتئم جرحه بعد:

- أنا آسفة..

اندهش «خالد»:- عل أيه؟

«أسيل»:- أرى أن اصطدام حصان عربتي بك قد أصاب حاجبك ..

فابتسم «خالد»: أي حصان؟

فأجابت: حصاني بالأمس..

فتذكر «خالد»:- لا.. لا.. مش الحصان .. أنا المفروض اللي

اعتذر ليكي لأنى امبارح مكثش في حالتي الطبيعية بعد ما شفت الفقير

اللي دبختوه.. بس أرجو كي كملي حكايتك، وإزاي أنتي مش من

زيكرولا..



انصرف الناس، وحملت الأم ولدها وانصرفت.. وجلست

«أسيل» بجوار «خالد» على شاطئ البحيرة والتي بدأت تتحدث:

- كانت هناك حروب كثيرة منذ سنوات طويلة بين زيكولا

والبلاد الأخرى.. ومن بينهم بلدي (بيجانا) .. فكان جيش زيكولا

يخرج يوم زيكولا، ولا يعود إلا يوم زيكولا الذي يليه.. حتى جاء يوم

منذ أربعة عشر عامًا.. واستطاعت زيكولا أن تملك بلدي.. وأخذت

الكثير من أعيانهم.. وقد كنت منهم.. كنت ابنة عشرة أعوام وقتها..

قاطمها «خالد» في دهشة:

- عبيد؟!

أكملت: - نعم.. كان الرق يتواجد في زيكولا حتى أعوام قليلة.. ولكنه

لم يعد متواجدًا الآن..

«خالد»: - ماشي.. كملي..

أكملت: - دخلنا إلى زيكولا.. وبالطبع كما حدث لك حين

دخلت إلى هنا، أصابتنا لعنة زيكولا.. وأصبحنا مثلهم.. تعاملنا

بوحداث الذكاء، والأفقر يُذبح.. ولكنني كنت أوفر حظًا من غيري..

فقد اشتراي رجل حكيم كان ذا قلب رحيم.. وكان يدرس الطب

والحكمة.. وأعطاني الكثير من علمه، ثم أعطاني حريتي قبل أن يموت.. وأعطاني ما هو أهم.. أعطاني كتبه عن الطب والحياة.. فتعلمت منها الكثير، وأصبحت طيبة زيكولا.. وعاملتهم بطريقتهم أداويهم مقابل جزء من ذكائهم.. وهنا يمرضون كثيرًا، وأنا أجنى الكثير.. فأصبحت من أثرياء زيكولا، وأنا ابنة الرابعة والعشرين.. قاطعها «خالد» مجددًا:

- ومفكر تيش نخرجي من زيكولا.. وترجمي لبلدك؟  
ابتسمت وأكملت:

- كنت في البداية انتظر اليوم الذي أعود فيه إلى بلدي، وأن أخرج من هنا.. ولكن بعد أربعة عشر عامًا أصبحت زيكولا حياتي.. أحيت الحياة هنا.. قد أذهب أحيانًا إلى بلدي القديمة يوم يفتح باب زيكولا.. ولكنني لا ألبث أن أعود إلى هنا سريعًا قبل أن يغلق الباب مجددًا.. سأها «خالد»:

- لأنك غنية؟

أجابت: - ربما يكون هذا سببًا.. ولكن السبب الأكبر أنني أحب زيكولا لأنها قوية.. رغم ما بها من مساوئ، ولكنها الأقوى بين

البلدان.. لا تستطيع البلاد الأخرى الاقتراب منها.. ستعرف مع وجودك هنا ما الذي يعطي زيكونلا تلك القوة.. واعتقد أنك ستحبها مثلما أحبتها..

صمت «خالد» قليلاً مفكراً في حديثها.. ثم سألها:

- زيكونلا.. وبلدك اسمها بيجانا.. احنا فين من العالم؟

ولكنه لم يلبث أن يسأل سؤاله حتى جاءت فتاة مسرعة إلى

«أسيل» تخبرها بأن هناك مريضاً في حاجة إليها.. ولا بد أن تسرع..

فنظرت إلى «خالد»:

- أننى أريد أن أعرف حكايك أيضاً.. أين أجلك مجدداً؟

ضحك «خالد»:

- هنا.. هنا مسكني.. بجوار شجرة البحيرة..

«أسيل»:- حسناً أتمنى أن تكمل حديثنا لاحقاً.. ثم ابتسمت:

- هنا.. بجوار البحيرة..

غادرت «أسيل».. وقد تعجّب «خالد» من حديثها، وسأل نفسه:

- يمكن تكون زيكونلا مدينة غريبة.. لكن واضح إنه عالم غريب

بالكامل.. فين بيجانا دي هي الثانية.. وازاي يتعاملو فيها.. ثم ابتسم



وحدّث نفسه: - كده بقى فيه اللي ظروفه زي ظروفى، ومين؟ .. دي  
«أسيل» .. ممكن أكون من أغنى الأغنياء هنا؟ .. ممكن أكون رَتيها؟ .. ثم  
أفاق:

- لا .. أنا مش عايز أبقي أغنى الأغنياء .. أنا عايز أمشي من البلد  
دي .. ولكن هروح فين .. وازاي هرجع بلدي مرة ثانية حتى لو  
خرجت من زيكونلا ..

- المهم إني أمشي من زيكونلا الأول، وبعدها أفكر إزاي أرجع  
بلدي .. ولكن علشان أمشي لازم أفضل عايش ..  
ثم نهض مجدداً، وقد بدأت ملابسه تحف محدثاً نفسه: لازم الاقي  
شغل ..



اتجه «خالد» إلى شوارع المدينة .. وقد عزم على أن يجد عملاً  
يساعده أجره على البقاء حياً في تلك المدينة .. ولكنه ما إن ذهب إلى أحد  
ليأله عن عمل حتى يرفض طلبه .. فيذهب لآخر فيرفض هو الآخر ..  
وظل هكذا يبحث ويبحث حتى تعبت قدماءه .. وجلس إلى جانب أحد  
الشوارع .. ففوجئ بـ «يامن» يقترب منه ، ويصافحه :

- أين أنت يا صديقي؟ ..

«يامن»: - أهلاً «يامن» .. «يامن» ، أنا عاوز اشتغل .. وحاولت

ألاقي شغل بس الكل رفض يشغلني ..

سأله «يامن»: - أين بحثت عن العمل؟

رد «خالد»: - في المنطقة دي .. المطاعم ومحلات البيع ..

«يامن»: - إنك أخطأت في بحثك .. هنا يريدون أن يوفروا مكسباً

كبيراً ، وعملك معهم سيفقدهم جزءاً من مكسبهم .. ستعرف كل شيء

عن حياة زيكولا مع مرور الأيام .. ثم تابع:

- إن المدينة مليئة بآماكن العمل .. هل تريد أن تعمل معي؟

رد «خالد»: - أيوه ..

«يامن»: - دون أن تعرف ماذا أعمل؟

اندهش «خالد» وسأله:

- هو عمل حرام ولا أيه؟

«يامن»: - ماذا تعنى بحرام؟

رد «خالد»: - أقصد عمل مش كويس ..

أسرع «يامن»:- لا، لا.. إنه عمل مشرف.. إننا نعمل بجد..  
عملنا يحتاج إلى الأقوياء مثلك.. ربما يكون أجره قليل ولكنه يكفي  
لاحتياجاتنا..

«خالد»:- وفيين العمل ده؟

ابتسم «يامن»:- حسنا.. تعال معي..



انطلق «خالد» مع «يامن»، وسارا إلى أطراف المدينة حيث منطقة  
جبلية.. حتى فوجئ «خالد» بعدد هائل من الفتيان والفتيات يعملون  
كأسراب النمل.. وقد اندهش من ذلك الكم الهائل.. وسأل «يامن»:-  
كل الناس دي بتشتغل؟

«يامن»:- نعم يا صديقي.. وهناك الآلاف يعملون في مناطق  
أخرى.. إن الصناعة هنا مربحة..  
ثم أشار إلى مكان ما:

- هنا نقطع الأحجار من الجبال ثم نصنع منه طوبًا يصلح لبناء  
المساكن.. وكل هؤلاء الناس يعملون، ويأخذون أجرهم يومًا بيوم..

وأنت وأنا سنكون بينهم.. أجرنا سبع وحدات ذكاء باليوم، هل يناسبك؟

ابسم «خالد» ثم تابع «يامن»:

- هيا.. عليك أن تثبت أنك جدير بالعمل..



بدأ «خالد» عمله مع «يامن» والآخرين... يقطعون الصخور والأحجار بالآلات اليدوية.. وربما كان عملاً يحتاج إلى قوة بدنية ولكن هذا ما كان يمتلكه «خالد» تمامًا.. وبدأ بعمل، يرفع الفأس بيديه ويهوي بها على الصخور.. وما إن تحطمت أول صخرة حتى نظر إلى «يامن»: لقد بدأنا العمل بالفعل.. ويحدث نفسه ساخرًا.. بكالوريوس تجارة إلى مخزن أدوية إلى تقطيع حجارة.. ويتابع عمله.. والجميع ينظر إليه في إعجاب، وخاصة بعدما طلب من «يامن» أن ينافسه.. من يقطع الحجارة أسرع.. وقد تخلص من قميصه وربطه حول خصره.. وغطى العرق جسده فجعله لامعًا مبرزًا عضلاته..

الجميع يعملون، و«يامن» و«خالد» يتنافسان ويسرعان.. والكل ينظر إليهما وإلى ما يبذلانه من جهد، وقد أثارا حماس الباقيين.. حتى

أخذنا قطعاً من الراحة.. وقد زادت دهشة «خالد» حينما نظر إلى الناس مجدداً.. وإلى الفتيات اللاتي يعملن بقوة.. وتحملن الأحجار إلى العربات.. وسأل «يامن»:

- إزاي البنات بتشتغل الشغل الصعب ده؟

رد «يامن»: لا توجد فتاة بالمدينة لا تعمل.. إن قانون زيكون لا يسري على الأطفال فقط.. ولكن ما إن تجاوز الشاب أو الفتاة السابعة عشر أصبحوا خاضعين لقانون زيكون.. وعلى الشاب أن يعمل من أجل ثروته.. وعلى الفتاة أن تعمل من أجل ثروتها.. ثم أردف:

- هنا لا أحد يعطي غيره من ذكائه دون مقابل.. حتى إن تزوجت فلن يعطيها زوجها.. إما أن تعمل وإما أن تموت.. أو أن تجد حلاً آخر.. هو أن ترث..

رد «خالد» مندهشاً: - ترث!!

«يامن»: - نعم.. هنا الميراث يقسم على الأبناء بالتساوي..

ابسم «خالد»: - الميراث ذكاء؟

«يامن»:- وهل توجد ثروة أخرى يا صديقي؟؟.. حين يموت أحد  
تتقل ثروته تلقائياً إلى ورثته.. هيّا تابع عملك..  
ابتسم «خالد»:- حسناً..



مرت ساعات، و«خالد» يعمل ومعه «يامن» حتى بدأت الشمس  
في الغيب.. فتوقف الجميع عن العمل، وقد ظهر الإنهاك على «خالد»  
فضحك «يامن»:-

- هل تعبت؟

فابتسم «خالد»:-

- أكيد.. أنا مش متعود على مجهود بدني بالطريقة دي..

فضحك «يامن»:-

- ستعتاد.. علينا أن نغادر..

«خالد»:- وأجرنا؟

رد «يامن»:- ما إن نغادر مكان العمل حتى يصلنا أجرنا دون أن  
نشعر.. طالما عملت سيصلك أجرك..

ابتسم «خالد»:-

- زيكونا..

«يامن»: - أين ستذهب.. هل نجتمع بالمساء؟

تذكر «خالد» «أسيل»:

- لا.. أنا اشتري طعام.. ويعددين هروح البحيرة مكافئ..

«يامن»: - حنا..



دخل الليل، وقد اتجه «خالد» كي يحصل على طعام.. وما إن

جلس بأحد المطاعم ليأكل حتى وجد جميع من هناك لا يأكلون سوى

الخبز.. وقد أتني رجل المطعم، وسأله:

- ماذا تريد أن تأكل أيها الغني؟

فابتسم «خالد» ثم طلب منه أن يخبره بأسعار الطعام.. فرد

الرجل:

- هنا الخبز مقابل وحدة واحدة.. والأرز مقابل ثلاث وحدات..

والدجاج خمسة وحدات.. واللحم ثمان وحدات..

فعلم «خالد» لماذا يأكل الجميع الخبز.. وقد طلب دجاجًا وخيرًا..  
وأكل حتى شبع ثم اتجه مسرعًا إلى البحيرة.. وجلس بجوار الشجرة  
التي يجلس بجوارها دائمًا..



ظل «خالد» جالسًا بجوار البحيرة.. ويسأل نفسه هل ستأتي  
«أسيل» كما أخبرته أم تأخر الوقت فلن تأتي.. وإن لم تأتي كيف  
سيقابلها مجددًا وعمله ينتهي مع انتهاء النهار.. ويحدث نفسه.. لماذا  
تريدها أن تأتي يا «خالد».. فيجيب.. أريد أن أخبرها بقصتي، وربما  
تساعدني.. إنها تبدو أكثر ذكاءً وثقافة من الآخرين.. ثم سأل نفسه ألا  
يوجد سبب آخر؟.. فأجاب بعد صمت لا، لا.. ثم ضحك.. ربما..  
حتى بدأت آلام جده تشد من ذلك المجهود الذي بذله.. وظل في  
انتظار «أسيل» حتى مرَّ الوقت، وغلبه النعاس دون أن تأتي..



في صباح اليوم التالي، أسرع «خالد» إلى عمله الجديد.. ولكنه  
فوجئ بثلاثة أشخاص يعترضون طريقه، ويوقفونه وقد أخرج أحدهم  
سكينًا.. ثم سأله:



- أين نصيبنا من عملك؟

فصّاله «خالد» في غرابة:

- نصيكم؟؟؟

رد أحدهم: - نعم.. لنا منك (وحدثان ذكاء) كل يوم.. هل تقبل أم لا؟

اندهش «خالد» غاضبًا: - مقابل أية؟

رد: - أننا نحملك..

«خالد»: - لا.. لا أقبل..

فقام أحدهم بلكمته، ثم انهالوا عليه ضربًا حتى أسرع «يامن»

الذي كان يمر بالقرب منهم:

- لماذا تضربونه؟

رد أحدهم: - إنه لا يريد أن يدفع لنا نصيبنا..

«يامن»، وقد حاول أن يخلص «خالد» من أيديهم:

- سيدفع.. سيدفع..

ثم نظر إلى «خالد» الذي سالت الدماء من شفتيه:

- ادفع لهم وحدثين..

فنظر إليهم «خالد»:

- حنا أقبل..

فرد أضخمهم:- حنا.. ثم انصرفوا.

فنظر «خالد» إلى «يامن»:

- مين دول؟

رد «يامن»:- إنهم لا يعملون.. ويجبروننا أن ندفع لهم والا تعرضوا لنا بالأذى..

«خالد»:- بلطجية يعني.. وعاوزين إناوة..

«يامن»:- أخي، إننا نحيا في زيكولا هكذا.. وقد تعودنا على ذلك..

«خالد» متفعلاً:- تدفع من ذكائك مقابل حمايتك.. وفي الشرطة..

رد «يامن»:

- إنهم ليسوا مذنبين.. وفانون زيكولا لا يعاقبهم.. إنهم يريدون أن

يقروا أحياء.. وهذا لا يتعارض مع قوانيننا.. عليك أن تدفع وحدتين

كل يوم، وأن ترضى بذلك..

صاح «خالد»:

- إزاي أكون باخد سبع وحدات في اليوم، وأدفع وحدتين مقابل

حمايتي، وأكل منين، ويتقى لي إيه..

«يامن»:- عليك أن تبذل جهدًا أكبر لتوفر أكبر قدر من أجرِكَ..  
ربها يساعدك مخزونك الكبير قبل أن تأتي إلى هنا والذي قد يصل إلى  
الألف وحدة.. ولكن نصيحتي إليك.. إياك أن تقترب مجددًا من  
مخزونك من الذكاء.. إنه كفيـل بأن يبعدك عن الفقر..  
همس «خالد»:- أتمنى..  
ابتسم «يامن»:- حسنًا.. هيا إلى العمل.. ما رأيك في مناقشة كبيرة  
اليوم..



مرت الأيام.. و«خالد» يعمل مع «يامن» في صناعة الطوب من  
الأحجار.. ويمر يومًا بعد يوم، و«خالد» ينهض من نومه، ويتجه إلى  
عمله، ويدفع الوجدنين مقابل حمايته.. ثم يذهب إلى عمله فيحطم  
الصخور بفأسه.. وقد أصبح شعره الناعم طويلًا بعض الشيء، كما  
غطت لحية الناعمة وشاربه وجهه، وكبرت عضلاته.. وأصبح الكثير  
من أهل المدينة يلقبونه بالغريب القوي..

يسير في شوارع المدينة.. ويضحك مع هذا وذاك.. ثم يأكل  
الدجاج والحبز كعادته.. ويعود إلى البحيرة مرة أخرى فيلقي بنفسه في

مائها كي يريح جده من عناء العمل.. ويظل يتظر «أسيل» كل يوم.. ويرفض أن يقابل «يامن» ليلاً.. ويحدث نفسه.. ربما ستأتي اليوم.. وعمر الأيام دون أن تأتي.. حتى أدرك أن «أسيل» قد نيت وعددها له بأن يكملها حديثهما بعدما لم يرها منذ حديثهما السابق والوحيد.. ويظل ساهراً على شاطئ البحيرة حتى يغلبه النعاس فينام.. حتى يأتي صباح اليوم التالي.. ويكرر ما فعله في اليوم السابق.. وقد عادت إليه نضارة وجهه، واختفي شحوبه بعدما شعر أنه عوض ما فقد من ثروته حين دخل زيكولا أول يوم.. حتى جاء يوم وقد وجد «يامن»، فحدثته:

- «يامن».. أنا محتاج أقلام وورق..

رد «يامن» في دهشة:- لماذا؟!

رد «خالد»:- يعني.. فيه حاجات عاوز أسجلها عن زيكولا.. استغل فترة وجودي هنا بعد ما فات شهر..

«يامن»:- حناً.. أعرف مكاناً يمكنك أن تذهب إليه، ونجد أقلام وأوراق زيكولا المميزة..

ثم تابع مفتخراً:- بالطبع لا توجد صناعة أفضل من صناعة زيكولا..

ثم أكمل:

- إنه مكان يباع به الكتب.. وأعتقد أنك ستجد مرادك هناك..

أراد «خالد» أن يسجل لحظاته التي يعيشها في زيكولا.. لعله يخرج منها ذات يوم، وتكون تلك الأوراق التي يكتبها ذكرى لن ينساها.. أو يصنع منها كتاباً يقرأه الكثيرون غيره.. ولكن كان هناك سبب آخر.. فقد جال بخاطره أن تأتي «أسيل» ذات نهار إلى البحيرة فلا تجده.. فقرر أن يكتب ورقة ويتركها بجوار شجرته.. ويخبرها بأنه في عمله، وأنه ينتظرها كل مساء.. وربما كان هذا السبب ما أشعل حاجته إلى الأفلام والأوراق.. حتى وصل إلى المكان الذي وصفه «يامن».. وقد طرق الباب الخشبي، ودخل.. فوجد حجرة كبيرة مليئة بالكتب.. ويجلس رجل عجوز بالحجرة وحيداً.. فاندھش «خالد» من ذلك الكم الهائل من الكتب المترصة، حتى سأله العجوز:

- يبدو أنك الغريب القوي..

ضحك «خالد»: - نعم .. ولكن كيف عرفت؟!

رد الرجل: إنني أعلم الكثيرين من أهل المدينة..

فابتسم «خالد» ثم سأله:

- مين اللي كتب كل الكتب دي؟!

رد العجوز:

- إنهم علماء زيكولا القدامى.. وهناك من الكتب ما يتمي إلى البلاد

الأخرى.. إن زيكولا تهتم بالعلم والعمل..

سأله «خالد» مجددًا: - وأهل زيكولا قرأوا الكتب دي؟

أجاب العجوز: - الكثيرون منهم قرأوا..

«خالد»: - يعني الكتب دي حققت لك ثروة كبيرة..

رد الرجل: - لا.. ليست إلى هذا الحد.. إن أسعار الكتب رخيصة

للعاية.. ثم صمت ، وتنهّد:

- ربما كفاني أن أبيع كتابًا واحدًا مثل كتاب بعت..

سأله «خالد» متشوقًا: - أي كتاب؟

رد العجوز: - كان كتابًا قد اشتراه مني رجل بأعلى سعر شهدته زيكولا

اندهش «خالد»:

- لازم كان كتاب ثمين ..

ابتسم العجوز:- لا اعتقد ذلك.. وقتها لم أقرأ منه سوى سطور..  
ولكنني حين رأيت هذا الرجل يحتاجه بقوة طلبت منه أغلى سعر.. ثم  
ضحك مجدداً ، ونابح:

- يبدو أنه كان يحب الخيال.. إن كتاب كان يتحدث عن أرض أخرى..  
وعن وهم يسمى سرداب فوريك..



تسارعت ضربات قلب «خالد»، وامتلأت عروقه بالدماء حين  
سمع العجوز ينطق بـ سرداب فوريك وأرض أخرى غير زيكولا..  
حتى سأله في لهفة:

- سرداب فوريك؟؟!

رد العجوز:- نعم .. أتذكر هذا الاسم جيدًا..

سأله «خالد» في لهفة مرة أخرى:

- والكتاب كان يتكلم عن أبيه في سرداب فوريك؟

رد العجوز في هدوء:- لا أتذكر يا ولدي.. لقد كان هذا منذ وقت

طويل، حتى هذا الكتاب لم أقرأ منه سوى سطور.. وبعدها جاءني هذا  
الرجل الذي اشتراه مني..

«خالد»:- والكتاب كان كامل؟ .. أقصد مكتمل؟

العجوز:- نعم يا ولدي..

«خالد» وقد بدا متوترًا:

- فيه منه نسخة ثانية؟



رد العجوز:- لا اعتقد... إنني لم أر كتابًا يتحدث عن ذلك  
الرداب إلا ذلك الكتاب..

«خالد»:- وألقي الرجل ده فين؟.. هو موجود في زيكولا؟..

العجوز، وقد اندهش من أسئلة «خالد» الكثيرة:

- لم أر هذا الرجل إلا مرة واحدة.. ربما يكون هنا في زيكولا، ولكنه

ليس بمنطقتنا.. وربما يكون قد خرج منها.. لا أحد يدري..

ثم سأل «خالد»:

- لماذا أنت مهتم إلى هذا الحد.. هل تحب الخيال؟

رد «خالد»:- أنا لازم ألقي الكتاب ده.. الكتاب ذا هو الأصل الوحيد

ليأما أخرج من زيكولا.. ثم سأل:

- تقدر توصف لي الرجل اللي اشتراه؟

صمت العجوز وكأنه يتذكر:

- كان رجلًا عاديًا.. كان طويلًا مثلك، وكان ذا كتفين عريضين مثلك

أيضًا.. وكانت ملجته وقتها غريبة أيضًا..

«خالد»:- مثلي.. ثم سأل بعد صمت:

- هل تذكر اسمه؟

ابسم العجوز:

- إني أتذكر اسمي بصموبة..

«خالد» وقد بدأ يتحدث إلى نفسه:

- طويل.. وجسمه يشبه جسمي.. ولهجته غريبة.. وكان بيدور على

كتاب سرداب فوريك.. معقول يكون الي في بالي.. معقول يكون هو

فقاطع تفكيره العجوز:

- لماذا الصمت؟ أين شرد ذهنك؟

رد «خالد»: - لا.. مفيش حاجة.. أنا محتاج اشترى أقلام وأوراق..

ابسم العجوز: - بالطبع يا ولدي.. لك ماشئت..



اشترى «خالد» بعض الأوراق والأقلام التي احتاجها.. ولم تكن

الأوراق شديدة البياض، وإنما كانت تميل إلى الصفرة، وكانت سمكة

بعض الشيء.. أما الأقلام فقد كانت اسطوانات خشبية رقيقة ذات سن

مدبب، وبداخلها خزان صغير للحبر.. وقد اشترى معها زجاجة من

الحبر الإضافي.. وانصرف عائداً إلى البحيرة، وتفكيره لم يتوقف لحظة

واحدة منذ حديثه مع ذلك العجوز.. ويسأل نفسه:

- معقول اللي في بالي .. معقول يكون الرجل اللي اشترى الكتاب هو والدي؟! ..

ثم يعود لنفسه:

- ليه لأ .. الكل كان بيقول إني طويل زيه .. وإني عريض برضه زيه ..  
وكمان نزل السرداب .. وكلام العجوز، وإن لهجة الرجل دي غريبة ..  
أكيد هو ..

ثم نظر إلى السماء:

- معقول يكون لسة عايش هو وأمي .. معقول أشوفهم بعد السنين دي  
كلها .. هنا .. في زيكون لا؟؟!!

ثم نظر إلى البحيرة ، وسأل نفسه:

- طب افترض كان حد تاني؟

- ومين اللي هيشترى كتاب زي ده بأعلى سعر .. وهنا الناس كلها  
بخيلة، وكتاب زي ده ملوش أي قيمة عندهم ..

- ممكن يكون حد بيعحب المغامرة .. عنده نفس الدوافع اللي نزلتك  
هنا .. أو ممكن يكون حد نزل السرداب غيرك أو غير أبوك أو أمك ..  
- لا .. هو أبوك ..

- لا.. حد ثاني..

- لا.. أكيد أبوك..

يجلس أمام نار أشعلها على شاطئ البحيرة.. وما زال يتحدث إلى نفسه..

- مهما كان الشخص ده، سواء كان والدي أو غيره.. معنى إن الكتاب موجود إن الأمل أصبح موجود..

- أكيد اللي كتب الكتاب ده، عارف إزاي أقدر أرجع لمصر ثاني..  
ثم علا صوته:

- أنا لازم ألاقى الكتاب ده.. لازم.. حتى سمع صوتاً من خلفه:  
- أي كتاب؟..



إنفت «خالد» حين سمع ذلك الصوت ، ففوجئ بأنها «أسيل»..  
وقد اقتربت منه.. فطلق مبتهاً:  
- «أسيل»!!؟

فردت مبتسمة:- نعم.. ثم سألته بعدما جلست بجواره:  
- هل تتحدث إلى نفسك هكذا دائماً؟

رد «خالد»:

- أوقات.. بس أنا خلاص تفكيري مش قادر يتحمل..

«أسيل»:- لماذا؟

رد «خالد»:- النهاردة اكتشفت إن فيه أمل أقدر أرجع به لوطني.. بس

أمل بعيد..

«أسيل»:- أي أمل..

«خالد»:- عرفت إن فيه كتاب....

فقاطعته «أسيل»:

- مهلاً.. اتعلم أنسي لا أعرف اسمك بعد أيها الغريب.. ثم تابعت

مبسم:

- لم تجربني به المرة السابقة..

ابتسم «خالد»:

- اسمي «خالد».. «خالد حني»..

«أسيل»:- «خالد».. اسم جميل..

ابتسم «خالد» مجددًا ثم تابع:

- اكتشفت إن فيه كتاب تاني كان بيتحدث عن السرداب اللي جيت منه..

«أسيل» -وقد بدت الدهشة على وجهها:-

- أي سرداب؟؟!!

رد «خالد»:- سرداب فوريك..

«أسيل»:- في الحقيقة أنا لا أفهم شيئاً.. لقد جئت اليوم كما أخبرتك

أنتي أود أن أسمع إلى قصتك.. وكيف دخلت إلى زيكولا..

ابتسم «خالد» مداعباً لها:

- أيوه جيتي.. بعد شهر!!!..

فابتسمت «أسيل»:

نعم لقد كان شهراً مزدحماً بالعمل.. ولم يسمح وقتي أن آتي إلى

هنا.. ولكنني دائماً كنت أتذكرك.. ولم أنس إنقاذك للفتى دون مقابل..

وكنت أعلم أنني سأتي إلى البحيرة يوماً كي أسمع إلى قصتك..

فضحك «خالد»:

- كنت في بالك؟؟!!

ردت -وقد أومأت برأسها-: نعم.. لم تغادر تفكيرى، لا أدري لماذا؟..

ابتسم «خالد» مسروراً.. ثم سأله:

- هل كنت تنتظرني؟

رد «خالد»:- أنا.. لا.. ثم ابتسم:

الصراحة.. آه.. وكنت بدأت أفقد الأمل.. بس النهارده كأنه يوم الأمل.. أعرف إن فيه كتاب موجود.. وإن «أسيل» الجميلة كمان هنا..  
أحمر وجه «أسيل» خجلاً.. ثم نظرت إليه:

- هيا حدّثني عن بلدك.. وعن ذلك الكتاب الذي وجدته..

صمت «خالد» قليلاً.. ثم بدأ يتحدث إليها:

أنّى تعرفى إني من أول ما دخلت إلى زيكولا من شهر.. ومحدّث  
يعرف أي حاجة عن بلدي.. حتى «يامن» صديقي كل اللي يعرفه إن  
بلدي موجوده في الشمال.. وأنا مش عارف فين الشمال ده أصلاً..  
ثم أكمل:

- في البداية كنت فاكّر أهل زيكولا مجانين.. دلوقتي خايف اتكلّم عن  
بلدي يفكروني أنا المجنون.. ثم نظر إليها:

- أنتي متصدقيني يا «أسيل»؟

ايتمت «أسيل»، وقد ضاقت عيناها:

- نعم.. أرى أنك صادق يا «خالد»..

أكمل «خالد»:

- أنا مش عارف فين زيكولا دي.. أو بيعجانا اللي همي بلدك.. أول

ما جيت هنا ففكرت إن زيكولا من البلاد المعزولة اللي عمري ما سمعت

عنها.. زي البلاد اللي كنا بنشوفها في التلفيزيون..

قاطعته «أسيل» في دهشة: - ماذا؟

ضحك «خالد»:

- أكيد انتي متعرفيش التلفيزيون.. بس هشرح لك كل حاجة بعدين..

ثم تابع:

- المهم إني كنت مفكر إن زيكولا معزولة.. وإن أهلها معزولين،

وميعرفوش حاجة عن العالم.. زي الهنود الحمر كده لما اكتشفهم

كريستوفر كولومبوس..

قاطعته مجددًا: - من؟؟!!

ضحك «خالد» مجددًا:



- أقولك على حاجة .. اسمعيني وبس .. مش هتفهمني مني حاجة

دلوقت .. ثم أكمل .. وسألها:

- أنتي تعرفي مصر؟

«أسيل» وكانت تسمع الاسم لأول مرة:

- مصر؟! لا أعرفه..

«خالد»: - طب تعرفي أمريكا .. الصين .. أفريقيا .. أستراليا؟!!

«أسيل» وما زالت مندهشة: - ما تلك الأسماء؟!!

رد «خالد»: - دي أسامي بلاد العالم بتاعي .. أنا بلدي اسمها مصر ..

بتتكلم نفس لغتكم .. اللغة العربية .. بس بالعامية زي كلامي كده..

«أسيل»: - نعم .. ثم سألت:

- وأين مصر؟!!

رد «خالد»: - زي ما يسأل نفسي بالظبط فين زيكولا .. هتكون نفس

الإجابة لينا..

فألت «أسيل» :

- هل هي كبيرة مثل زيكولا..

ضحك «خالد» وسألها:

- هو عدد الناس في زيكولا كام؟!

ابتسمت «أسيل»، وقد وقفت وتحركت تجاه البحيرة.. ثم إلتفتت وردت:

- كثيرون للغاية.. قد يصل إلى ثلاثمائة ألف.. هذا غير البلاد الأخرى..  
آلاف أخرى..

فرد «خالد»، وقد وقف هو الآخر:

- عدد سكان مصر فوق الثمانين مليون نسمة..

«أسيل» وكأنها لا تصدقه: - ماذا؟!!

أكمل «خالد» ضاحكًا:

- أقال لو عرفتي عدد سكان بلد تانية اسمها الصين، اللي عدى المليار..  
ولأ عدد سكان الهند.. أقولك.. عدد سكان العالم بتاعي أكثر من ستة  
مليار نسمة..

نظرت إليه «أسيل».. وبدأت تعد على أصابع يدها، وكأنها تتخيل العدد  
ثم سألت:

- وكيف يأكل كل هؤلاء الناس؟

فضحك «خالد»:

- اطمني .. كلّه بياكل ..

ثم سألته:

- ومصر بلدك .. جميلة؟ .. تحبها؟!! ..

ابسم «خالد» ثم نظر بعيداً إلى البحيرة .. وصمت مفكراً قليلاً ..

ثم تنهّد وتحدّث:

- كان عندنا شاعر جميل اسمه صلاح جاهين قال:

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء

أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء

يحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب

ويحبها وهي مرمية جريحة حرب

يحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء

وأكرمها وألعن أبوها بعشق زي الداء...

ثم توقّف «خالد» .. وحدّثه «أسيل» وكأنها تريد المزيد:

- ماذا بعد .. أكمل ..

فضحك «خالد»:

- لا .. أنا حافظ دول بس ..

فضحكت «أسيل» .. ثم أكمل «خالد»:

- العالم بتاعي بيختلف عن هنا كثير .. عندنا كهربا وإذاعة وتلفزيون ..  
وانترنت ، ويتعامل بالنقود ..

«أسيل»: - ماذا .. ما كل هؤلاء؟

رد «خالد»: - مش متفهمني قصدي لو قعدت أشرح لك سنة  
كاملة .. بس احنا عاملنا متطور إلى حد كبير ..  
فأله:

- هل أنتم تعيشون بالفضاء؟

ضحك «خالد»:

لا .. لا .. احنا بنعيش على الأرض .. وعندنا ميه، وصحرا .. ونبات  
حلوة زي هنا .. حتى ملح تغير وجه «أسيل» .. التي سأله على الفور  
بعدما تحدث عن جمال النبات:

- وكيف جئت إلى هنا؟

فصمت «خالد» قليلا .. ثم تحدث:

كنت في يوم زعلان .. فحبب جدي يخفف عني، فكلمني عن  
سرداب تحت بلدي اللي اسمها (البهوفريك) .. اسمه سرداب فوريك ..

ومن أول ما حكائي، ومش عارف أيه اللي حصل لي.. لقيت عندي رغبة قوية إني أنزل السرداب ده، واكتشف اللي فيه..



بعدها ظل «خالد» يحكي ما حدث له منذ نزوله إلى السرداب حتى وصل إلى تلك الأرض.. وقابل الفقيرين بالصحراء.. وتثبت بعربتها مع «يامن».. ودخله إلى زيكولا.. وعلمه أن التعامل بها بوحداث الذكاء.. ثم نظر إليها:

لما شفت العربات، والأحصنة، والدروع، والسيوف.. فكرت إني انتقلت بالزمن في الماضي.. بس فوجئت إن الجميع هنا يقولوا إننا في أواخر ٢٠٠٩.. وده نفس التوقيت في بلدي..  
ردت «أسيل»:

- نعم، نحن على أعتاب عام ألفين وعشرة..  
أكمل «خالد»:- دي الحاجة اللي هتجنسي.. ومشر قادر استوعبها.. إزاي احنا في ٢٠٠٩.. وحياتكم هنا بتقول إنكم من قرون؟.. ثم تابع:

ولما اتأكدت من إن التعامل بالذكاء فعلاً مش كلام مجانين.. بقيت متأكد إن السحر هنا مسيطر على المدينة.. أنا خلاص مش قادر أفكر.. قاطعته «أسيل»:

- لا أعتقد أنك عمن بأن السحر يسيطر على زيكونلا.. إن الحياة هنا هكذا.. لماذا لا تقول إن السحر يسيطر على بلدك أنت.. ويجعلكم تتعاملون بطريقة أخرى.. كيف تتعاملون بورك.. أرى هذا سحرًا.. في بلدي القديمة بيجانا كنا نتعامل بالمقايضة..

رد «خالد»:- أيوه المقايضة حاجة طبيعية..

«أسيل»:- هنا في زيكونلا التعامل هكذا يا «خالد».. هل كانت عملة بلدك مصر في كل البلدان..

«خالد»:- لا.. كل بلد لها عملة..

«أسيل»:- وهكذا هنا.. العملة الذكاء.. لست أنا، أو أنت من فرضها.. صمت «خالد» مجدداً ثم قال:

- الواقع دلوقتي يقول إنه اتحكمم عليا إني أفضل سنة كاملة في زيكونلا.. ونفسي السنة دي تعدي بأقصى مرة.. نفسي أرجع لبلدي.. أرجع لحياتي الطبيعية..

ثم عاد بظهره.. وأسنده إلى الأرض، وقد وضع يديه خلف رأسه.. ونظر إلى السماء.. وتأملها كثيرًا حتى نطقت «أسيل»:

- قصتك غريبة بالفعل يا «خالد».. ولو سمعها غيري لظن أنك مجنون.. ثم ابتسمت:

- ولكنني أصدقك.. ولن أتركك حتى تحدثني عن التل.. فزفون هذا.. في القريب.. ولكن ليس الآن..

فابتسم «خالد»، ولكنه تذكر شيئًا.. ثم قام مسرعًا إلى جانب الشجرة.. وحدث «أسيل»:

- أنا عندي دليل..

ثم عاد إليها مجددًا.. ومعه ساعة يده التي كانت توقفت.. فسأته:

- أهذا التل فزفون...؟؟

ضحك «خالد»:

- لا.. دي ساعة.. بنحسب بيها الوقت..

نظرت «أسيل» إلى الساعة بدهشة:

- إنها عجيبة..

ضحك «خالد»:

- لو كانت تشتغل كنت قلت لك اقبلها هدية.. بس دي ملهاش قيمة دلوقتي..

فابتسمت:

- إنك كريم..

ثم نظرت إلى الساعة:

كيف نفيس تلك الآلة الوقت.. إنا هنا نفيسه بطريقة أخرى تمامًا.. إنه عمل يقوم به أشخاص، ويأخذون راتبهم..  
رد «خالده»:

في الحقيقة أنا مش عارف هي نفيس الوقت ازاي.. ثم سأها  
وكأنه يريد لها أن تبقى معه مدة أطول وألا تغادر:  
- هو الوقت بيتحسب ازاي في زيكولا..  
ردت «أسيل»:

تري ضخامة سور زيكولا.. كلما أشرقت الشمس حتى تشرق  
اليوم التالي بحسب يوما.. وتُنحت علامة على السور.. ثم تمر سبعة أيام  
فتُنحت علامة أخرى للأسبوع.. وما إن يأتي الشهر بعد ثلاثين يومًا  
حتى تُنحت علامة مختلفة.. ويأتي العام بعد اثني عشرة علامة من



علامات الشهور.. فتُنَحَّت دائرة مميزة.. إنهم عمال كثيرون، ولهم أجور لعملهم.. يُسمَّون (عُمَّال الوقت).. ثم أكملت:

ولكن الغريب والذي لاحظته.. أننا ندرك أننا في نهاية عام ألفين وتسعة.. وهذا لا أعتقد أنه يتوافق مع عدد السنوات التي على السور.. والتي لا تكمل نصف هذا العدد من السنين.. ولكنني لا أشغل بالي بهذا..

تنهد «خالد» قائلاً:

- زيكولا.. كل شيء غريب تجده في زيكولا..

ثم أكمل:

النهارد بالصدفة عرفت إن فيه كتاب ثاني عن سرداب فوريك.. وإن حد اشتراه من سنين.. والكتاب ده يمثل الأمل ليا.. وإني أرجع لبلدي.. ثم تابع:

- الأكبر من كده إني حاس إن اللي اشتري الكتاب ده ممكن يكون والدي..

صمتت «أسيل»، وكأنها تفكر:

- إني لم أسمع عن هذا الكتاب من قبل.. ثم سأله:

- ماذا ستفعل.. هل ستأكل كل شخص عن هذا الكتاب..

رد «خالد»:- أنا هدور على الكتاب في كل مكان.. لازم ألقى الكتاب.. أكيد الكتاب ده هو اللي هيجيب عن كل أسئلتي.. فابتسمت «أسيل»:

- اثنى أن تجده.. وأن أستطيع مساعدتك يا «خالد».. ثم نهضت:

- عليّ أن أغادر الآن.. لقد تأخر الوقت كثيرًا، ولديّ الكثير من العمل غدا.. أظن أننا تحدثنا بما يكفي لحديث شهر كامل.. ثم أكملت، وهي تسير:

- ولكتي أحبت ذلك الوقت معك يا «خالد»..



غادرت «أسيل»، وظل «خالد» يقطأ.. يفكر كثيرًا ثم يقطع تفكيره بانسامة حين يتذكر حديثه مع «أسيل».. وظل هكذا حتى أشرقَت الشمس دون أن يغفو له جفن.. فاتجه مسرعًا إلى مكان عمله.. وكعادته قابل من يأخذون منه الودحتين مقابل حمايته.. فآثر أن يعطيهم الودحتين.. ثم وجد «يامن» فنادى عليه:

- «يامن»..

رد «يامن»: - أهلاً «خالد»..

«خالد»: - عاوز منك طلب.. عاوز اشترى حصان..

«يامن» في دهشة:

- حصان؟!!

«خالد»: - أيوه

«يامن» وما زالت الدهشة على وجهه:

- لماذا؟!!

لم يجد «خالد» مفراً إلا أن يخبر «يامن» بالحقيقة.. وأنه يريد ذلك الحصان كي يبحث عن الكتاب في جميع مناطق زيكولا.. حتى بدا «يامن» وكأنه لا يصدقه.. ولكن هذا لم يشغل بال «خالد».. وطلب منه أن يَدُلَّه على مكان لبيع وشراء الأحصنة.. حتى نظر إليه «يامن» متجاهلاً قصته:

- إن هذا سيكلفك كثيراً.. ربما يكلفك مائة وخمسين وحدة..

رد «خالد»:

- أنا موافق..

تابع «يامن»:

- «خالد»: هذا سأخذ من مخزونك الكثير..

«خالد»: - مش مهم.. المهم إنى ألقى الكتاب..

«يامن»: - حسناً كما تريد.. سأخبرك أين تجد مكاناً تبشع منه حصاناً قوياً.. ولكن أين ستبحث.. نحن هنا في المنطقة الشرقية حيث باب زيكولا وأرض الاحتفال وصناعة الطوب.. هناك أربعة مناطق أخرى غير هذه المنطقة؛ المنطقة الشمالية، والمنطقة الجنوبية، والمنطقة الغربية، والمنطقة الوسطى التي يوجد بها الحاكم.. وكل منطقة تختلف عن الأخرى وعن منطقتنا هذه..

رد «خالد»: أنا هدور في كل مكان.. لازم ألقى الكتاب.. أو اللي اشتراه..

«يامن»: - وعملك؟!

رد «خالد»: - عندي مخزون كبير زي ما قلت..

«يامن»: - «خالد».. أخشى أن تقترب من مخزونك كثيراً فتندم على ذلك..

رد «خالد»:

- ده أمل مقدرش اتركه.. عرفني بس مين اشتري حصان..

«يامن»:- حسنًا.. ولكن ماذا إن وجدت الكتاب.. ولم نجد به ما  
ينفعك.. وقد أنفقت الكثير من ثروتك، وجاء يوم زيكولا؟!..

رد «خالد»:

- لو جه يوم زيكولا.. اعتقد إن هيكون فيه كثير أفقر مني.. وأنا  
واثق إنني بالكتاب ده هقدر أرجع لبلدي.. حتى لو فقدت أكبر قدر من  
الذكاء..

صمت «يامن» قليلًا.. ثم تنهد قائلاً:

ولكنك نسيت شيئًا هامًا لا نعرفه.. إن نجحت في ذلك وفقدت  
جزءًا كبيرًا من ثروتك.. سنعود إلى وطنك كما خرجت من هنا..  
مريضًا.. لت ذكيًا على الإطلاق.. لمن يميزك عن غيرك سوى شيء  
واحد.. فأله «خالد» متعجبًا:

- إيه هو؟

رد «يامن»:

- النبأ يا صديقي..



أخبر «يامن» «خالد» بأنه قد تجاهل شيئاً لا يعرفه ، وأنه إن فقد ثروته مقابل ذلك الكتاب سيخرج من زيكولا كما هو .. أقل ذكاء .. لا يمتلك إلا الغباء .. فنظر إليه «خالد» وقد اتسمت حدقتا عينيه .. وكأن صاعقة أصابته :

أيه!!؟ أنت تقول أيه!!؟ ..

رد «يامن» :- تلك هي الحقيقة يا «خالد» .. عليك أن تحتفظ بذكائك حين تخرج من زيكولا حتى تعود إلى بلدك كما كنت .. أو تعمل وتحقق ثروة فتعود أكثر ذكاء .. أما إن فقدت ذكاءك هنا وقد خرجت ... ثم صمت قليلاً وأكمل :

فكيف تسرده بعد ذلك ..

صمت «خالد» مرة أخرى من الصدمة .. وحدث نفسه في ضيق :

- الكتاب أو الغباء .. ثم غضب ، وترك «يامن» الذي علا صوته تجاهه :

- ماذا ستفعل .. أما زلت تريد أن تشتري حصاناً؟ ..

ولكن «خالد» لم يجب سؤاله.. وتركه وسار مبتعدًا عن مكان العمل، هاتئًا.. لا يعلم ماذا سيفعل وماذا يقرر..



غادر «خالد» مكان عمله.. وما إن غادر حتى وصلت «أسيل» إلى ذلك المكان، وكانت تبحث عنه.. وقد سألت بعض الفتيان أين تجده.. فأخبروها بأن تجد «يامن» صديقه المقرب.. حتى وجدت «يامن» الذي كان يعمل بتقطيع الصخور.. فسألته على الفور:

- أنت «يامن»؟

فنظر إليها «يامن» في دهشة:

- «أسيل» الطيبة!!.. نعم، أنا «يامن»..

فسألته:- أين «خالد»؟

فاندھش «يامن» من سؤالها:

- تريدین «خالد»؟!

ردّت:- نعم..

«يامن»:- لقد غادر العمل غاضبًا..

فسألته في لهفة:- لماذا؟!

رد «يامن»: - إنها قصة طويلة.. ربما لن تصدقها..

صمتت «أسيل» قليلاً ثم سأله:

- الكتاب؟!

«يامن» في دهشة:

- أتعرفين قصة الكتاب؟!

ردت «أسيل»: - نعم.. أعرف كل شيء... لماذا غادر غاضباً؟

بعدها أخبرها «يامن» بقصة ذلك الحصان الذي يريد أن يشتريه

«خالد» كي يبحث عن الكتاب في أرجاء زيكولا.. ثم أكمل حديثه

حين قال:

- والآن أنا لا أعرف أين هو.. فابشمت «أسيل»:

- ولكتني ربما أعرف..

ثم شكرته، وغادرت.. وقد ابشمت «يامن» حين غادرت «أسيل»

قائلاً:

- لم أرها في حياتي تهتم بشخص هكذا..





وصل «خالد» إلى شاطئ البحيرة مرة أخرى ثم جلس، وقد بدا الحزن والضييق على وجهه.. حتى انجبه إلى أغراضه بجوار شجرة البحيرة.. وقد أخرج الأقلام والأوراق التي اشتراها.. وقرر أن يكتب أي شيء.. لا يدري ماذا يكتب، ولكنه يعلم أنه لا سبيل لذلك الضيق سوى أن يكتب.. كما كان يفعل دائمًا حين كان يرفضه والد «منى»، وكان يكتب وريقاته، ويعلقها على حائط غرفته.. حتى أمسك بقلمه.. وبدأ يرسم خطوطًا، ويكتب كلمات غير مفهومة.. حتى كتب «ماذا أفعل؟».. بعدها فوجئ بـ «أسيل» تقترب منه.. وقد ابتسمت:

- كنت أعرف أنني سأجده هنا.. ثم سألته:

- لماذا لم تعمل اليوم؟

فصاح «خالد» غاضبًا:

- واشتغل لي؟!.. أنا كرهت كل حاجة هنا..

فابتسم «أسيل» في هدوء.. تريد أن تخفف من غضبه:

- حسنًا.. ماذا فعلت بعدما تركتك بالأمس؟

فأخبرها «خالد» بأنه لم يفعل شيئًا.. وظل يقفًا حتى أشرق

الشمس فتابعته:

- لت وحدك من أصابك الأرقى.. أنا أيضًا لم أتم..

فنظر إليها «خالد» في دهشة.. حتى أكملت:

- كنت أفكر كيف تهجد كتابك..

ثم سارت بعض الخطوات بعيدة عنه.. بعدها إلتفتت إليه،

وقالت:

- تريد أن تبحث في كل مناطق زيكولا.. وأنا أريد أن أساعدك في

ذلك..

ثم ابتسمت:

وهنا في زيكولا لا أحد يساعد غيره دون مقابل.. ثم صمتت برهة

وأكملت:

- وأنت لا تريد أن تعمل.. ثم نظرت إلى أسفل:

- ولهذا لن أستطيع مساعدتك..

ثم سارت بضع خطوات.. وتحدثت إلى نفسها بصوت يسمعه

«خالد»:

- ولكن ربما يفكر «خالد» الذكي.. ويريد أن يعمل.. وبعدها قد

يساعده عمله..

فنظر إليها «خالد» ، وقد أصابته الحيرة:

- أنا مش فاهم حاجة..

ابتسمت «أسيل» مجددًا:

- «خالد».. أنا أذهب إلى كل مناطق زيكونا ماعدا المنطقة الشمالية..

وقد جئت إليك اليوم كي أقدم لك عرضًا..

«خالد» في دهشة:

- عرض؟؟!!

ردت «أسيل»:- نعم.. ما رأيك أن تأتي معي إلى تلك المناطق،

وتعمل كمساعد لي جزءًا من اليوم.. وقد أعيرك أحد أحصتي إن

احتجته باقي اليوم.. تبحث عن صاحب الكتاب كما تشاء بالمكان الذي

تتواجد به..

ثم أكملت وقد أشارت إليه بأصبعها:

- ولكن عليك أن تعود إلى مبكرًا في اليوم التالي.. أنا أحب أن يلتزم من

يعمل معي..

«خالد» ومازالت الدهشة متطبعة على وجهه:

- أعمل معك؟؟!!

«أسيل»:- نعم..

«خالد»:- بس أنا مبفهمش حاجة في الطب..

«أسيل»:- وكيف أنقذت الفتى؟!

رد «خالد»:- زي ما قلت لك قبل كدة، دي دورة إسعافات

أولية.. بس مش معنى كدة إني بفهم في الطب..

«أسيل»:- حسنا.. أشعر أنك ستتعلم كثيرًا.. وربما نجد غرقى،

فلن أجد أفضل منك في إنقاذهم..

فسألها «خالد»:

- «أسيل».. هو أنتي الطيبة الوحيدة في زيكولا؟

ردت:- لا.. هناك العديد من الأطباء.. ولكني أكثر مهارة..

وهذا ما جعلني طيبة الحاكم وأسرته.. وطيبة زيكولا الأولى رغم

سني الصغيرة..

ثم سألت:

- هل توافق؟

فصمت «خالد» مفكرًا، وقد طال تفكيره.. ثم التفتت «أسيل» إليه -

وقد سارت خطوات مبتعدة عنه - وقالت:

- أرى أنك حقًا لا تحب الطب.. ثم ابتعدت حتى نطق «خالد» بصوت عالٍ:

- «أسيل».. أنا موافق..

فابتسمت دون أن تُريه وجهها.. وقد ضاقت عيناها بعدما سمعت كلماته.. ثم توقفت، والتفتت إليه مجددًا:

- حسنا يا مساعدتي.. عليك أن تُعِدَّ نفسك، وأن تنام جيدًا اليوم.. غدًا سذهب إلى المنطقة الوسطى التي يتواجد بها حاكم زيكولا..



غادرت «أسيل»، أما «خالد» فقد امتلك من السعادة ما لم يمتلكه من قبل في زيكولا.. حتى كاد يرقص فرحًا.. ويحدث نفسه:

- أنا مساعد «أسيل».. أنا مساعد «أسيل»..

ثم عاد مسرعًا إلى أغراضه.. وأمسك القلم من جديد.. وبدأ يكتب.. بعدما فُكّر قليلًا:

«أسيل».. تلك الحورية التي وجدتها في زيكولا.. ربما كنت أظنها جميلة الوجه فقط حين رأيته للمرة الأولى.. ولكنها تمتلك كل ما هو جميل.. إن اليوم أسعد أيامي في تلك المدينة.. ثم ترك القلم، ووضع

الأوراق بجواره، ثم أخفاها بأغراضه.. ونظر إلى ملبسه.. وحدث نفسه بأنه اشتراها حين دخل إلى زيكولا منذ أكثر من شهر، ولا يملك غيرها.. فعزم على أن يذهب إلى شوارع المدينة.. وأن يشتري زياً جديداً يناسب وظيفته الجديدة.. وقد ذهب بالفعل، واشتري زياً ليس بغالي الثمن.. وقد اندهش بائع الملابس.. وسأله:

كيف تشتري زياً آخر بعد شهر واحد فقط؟!.. ولكن «خالد» لم يعبأ بذلك.. وعاد إلى شاطئ البحيرة مرة أخرى.. وظل هناك حتى حل الليل، وهو يتظر أن يأتي صباح اليوم التالي في أسرع وقت..



في صباح اليوم التالي.. نهض «خالد» من نومه، وكعادته ألقى بجسده في البحيرة لينظاله القديم.. بعدها ارتدى زيه الجديد.. وظل في انتظار «أسيل» حتى وجد عربتها، يقود حصانها سائق، تقترب.. فأسرع إليها.. وركب العربة بجوارها.. ثم تحركت العربة في اتجاهها إلى المنطقة الوسطى.. بعدها نظرت «أسيل» إلى زيه الجديد:

- مبارك عليك الزى الجديد..

- ضحك «خالد»:

- لازم المساعد بتاعك يشرفك في أي مكان.. ثم سأها:

- احنا نعمل إيه في المكان اللي احنا رايحين له؟

ردت «أسيل»: - المنطقة الوسطى يعيش بها الحاكم وأسرته.. وقد أرسلوا إليّ كي أذهب إلى هناك اليوم.. قد يكون أحدهم مريضاً.. فسأها «خالد» على الفور:

- طب ليه أنتي مش ملازمة الأسرة الحاكمة طول الوقت؟!

ردت «أسيل»: - لقد طلب مني الحاكم ذلك بالفعل.. ولكنني رفضت..

«خالد» في دهشة: - رفضتي!

أجابته «أسيل» مبتسمة: - نعم.. لا أريد أن أكون أسيرة لمكان بعينه.. حتى لو كان مكان الحاكم.. «خالد» - وما زال مندهشاً:-

- تقدري ترفضي طلب للحاكم؟!

«أسيل»: - إنه حق.. ولديّ من الحرية ما يجعلني اتحكم بإرادتي.. وأنا أحب الانطلاق.. لا أريد أن يقيدني أحد.. صمت «خالد» ثم سأها سؤالاً جال بخاطره:

- هو نظام الحكم هنا في زيكونا ملكي؟

ردت «أسيل»: - لا.. إن حاكم زيكونا يظل بالحكم خمس

سنوات.. ثم يأتي حاكم غيره يختاره أهل زيكونا..

فاندهش «خالد» كثيرا:

- خمس سنوات بس؟؟؟

«أسيل»: - نعم..

«خالد»: - ومفش تجديد؟

«أسيل»: - لا.. كل حاكم له خمس سنوات فقط.. ألا تكفي تلك

المدة.. أرى أنها كافية لكل حاكم هنا كي يأتي غيره، ويكمل مسيرة

التقدم لزيكونا، ويستفيد من أخطاء من سبقه.. ولهذا زيكونا تتقدم

عن البلاد الأخرى.. أليس كذلك في بلدك؟

ضحك «خالد» ثم فرك شعره.. وصمت، وحاول أن يخلق

موضوعًا آخر للنقاش.. ثم حدث نفسه:

أنا دلوقت متأكد إن زيكونا ليست لها أي صلة بالوطن العربي إلا

اللغة العربية.. حتى قاطعت صمته «أسيل»:

- لماذا الصمت؟



ضحك «خالد»:- لا.. ولا حاجة.. لسه وقت كثير على المنطقة الوسطى؟

نظرت «أسيل» من نافذة العربة ثم أجابته:

- لم يتبق إلا القليل.. ثم تابعت:

- ستساعدني حين يكون عملي مع الرجال فقط.. أما النساء فلا أريد مساعدتك في شيء..

فضحك «خالد» مداعبًا لها:

- ليه؟

فابتسمت ثم أكملت:

- يمكنك أن تنصرف وقتها.. وأن تبحث عن كتابك.. ولحسن حظك تلك المنطقة صغيرة.. لا يوجد بها سوى قصر الحاكم، وبعض قصور الأثرياء..



مرَّ الوقت.. وقد وصلت العربة إلى تلك المنطقة التي يقصدونها.. وقد نظر «خالد» من نافذة العربة، واندعش حين وجد تلك القصور العالية.. وتلك الزخارف الرائعة التي تزينها من الخارج.. وشاهد

الكثير من الحراس يقفون أمام أحد القصور فعلم أنه قصر الحاكم.. حتى توقفت أمامه العربة، ونزلت «أسيل» ومعها «خالد» حاملاً حقيبتها القماشية.. وانجبا إلى داخل القصر.. و«خالد» تلفت حوله كلما سار، ويشاهد البراعة المعمارية مستمتعاً، وقد لاحظت «أسيل» ذلك بعدما تلوأ في خطواته.. فحدثته بتسمة:

على مساعدتي أن يسرع.. ليس هناك وقت للتأمل.. فابتسم «خالد»، وأسرع حتى دخل معها إلى بهو القصر.. وهناك وجد رجلاً تبدو عليه الفخامة والنفوذ.. وبجواره العديد من الأشخاص والذين بدا عليهم الثراء أيضاً.. وقد علم «خالد» ذلك من ملابسهم المزركشة، والتي قد تباع إحداهم بما يكفي لإنقاذ عشرات الأشخاص من الذبح.. حتى انحنت «أسيل».. وانحنى معها «خالد».. بعدها تحدث الحاكم إلى «أسيل»:

- لقد جئت في موعدك أيتها الطيبة.. ثم سأها:

- من هذا؟! وقد أشار إلى «خالد»..

فأجابت: إنه مساعدتي يا سيدي..

فنايع الحاكم:

- لن نحتاجه اليوم.. أريدك فقط أن تدأوي زوجتي.. أشعر أنها ليست  
بخير في الأيام السابقة..

فانحنيت «أسيل» مرة أخرى.. ثم عادت إلى خارج بهو القصر..  
ومعها «خالد» وقد حدثته مبتسمة:

- أرى أنك محظوظ.. لن تعمل اليوم، ولكنني سأرهقك من العمل في  
الأيام القادمة..

ثم أشارت إليه أن ينصرف:

لك اليوم بالكامل.. ابحث عن كتابك.. ربما تجد ذلك الشخص  
الذي اشتراه هنا.. أما أنا فعلي أنا أرى زوجة الحاكم.. لعلها بخير..  
ابتسم «خالد»، وتركها وغادر.. وهو يتحدث نفسه:  
- «أسيل».. حورية زيكولا..



انصرف «خالد».. وبدأ يسأل كل من يقابله عن شخص طويل  
وعريض مثله، ولهجة غريبة أيضًا، ولكنه يكبره سنًا، ويتكلم عن  
الخيال.. أو عن شيء يسمى سرداب فوريك.. فلم يجد من يسألهم سوى  
علامات الدهشة والغرابة.. ولم يكن يعلم أحد - ممن يعملون بقصر

الحاكم - شيئاً عن ذلك الشخص الذي يقصده «خالد» .. بعدها خرج من القصر .. واتجه إلى القصور الأخرى، ويعلم أنه سيجد صعوبة فيها يفعلها .. ولكنه عزم على أن يتمسك بأمله .. وأن يحاول في سبيل حلمه بالعودة إلى بلده .. وبدأ يسأل الناس من جديد .. ولكنه كلما سأل أحداً عن ذلك الشخص، أو ذلك الكتاب لم يجبه .. وظل يسأل كل من يقابله .. دون جدوى .. ومرت الوقت وقد أصابه التعب، وبدأ اليأس يشرب إلى قلبه حتى مر عليه شخص فسأله .. فأخبره بأن هناك مبنى كبير به الكثير من الكتب .. يسمى مكتبة الحاكم لعله يجد ذلك الكتاب به ..



أسرع «خالد» إلى ذلك المكان الذي وصفه له الرجل مقابل وحدتين من ذكائه .. وهناك وجد شخصاً يعمل به .. فسأله عن ذلك الكتاب لعل صاحبه قد باعه أو أهدها إلى تلك المكتبة .. فلم يجبه الشخص .. وأخبره بأنه لا يعلم كثيراً عن تلك الكتب .. وقد سمع له أن يدخل إلى المكتبة مقابل خمس وحدات أخرى من ذكاء «خالد» .. وقد وافق «خالد» على ذلك .. واتجه إلى داخل المكتبة ..

بعدها بدأ «خالد» يبحث بين الكتب.. ويبحث بين الورقيات المتناثرة.. يبحث في كل مكان بتلك المكتبة.. لا يريد أن يترك شبراً دون أن يبحث به.. ويستريح لبعض الوقت ثم يعاود بحثه مجدداً حتى لا يضيع وقته.. ويزيح الأتربة المتراكمة على بعض الكتب.. ويجلس من يعمل بتلك المكتبة يشاهده دون أن يساعده.. و«خالد» يواصل بحثه.. يحاول أن يجد أي عنوان لكتاب يمت بصلة إلى سرداب فوريك.. ولكن دون فائدة.. فقد مر الوقت وأكمل بحثه دون أن يجد ما يريده.. حتى حدث نفسه:

أكد صاحب الكتاب مش في منطقة الحاكم.. له فيه مناطق ثانية.. ثم غادر.. وقد دخل الليل، وعاد إلى قصر الحاكم فوجد «أسيل» في انتظاره بالعربة.. فسألها إن كانت انتهت هي الأخرى من عملها فأجابته بأنها قد انتهت من عملها بالفعل.. ثم سألتها لماذا لم تغادر؟ فأجابته مبتسمة:

- وهل أغادر دون مساعدتي؟!.. هيا.. ثم أمرت السائق أن يتحرك بهم إلى البحيرة.. بعدها سأله:

- هل وجدت شيئاً؟

رد «خالد»: - للأسف لا.. سألت ناس كثير بس ملقتش أي

جواب..

«أسيل»: - لهم العذر في ذلك.. إنك تبحث عن شيء صعب

للمغاية.. تبحث عن شخص لا تعرفه.. وعن كتاب لم يسمع به أحد.

«خالد»: - عارف إنه أمل ضعيف.. بس لازم اتمسك بيه..

ابتسمت «أسيل»: - لا تحزن يا «خالد».. إنك مازلت باليوم

الأول من البحث.. وعليك أن تسعد بأنك انتهيت من منطقة بأكملها..

حتى لو كانت صغيرة.. ثم صمت، وأكملت:

- لقدى خبر سيجعلك سعيدًا..

نظر إليها «خالد» في لهفة:

- إيه هو؟

ردت «أسيل»:

- لقد اكتشفت أن زوجة الحاكم ليست مريضة.. وإنما سنستقبل مولودًا

قريبًا..

«خالد»: - حامل؟

«أسيل»: - نعم.. وأرى من أعراض حملها، أنه قد مرّ ثلاثة أشهر على حملها..

فلما «خالد» مندهشًا:

- وأنا أكون سعيد ليه؟

ردت «أسيل»:

إن أنجبت ذكرًا سيكون هناك احتفال لأهل زيكولا بذلك الطفل  
تكريماً للحاكم.. ويقام يوم زيكولا بعد مولده بسبعة أيام.. وبالطبع  
سيفتح باب زيكولا قبله بيوم، ويذبح أفقر من بالمدينة أيضًا..  
ثم أكملت:

هذا يعني أن يوم زيكولا قد يكون بعد ستة أشهر فقط من اليوم  
ثم صمتت مجددًا، ونظرت إلى النافذة.. وقد بدا على وجهها الحزن،  
ولمعت عيناها بالدموع.. وأكملت..

- وقتها نستطيع أن نخرج من زيكولا .

\*\*\*

لم يتمالك «خالد» نفسه من الفرحة، وكأنه لا يصدق أذنيه.. وشعر بأن ما قالته «أسيل» يجعله يرقص فرحاً.. ثم نظر إلى «أسيل»:

- ست شهور؟!

ردت «أسيل»:- نعم.. إن أنجبت ذكرًا..

«خالد» في فرحة، وهو ينظر إليها:

- أنا متأكد إنه سيكون ذكر.. عارفة له؟

«أسيل»:- لماذا؟!

«لأنك وش السعد عليا.. أحلى حاجة حصلت لي في زيكولا»:

قال تلك الكلمات، وقد غطت السعادة وجهه.. ثم تحدث إلى نفسه:

- ست شهور.. يارب يكون ولد.. ثم نظر إلى «أسيل» مجددًا:

- متخيليش أنا فرحان أد إيه.. أنا نفسي زوجة الحاكم نولد النهارده

قبل بكره.. فعادت «أسيل» إلى ابتسامتها الرقيقة بعدما شعرت بسعادة

«خالد» بذلك الخير.. وقالت:



- أنا أيضًا سعيدة لأنك تشعر بالسعادة.. كنت أعلم أنك ستكون سعيدًا هكذا..

ابتسم «خالد»، ثم نظر خارج العربة عبر النافذة، ثم نظر إلى السماء المظلمة.. والتي كان بها نجم مميز في تلك الليلة.. يضيء منفردًا بالسماء ومبتعدًا عن مجموعة نجوم أخرى.. ثم طلب من «أسيل» أن تنظر إلى ذلك النجم الذي أشار إليه:

- شايعة النجم اللي هناك ده..

ردت «أسيل»: - نعم.. إنه وحيد ومميز..

ضحك «خالد»: - أنا هسميه «أسيل».. ثم صمت، وتحدث بعد لحظات:

- لو رجعت لبلدي يوم.. أكيد هلاقي النجم ده في السماء..

ضحكت «أسيل»:

- أرى أن الفرحة جعلتك رومانسيًا..

فضحك «خالد» مكملًا حديثه ومداعبًا لها:

- أكيد النجم مش في جمال «أسيل».. بس هو جميل ومميز زي ما «أسيل» جميلة ومميزة..

فاحمر وجه «أسيل» خجلاً.. وصمت، وظلت تنظر إلى «خالد»  
الذي صمت هو الآخر، وكأنه هام بفكره.. وشرح بين أحلامه..



كانت العرب تسمي مصرعة، و«خالد» و«أسيل» بداخلها يتحدثان  
أحياناً.. ويصمتان أحيان أخرى.. وظلاً هكذا حتى وصلت العرب إلى  
البحيرة.. وتوقفت هناك؛ فنزل «خالد»، ثم تحدث إليه «أسيل»:

- الأسبوع القادم سنذهب إلى المنطقة الجنوبية..

فابتسم «خالد»، وأوماً برأسه موافقاً.. ثم أكملت:

- أمامك سبعة أيام.. عليك أن تعود إلى عملك هنا.. لا تضع وقتاً دون  
عمل..

فسألها «خالد» مندهشاً:

- وعلمي كمساعد ليكي؟!

ابتسمت «أسيل»:

- إن احتجت مساعدتك لي هذا الأسبوع فلن أتردد في ذلك.. ولكن  
هنا يساعدني الكثيرون.. ثم تابعت:

- أترك لك المساعدة في المناطق الأخرى.. ولذا أمامك أيام لا تضيعها  
بالجلوس على شاطئ البحيرة.. اذهب إلى عملك مع صديقك «يامن» ،  
واجلب الكثير من الأجر..  
فابتسم «خالد».. وهز رأسه موافقاً..



تحركت العربدة مجدداً.. و«خالد» ينظر إليها حتى اختفت عن  
أنظاره.. ثم اتجه إلى شاطئ البحيرة.. أما العربدة فواصلت تحركها في  
أحد الشوارع المُتارة بالنيران حتى توقفت أمام بيت كبير.. تبدو من  
واجهته الفخامة والثراء، وله باب ضخمة.. وقد نزلت «أسيل»، ودلفت  
إلى داخل البيت المضاء بالشموع، والذي امتاز بسقفه العالي، وجدرانه  
المفروشة من الداخل، والأثاث الخشبي والنحاسي المُطعم بـماء  
الذهب.. ثم صعدت السلم الداخلي، واتجهت إلى حجرتها.. وألقت  
بنفسها على السرير المتواجد بها.. ثم نهضت مجدداً، وجلت أمام مرآة  
كبيرة.. وابتسمت برقة وهي تنظر إلى صورتها بالمرآة، وإلى شعرها  
الأسود الناعم الطويل الذي بدأت تنحسه بيدها من الأمام إلى  
الخلف.. بعدها هامت للحفظات، وبدأت تتحدث إلى نفسها:

- ما سر ذلك الشعور بداخلك؟ وأي شعور هذا؟!

- هل هو سعادة أم حزن؟

ثم نظرت إلى صورتها مجدداً بالمرآة.. وتحدثت إليها:

- لماذا حزنتي حين علمتي بقرب خروج «خالد» من زيكولا..

- لا.. أنا لم أحزن..

- لا، حزنتي.. نعم حزنتي، ثم سألت صورتها مجدداً:

- هل تحببته؟!

صمتت قليلاً، ثم أجابت نفسها:

- لا أعلم.. إنني لم أعرفه سوى أيام قليلة..

- ولكنك أحبيته..

- ربما أحبيت حديثه وجرأته..

- أوروبيا أعجبني اختلافه عن باقي رجال زيكولا البُلهاء.. البخلاء،

الذين لا يفكرون إلا في جمع ثروة تفديهم من الذبح.. حتى أنهم يخافون

أن يفكروا ويستخدموا ذكاءهم؛ فيقلل ذلك من ثروتهم.. نعم يعجبني

أنه يختلف عن غيره..

ثم قامت، وتحركت إلى نافذة الحجرة.. وأزاحت ستارها، ونظرت  
إلى السماء، وابتسمت حين رأت النجم الذي سماه «خالد».. «أسيل»..  
وظلت تنظر إليه كثيراً ثم قالت:  
- ولكنه سيرحل..



في اليوم التالي اتجه «خالد» إلى عمله القديم.. وهناك وجد «يامن»  
فصافحه، وبدأ يعملان معاً في تقطيع الحجارة.. وقد اندمست «يامن»  
من تلك السعادة التي بدت على وجهه، وما تبعها من حماسة في عمله..  
حتى سأله:

- «خالد» أراك سعيداً اليوم.. هل هناك شيء ما؟.. هل وجدت  
كتابك؟

ضحك «خالد»:

- لا.. ولكن فيه خبر فرحني.. ثم أكمل:

- احتمال أخرج من زيكولا بعد ست شهور بس..

«يامن» في دهشة: - ستة أشهر فقط؟.. كيف؟!!

ابتسم «خالد»:

- يوم زيكولا احتمال يكون بعد ستة أشهر بس..

«يامن» وهو لا يصدق: - ماذا تقول؟.. يتبقى أحد عشر شهرًا

على ذلك اليوم..

«خالد»: - لا يا صديقي.. أنا هقولك سر عرفته..

ثم أخبره «خالد» بأن زوجة الحاكم ستضع مولودًا بعد ستة

أشهر.. وأن «أسيل» أخبرته بذلك، فابتسم «يامن»:

- أنا سعيد لك يا «خالد».. ولكنني كنت أتمنى أن تبقى هنا..

ضحك «خالد»:

- أنا بحبك جدًا يا «يامن».. بس نفسي أرجع لبلدي.. ثم نظر إليه

بحزن وحيرة:

- بس لو خرجت من زيكولا هعمل أيه؟.. عشان كده لازم ألاقى

كتاب سرداب فوريك قبل الست شهور الباقين..

فابتسم «يامن»:

- أتمنى أن تجده.. وأن تحقق ما تريد.. ثم تابع:

- إن أطفال زيكولا سيكونون محظوظين هذا العام إن أقيم يوم

زيكولا..

فنظر إليه «خالد» ، وكأنه يسأله عن السبب .. فأكمل «يامن» :

- إنهم سيشاهدون لعبة الزيكولا بعدما لم يشاهدوها المرة السابقة حين  
هرب الفقيران ..

«خالد» في دهشة :

- لعبة الزيكولا؟؟

رد «يامن» :- نعم .. ثم تذكر أنه لم يُحدِّث «خالد» عنها من قبل ..  
فأكمل حديثه :

- لم أخبرك بها سابقاً .. إنها اللعبة التي يُقال إن أرض زيكولا قد  
سميت بهذا الاسم نسبة لها .. هي في الحقيقة ليست لعبة .. إنها منافسة ..  
وينتظرها الجميع هنا .. فهي ما تُحدِّد الأفقر بالمدينة ..  
«خالد» وما زال مندهشاً :- ازاي؟!

أكمل «يامن» :

- قبل يوم زيكولا بعدة أيام يقوم الجنود بجمع الأكثر مرضاً  
وشحوباً بالمدينة .. يجمعون الكثيرين من الناس .. وهناك يحدد الأطباء  
من هم الفقراء ومن هم المرضى حقاً .. حتى يتبقى منهم عدد قليل ..  
وهنا يأتي دور «أسيل» الطيبية .. وهي من تحدد الثلاثة الأكثر فقراً .. ثم

يأتي دور لعبة الزيكولا في اليوم السابق للذبح.. أي يوم فتح باب  
زيكولا..

ثم صمت قليلاً، وضرب صخرة بفأسه.. ثم أكمل حديثه:

- لعبة الزيكولا تكون أمام الجميع.. وهي ببساطة قرص خشبي  
يدور بسرعة معينة، وبه ثلاثة أسهم تنطلق من ذلك القرص.. ويقوم  
نَحَاتو زيكولا بنحت تمثال لكل فقير من الفقراء الثلاثة.. ويوضع هذا  
التمثال على بعد أمتار أمام قرص السهام.. وعلى كل فقير أن يختار ثلاثة  
أماكن في تمثاله كي يحميمهم من السهام..

- من يصيبه أكبر عدد من السهام يكون هو الفقير المختار.. وهكذا لا  
يُظلم أحد في زيكولا..

فسأله «خالد»:

- ومين اللي اخترع اللعبة دي؟

رد «يامن»: - لا أعلم فقد وجدناها منذ ولدنا.. إنها نجعل كل فقير  
مسؤولاً عن حياته وعن قَدْره.. ربما يكون هناك فقير قد أُختير في أيام  
كثيرة من أيام زيكولا.. ولكنه ينجح في اجتياز لعبة الزيكولا.. وهذا  
قَدْره..



فقاطعه «خالد» مجدداً:

- هي سهلة اللعبة دي؟

«يامن»:- في الحقيقة أراها أسهل ما يمكن.. والكثير منا يتنبأ بالأمكن التي تصيها السهام.. ولكن حين يصيك الغباء فإنك لا تستطيع تحديد تلك الأمكن.. وتحمي مناطق أخرى من تمثالك.. ثم تابع:

- عليك أن تحافظ على ذكائك حتى تجد كتابك، وترحل عن هنا.. ولهذا هيا.. واصل عملك.. ثم ابتسم وأكمل:

- ما رأيك في منافسة كبيرة في تكبير الصخور أيها السعيد..



مررت الأيام يوماً بعد يوم.. و«خالد» يذهب إلى عمله لتقطيع الأحجار.. ويعود إلى البحيرة ليلاً، ويجلس أمامها لبعض الوقت ثم يغلبه النعاس متأثراً بإرهاقه.. أما «أسيل» فكانت تواصل عملها في مداواة المرضى.. ثم تعود إلى غرفتها، وتظل تنظر إلى السماء عبر شرفتها.. تبحث عن ذلك النجم.. «أسيل».. وقد عمدت ألا تذهب إلى البحيرة في تلك الأيام حتى تتأكد من حقيقة مشاعرها تجاه «خالد»..

ورغم الصراع الذي كان يشتعل بداخلها ما بين الرغبة في الذهاب إلى هناك أو المكوث بحجرتها.. إلا أنها فضّلت البقاء بحجرتها.. حتى مر الأسبوع، وجاء يوم ذهابها إلى المنطقة الجنوبية.. فالتفت بعربتها إلى البحيرة حيث كان «خالد» في انتظارها.. فألته في ابتسامة:

- مساعدتي.. هل أنت مستعد للعمل؟..

فابتسم «خالد»:

- نعم..



ركب «خالد» العربة مع «أسيل».. وبدأت العربة في التحرك فألته «أسيل» بعدما وجدت بعض الأوراق تظهر بين أغراضه:

- ما هذا؟!

فابتسم «خالد»:

- فكرت إنني أسجل بعض الأحداث هنا في زيكولا..

فابتسمت «أسيل» وسألته:

- وماذا كتبت؟

فضحك «خالد»:

- في الحقيقة مكثتُش إلا حاجات قليلة..

فجذبت «أسيل» الأوراق.. وقالت:

- سأرى ماذا كتبت حتى الآن..

حتى وجدت تلك الكلمات التي كتبها عنها «خالد».. وأنها

حورية زيكولا فأحمرّ وجهها خجلاً.. ونظرت إليه بظرف عينها دون أن

تنطق.. فشعر «خالد» بالخرج بعدما قرأت «أسيل» كلماته فضحك

مداعباً لها:

- لا.. دي «أسيل» نجمة السما.. فضحكت «أسيل» ثم قالت:

- إنني لم أقل شيئاً.. ثم صمت.. وبدأت تقرأها من جديد.. وظلت

تقرأها، وتكررها أكثر من مرة في سرها.. حتى قاطعها «خالد»:

- أنا عرفت عن لعبة الزيكولا..

فسأته:- ألم تكن تعرف عنها حتى الآن؟

رد «خالد»:- لا.. اللي كنت أعرفه أنك مسؤولة عن اختيار أفقر ثلاثة

بالمدينة..

«أسيل»:- نعم.. فأنا طبيبة الحاكم..

فسألها «خالد»:- أنتي بتعرفي الأفقر ازاى؟

ضحكت «أسيل»:

- إجابتي كلمة واحدة.. الخبرة.. ثم أكملت:

- حين ينتهي أطباء زيكولا من عملهم.. يتبقى عدد قليل اختار من بينهم الأفقر.. قد يكون هناك المريض حقاً، وبالطبع إن شككت بذلك؛ أعدته إلى دياره، ولي الحق في ذلك دون أن يراجعني أحد.. أما الفقراء فشحوبهم مميز.. واستطيع بخبرتي أن أُميّز الأفقر منهم..  
فسألها «خالد»:

- وهنا الفقير سيكون يمتلك كام وحدة ذكاء تقريباً؟

«أسيل»:- إنها مسألة نية.. قد يمتلك شخص عشر وحدات، ويكون هناك من يمتلك أقل منه.. وقد يمتلك ألف وحدة ولكنه يكون الأقل فيكون الأفقر..

فضحك «خالد».. وسألها مجدداً:

- أنتي تقدري تعرفي أنا أمتلك كام وحدة؟

فابتسمت «أسيل» ثم وضعت يدها على جبينه.. ثم ردت:

- تمتلك ما بين ثمانمائة وتسعمائة وحدة..

فنطق «خالد» خائفاً:

- بس؟؟!!

ابتسم «أسيل» كي تطمته :- إنه ليس بالقليل ..

«خالد» :- ولكن الكل هنا يقول عليا غني ..

«أسيل» :- نعم .. ولكن هنا من يخبرك بأنك غني فقط ؛ أي أنك لست

فقيرًا ..

عادة الفقراء هنا يمتلكون مائة وحدة أو أقل .. وعليك أن تتخيل

كيف يصلون إلى تسعمائة وحدة إن كانوا يوقرون باليوم بعد احتياجاتهم

الضرورية وحدة أو وحدتين .. قد يحتاجون عاكًا، أو اثنين أو ثلاثة كي

يصلون إلى ذكائك، في الوقت الذي تكون أنت به قد ضاعفت ذكاءك،

وأصبحت تمتلك ضعف تلك الوحدات إن عملت بجد في تلك الفترة

من الزمن .. وهكذا تظل غنيًا في نظرهم ..

فتذكر «خالد» شيئًا ثم سألها:

ولكن الفقير اللي ذُبح المرة اللي فاتت كان يملك بيت ضخم ..

إزاي يكون فقير؟! .. وكان ممكن يبيعه مقابل ثمن كبير!

ردت «أسيل» :- ربما حاول أن يبيعه بالفعل .. ولكن ماذا لو لم

يتقدم أحد لشراؤه .. بالطبع سيفقد قيمته وقتها .. ثم أكلمت:

- حين يقترب يوم زيكونا ينشى الجميع أن يُفرطوا في وحدة واحدة من ذكائهم.. ربما إن علموا بخبر مولود الحاكم فلن يشتري أحد أي شيء حتى ذلك اليوم..

بعدها سألها «خالد» مداعباً لها:

- و«أسيل» الجميلة تمتلك كام وحدة؟

ضحكت «أسيل»:

- «أسيل» تمتلك الكثير.. أكثر مما تتخيل..



مر الوقت، وسائق العربية يأمر الحصان أن يسرع.. و«خالد» و«أسيل» يكملان حديثهما داخل العربية.. حتى وصلت العربية إلى المنطقة الجنوبية.. وقد نزل «خالد» من العربية حاملاً أغراضه، وحقيبة «أسيل».. فوجد تلك المنطقة تختلف عن المنطقة التي يقطن بها، وعن منطقة الحاكم.. فكانت مبانيها صغيرة.. تتكون من طابق واحد.. وكانت المباني قليلة ومتلاصقة.. والشوارع بها الكثير من الأحصنة والحمر، وما نتج عن ذلك من روث الحيوانات.. ثم نظر فوجد آلات زراعية قديمة.. ثم تحدثت «أسيل» قائلة:

- لا تندهش.. إنها المنطقة الجنوبية، منطقة الزراعة بزيكولا..  
الجميع هنا مزارعون، ويعملون بأراضيهم.. ويمدون زيكولا بالقمح  
والأرز وباقي المحاصيل.. وكل أنواع الفاكهة، ثم أكملت:  
- اليوم ستساعدني.. لن تستمع بالراحة كيوم منطقة الحاكم..  
فابتسم «خالد»:  
- حاضر



سارت «أسيل» ومعها «خالد» يحمل حقيبتها في أحد شوارع تلك  
المنطقة.. ثم دخلا أحد البيوت.. وكان كباقي البيوت؛ مكونًا من طابق  
واحد لا أكثر.. وهناك استقبلتهما سيدة تقرب من الخمسين من  
عمرها، ثم صَحبتهما إلى حجرة بالبيت حيث كان يرقد زوجها، وساقه  
اليسرى مضمة.. فنظرت «أسيل» إلى «خالد»:  
- «خالد».. أريدك أن تساعدني بأن أبذل له تلك الضمادة دون أن أحرك  
الجيرة أو أن أسبب له ألمًا..

فابتسم «خالد» ثم قام برفع قدم ذلك الرجل.. وثبَّتها على ذراعيه  
وبدأت «أسيل» تفك تلك الضمادة القديمة.. و«خالد» ينظر إلى ما

تفعله حتى أخرجت ضيافة جديدة من حقيبتها.. ثم أخرجت مادة  
عُشِيَّة خضراء اللون ولزجة.. ووضعت القليل منها على ساق ذلك  
الرجل ثم بدأت تلف الضيافة حول جبيرة ساقه.. حتى سألها الرجل:  
- متى أعود إلى عملي؟

فأجابت «أسيل»:

- إن عظام ساقك لم تلتئم بعد.. إنها مازالت تؤلمك، أليس كذلك؟  
رد الرجل:- بلى.. ولكن يجب أن أعمل.. لم أعمل منذ شهر.. وأشعر  
أن ثروتي تقل.. ويجب أن أعوض ذلك..

«أسيل» -وقد ابتسمت-:- عليك أن تصمد حتى تلتئم عظامك

ثم تُعوض ما فاتك من عمل في أيامك القادمة، ثم نظرت إلى «خالد»:

- هل رأيت يا «خالد» كيف أُلِفْتُ تلك الضيافة..

«خالد»:- أبوه.. دي سهلة..

«أسيل»:- حسنًا.. عليك أن تكملها حتى أعود إليك.. هناك فتاة

مريضة سأطمئن على حالتها وأعود..

«خالد» -وقد تحدث مثلها-:- حسنًا..



بعدها طلب «خالد» من ذلك الرجل أن يثبت قدميه في وضعها..  
ثم بدأ يكمل لف الضمادة حول ساقه كما كانت تفعل «أسيل» فرائه  
«أسيل» يفعلها ببراعة فتركته، وغادرت كما أخبرته.. وظل «خالد» مع  
الرجل المصاب يلف الضمادة حتى انتهى.. ثم سأل الرجل:  
- أنت عايش مع زوجتك فقط؟

رد الرجل: - نعم..

«خالد»: - وأولادك فين؟!

رد الرجل في حزن:

- إنهم كبار الآن.. لقد تركوني بعدما قُسمت عليهم أرضي..

«خالد» في دهشة: - قسمت عليهم أرضك؟

الرجل: - نعم.. فقد أجبروني على ذلك.. وتعذّوا علي أكثر من

مرة.. وأقسموا أن يقتلوني إن لم أعطيهم تلك الأرض.. ثم تابع:

- إنهم مثلنا يخشون الفقر.. وبعدها أخذوا ما أرادوا وتركوني..

فهمس «خالد» إلى نفسه:

- لا رحمة في زيكولا..

حتى فوجئ بامرأة تدخل فجأة.. وتصرخ سائلة:

- أين الطيبة «أسيل».. أين الطيبة «أسيل»..

رد «خالد»:

- إنها ستأتي بعد قليل.. لماذا تريدونها؟!

أجابت المرأة وهي تبكي: - إن ابني قد مرض فجأة.. ويبدو أن

مرضه شديد، وأخشى أن يموت قبل أن تأتي الطيبة..

فطلق الرجل، وأشار إلى «خالد»:

- إنه مساعد.. ويبدو أنه ماهر مثلها..

فنظر إليه «خالد» وقد رفع حاجبيه:

- لا.. أنا مش ماهر.. أنا مش طبيب..

فجذبتة السيدة:

- أرجوك.. سأعطيك كل ما تريد.. أريد أن يعيش ولدي..

وظلت تجذبه وتتوسل إليه.. و«خالد» يحاول أن يقنعها بأنه لا

يعرف عن الطب شيئاً.. ولكنها لم تصدقه فلم يجد إلا أن يذهب معها

كي عهداً.. ثم طلب من الرجل أن يخبر «أسيل» - حين تعود - عن

مكانه..



ذهب «خالد» مع تلك المرأة ، والتي كانت تجري حافية القدمين ..

وتجهر «خالد» وتصرخ :

- لقد كان صحيحًا .. إنه لم يمرض من قبل ..

حتى وصلا إلى بيت المرأة ، والذي كان بسيطًا ، ويوجد بمتصفه

حوض كبير مليء بالماء .. ثم دخلا إلى حجرة صغيرة يرقد بها الطفل

فاقدًا وعيه على سرير صغير .. و«خالد» لا يعلم ماذا يفعل .. ويحاول أن

يقول إنه مازال ماعدًا جديدًا له «أميل» ، ولكنها لم تدع له فرصة أن

يقول شيئًا .. وتصرخ :

- إن ابني سيموت .. إنه لم يكمل العشرة أعوام ..

و«خالد» يقف حائرًا .. وينظر إلى الطفل دون أن يتحرك .. والمرأة

ما زالت تصرخ :

- إنه يعمل بجد .. لا يمر يوم إلا ويعمل رغم سنّه الصغيرة .. لا تهتمّه

حرارة الشمس .. كل ما يهجه هو عمله ..

حتى نظر «خالد» فجأة إلى الطفل حين سمع صرخات أمه ..

وتذكر أن شمس ذلك اليوم كانت شديدة .. واقترب من الطفل فوجد

جلده جاف للغاية .. وحين لامس جبينه وجدّه ساخنًا جدًّا ، ووجد

الطفل يهذي بكلمات غير مفهومة.. فقام «خالد» بحمل الطفل، واتجه به إلى ذلك الحوض الذي يوجد بمتصف البيت.. ووضعه بملابسه في هذا الحوض، وقد اندهشت أم الطفل مما فعله «خالد».. ولكنها تركته يمضي فيها يعمل حتى سألها:

- فيه مياه أبرد من مياه الحوض؟!

فردت: - لا.. ولكنني قد اشتري ماء باردًا من جيرانى.. ثم خرجت مسرعة فأكمل «خالد» عمله، وأخرج الطفل من الماء ثم وضعه مرة أخرى به.. حتى عادت أمه، ومعها من تحمل أوعية بها ماء بارد، وسكته بالحوض.. ثم أمرها أن تقوم بفتح نوافذ البيت:

- أريد أن يدخل الهواء البارد إلى هنا..

أسرعت الأم إلى النوافذ:

- حسنًا..

بعدها أخرج الطفل من الماء وجردته من ملابسه.. ووضعه على أرضية باردة، وتركه لفترة ولا يعلم ماذا يفعل غير ذلك.. وهل ما فعله صحيح أم لا؟!..

مرّ بعض الوقت، و«خالد» ينتظر أن تأتي «أسيل».. ولكنها تأخرت، وظل هو بجوار الطفل والذي مازال فاقداً لموعيه، وأمه مازالت تصرخ.. ويحاول أن يهدأ من روعها، ولكنه فشل في ذلك.. حتى أتت «أسيل».. وقد وجدت «خالد» يجلس على ركبته بجوار الطفل الذي يرقد عارياً على أرضية الحجرة.. فسألته في لهفة:

- ماذا فعلت؟.. لماذا تضعه على الأرض هكذا؟!.. وماذا بلل هذا الفتي؟!؟

فرد «خالد»:

- كان سخن جداً.. وشكّيت إنه تعرض لضربة شمس..

فبدأت «أسيل» تفحص الطفل.. والأم مازالت تبكي بجوارها.. حتى فوجئت بالطفل يفتح عينيه، ويبحث عن أمه قبل أن تقوم «أسيل» بعمل أي شيء.. فوضعت «أسيل» يدها على جبينه.. ثم سألت «خالد».. هل كانت حرارته مرتفعة عن ذلك؟.. فوضع «خالد» يده فوجد حرارته قد انخفضت ولم يعد ساخناً كما كان.. فابتسم فرحاً:

- أيوه.. كان سخن عن كده كثير..

فابتسمت «أسيل» ثم نظرت إلى أمه:

- إنه بخير الآن ..

ثم أخرجت زجاجة من حقيبتها .. وأعطتها لأمه وأمرتها أن تعطيه  
منها كل يوم حتى يصبح صحيحًا .. فشكرتها على ذلك ثم انجذبت إلى  
«خالد» وشكرته .. وأخبرته بأنه طبيب بارع فضحك «خالد»:

- أنا مش طبيب .. صدقيني ..

فأنت:

- كم تريد؟

رد «خالد»: - لا .. أنا مش عاوز حاجة .. ثم نظر إلى «أسيل»:

- أعطي أجر الطيبة فقط ..

فقالت «أسيل»:

- لا، أنا لن آخذ شيئًا سوى ثمن الدواء .. أما غير ذلك فهو لك ..

لست أنا من أنقذه ..

فابتسم «خالد»:

- وأنا مش عاوز أي مقابل .. كفاية إنك اشتريتي الميه الباردة ..

فشكرته السيدة مجددًا .. ثم تأملته لبعض الوقت، وظلت صامنة

حتى اندحش «خالد» .. وغادر بعدها مع «أسيل»، والتي سأله:

- «خالد».. هل أنت طيب؟!

ضحك «خالد»: - لا.. والله..

فسألته: - كيف؟!.. في المرة الأولى أنقذت الفتى من الغرق وقلت إنها دورة إسعافات.. واليوم ربطت الضمادة ببراعة.. ثم أنقذت طفلاً آخر، لم أكن أستطيع فعل ما فعلته..  
رد «خالد»:

هي الصدقة فقط لا غير.. أنا كنت صغير وكنت بلعب مع أصحابي.. وفجأة ولد أغشى عليه مننا، وكان سخن زي الطفل ده ووقتها شفت الطيب وهو بيعمل شبه اللي أنا عملته كده، وقال إنها ضربة شمس.. فلما لقيت النهاردة الطفل، وأمه قالت بالصدقة إنه بيعمل في الشمس.. افتكرت نفس المشهد القديم في بالي.. ولما اتأخري قررت إنى أغامر لحد ما تيجي.. وقلت لنفسي أكيد مش هخسر حاجة بالعكس يمكن الدقائق دي تفرق في حياته.. والحقيقة مكنتش عارف النتيجة.. لكن التوفيق كان معايا والولد فاق فعلاً..  
صمتت «أميل» ثم قالت مبتسمة:

يعجبني ذكاؤك يا «خالد» .. اليوم أثبت أنك خير مساعد لي ..  
ولكن لماذا لم تأخذ أجرك هنا أيضًا من السيدة، وأنت تستحق ذلك ..  
ابتسم «خالد»: - ده عمل خير .. وكان لازم أعمله، مش كل  
حاجة لازم أخذ مقابل لها .. هي زيكولا مفيش فيها حد يعمل خير أبدًا  
ضحكت «أسيل» وأكملت:  
- كان يجب أن تأخذه .. فإنك قد استخدمت ذكاءك، والذكاء ثروتك،  
وحين تفكر بذكاء بالطبع يأخذ من تلك الثروة ..

ابتسم «خالد» مجددًا:

- أنا عرفت ليه مفيش حد بينفكر في زيكولا .. ولكن أنا مش محتاج  
مقابل لإنقاذ إنسان ..

ف قالت «أسيل» مبسمة: - حسنًا، يمكنك أن تذهب الآن لتبحث  
في تلك المنطقة عن كتابك .. وأنا سأزور بعض المرضى من السيدات، ثم  
أنتظرك في العربة حتى تعود ..



بدأ «خالد» بحثه في تلك المنطقة .. واندعش حين تذكر حديث  
«يامن» عن كِبَر زيكولا .. فمناطفها ليست كبيرة كما صورها له ..  
ولكنها تحتاج فقط إلى وسيلة تنقله من منطقة إلى أخرى ..



كانت المنطقة الجنوبية تمتاز بكثرة الأراضي الزراعية.. والتي مرَّ عليها «خالد»، ورأى المساحات الشاسعة المزروعة بالقمح، ومحاصيل أخرى.. واندهش كيف تكون تلك الزراعات بالأراضي الصحراوية؟.. ولكنه تذكر شيئاً مهماً لم يغفله وهو عمل أهل زيكولا الذي يجعلهم يزيلون جبلاً إن أرادوا حتى لا يُذبحوا.. وقد بدأ يسأل الناس عن ذلك الكتاب، وعن الشخص الذي يشبهه ولكنه يكبره شيئاً.. ولكنه كما توقع.. كلما سأل أحداً لم يجبه، ولم يعرف عن أي كتاب يتحدث.. وقد سخر منه البعض حين سمعوه يألم عن ذلك الكتاب.. ولكنه لم يستلم لليأس، وواصل سؤاله لكل من يقابله.. وسأل من يعملون بالأراضي عن الكتاب وعن صاحبه، ولكنهم لم يعرفوا أيضاً.. حتى جلس أسفل شجرة، وأخرج أوراقه وقلمه من أغراضه.. وكتب في أعلى الصفحة:

- المنطقة الجنوبية..

ثم كتب أسفلها:

يبدو أن المنطقة الجنوبية هي الأخرى لا يوجد بها ذلك الكتاب أو صاحبه.. ولا يعلم أحد من أهلها عن سرداب فوريك.. أما ما أدهشني في تلك المنطقة هو اهتمامها المميز بالزراعة.. وعدم اهتمامها بغيرها.. هنا كباقي مناطق زيكولا التي رأيتها.. الكل يعمل بجهد، ولا يضيعون وقتهم.. فقد صنعوا من الصحراء تربة خصبة.. وهذا ما جعلني أعرف لماذا لا تحتاج زيكولا أن يفتح سورها.. إنها تعتمد على أبناء زيكولا في كل شيء.. ولا تعتمد على البلاد الأخرى في شيء.. هنا المنطقة الجنوبية تنتج المحاصيل الزراعية التي تكفي زيكولا.. والمنطقة الشرقية التي أقطن بها تمتاز بالصناعة، وخاصة الصناعات التي نحتاجها زيكولا مثل صناعة الطوب للمباني، وصناعة الملابس، وصناعات أخرى.. والمنطقة الغربية كما أخبرني «يامن» توجد بها سوق كبيرة يمكنك أن تشتري أي شيء من صناعة وإنتاج أبناء زيكولا.. إنهم يحققون اكتفاء ذاتيًا في كل شيء بسبب عملهم، وخوفهم من الفقر.. وهذا ما جعلهم يشعرون بأن زيكولا أقوى البلدان الموجودة في هذا العالم.. وأعتقد أنني أوافقهم على ذلك.. فقوتهم تعني عدم اعتمادهم على أحد.. حتى توقف عن الكتابة حين وجد اليد التي أنقذ طفلها تقرب منه.. فاندھش من ذلك، حتى اقتربت وسألت:

هل تبحث عن رجل طويل وعريض مثلك، ولهجة غربية مثلك  
أيضًا، ولكنه أكبر سنًا؟  
فأجابها «خالد» في لهفة:  
- نعم.. أنتي تعرفيه؟  
أكملت السيدة:

لقد ذكرتني اليوم بيومٍ مرّ من أعوام طويلة.. كنت وقتها في  
السابعة عشرة من عمري، وكنت أعمل بالمنطقة الشمالية.. حتى قابلت  
رجلاً يشبهك، ولهجة مثل لهجتك، وزوجته كانت تختلف عن نساء  
زيكولا.. وقد قدّم إليّ معروفًا مثلما فعلت اليوم.. واقنعني بأن أعود  
للمعمل هنا..

فسألها «خالد» مجددًا في لهفة:

- يعني هو في المنطقة الشمالية؟

ردت: - لا أدري أين هو الآن.. لكنه كان هناك منذ عشرين عامًا..  
أعني أن نجده هناك..

ثم ابتسمت وأكملت:

حين انتهيت من إنقاذ ولدي تذكرته حين رأيتك... وبعدما غادرت أخبرني رجل بأنك تبحث عن رجل غريب به تلك الصفات... ولكنك سألت الكثير ولم تسألني أنا... فقال «خالد»:

- أنا من خوفي على ابنك نسيت أسألك، ثم سألتها مجددًا:

- أنتي متأكدة من كلامك عن الرجل ده؟

أجابته: - أجل.. إنني أتذكره جيدًا..

فأكمل «خالد»: - كان معاه كتاب يتكلم عن سرداب قوريك؟

ردت: - لا أدري.. فقد قلت لك عما أعرفه.. ولكن نصيحتي لك

ألا تضيع وقتك بالبحث هنا.. هنا الجميع يعملون بالزراعة ولا يحبون

الكتب أو القراءة.. وأنا أعرف جميع سكان تلك المنطقة.. ولا يوجد

بينهم من يمتلك صفات ذلك الرجل الذي تقصده.. أتمنى أن يكون هو

من أخبرتك عنه..

فابتسم «خالد»:

- شكرًا ليكي.. أنا مش عارف أشكرك إزاي..

ابتسمت:- لست أنا من يستحق الشكر.. إن لم تفعل ما فعلته مع طفلي في الصباح أعتقد أنني لم أكن لأترك ابني مريضاً، وأبحث عنك حتى أجده لأخبرك بذلك..

ابتسم «خالد» مجدداً ثم استأذن منها، وغادر مسرعاً إلى عربية «أسيل».. يجري فرحاً، يريد أن يبلغ «أسيل» بذلك الخبر، وذلك الأمل الذي سطع من جديد.. حتى وصل إلى العربية فلم يجد «أسيل» بها..



ظل «خالد» في انتظار «أسيل».. ويشعر قلبه بقرب خروجه من زيكولا، ويتذكر كلام تلك السيدة وينسم، ويحدث نفسه بتلك الصدفة، وأن تكون من تجربته بذلك سيدة أنقذ طفلها من الموت.. ثم فكر في ذلك الرجل الذي يشبهه، وزوجته كما قالت السيدة، وأنها تختلف عن نساء زيكولا.. هل هي أمه؟.. هل تتحقق أحلامه ويجدها في زيكولا؟..

يشعر بأن حديث تلك السيدة يؤكد ظنونه.. ثم يعود ليأل نفسه.. هل يجدها هناك بعد عشرين عاماً، أم يكون الحظ عاثراً تلك المرة هي الأخرى؟.. حتى وجد «أسيل» تقترب من بعيد، وتحمل

حقيقتها فأسرع إليها.. وأخذ منها الحقيبة، وسار بجوارها تجاه العربية..  
حتى نطق سعيداً:

- «أسيل».. أنا لقيت أمل جديد.. ثم أخبرها بما أخبرته به أم الطفل..  
واختتم حديثه حين ركبا العربية، وسألها:

- احنا هنروح المنطقة الشمالية امتى؟

فصمتت «أسيل» قليلاً ثم نظرت إليه، وقالت:

- أنا لا أذهب إلى المنطقة الشمالية..



اندهش «خالد» وسأل «أسيل» على الفور:

- لا تذهبي!!؟.. ليه!!؟

صمتت «أسيل» مجدداً، ثم نظرت عبر نافذة العربة التي بدأت في التحرك، وكأنها تتذكر شيئاً، ثم نظرت إلى «خالد»، وتحدثت بصوت هادئ:

- لقد أخذت وعداً من قبل ألا أذهب هناك..

«خالد» في دهشة: وعد!!؟

ردت «أسيل»: - نعم.. تذكر أنني أخبرتك بأني دخلت إلى زيكولا بين الأمرى والعبيد حتى اشتراي رجل حكيم علمني الطب.. فأوما «خالد» برأسه موافقاً دون أن يتحدث، ثم أكملت «أسيل»:

كان هذا الرجل يعاملني كابنته، ويخشى عليّ من كل شيء.. حتى أخبرته ذات يوم أنني سأذهب إلى المنطقة الشمالية كي أداوي أحد المرضى حين طلب مني أحد الأشخاص ذلك.. ففوجئت به يرفض

بقوة، وطلب مني أن أعدّه بألا أذهب هناك طيلة حياتي.. فوعده  
بذلك..

فسألها «خالد» - وما زال الغضب على وجهه - :  
- وأيه السبب؟! -

ردت «أسيل» :- حين سألته عن ذلك لم يقل لي سوى أنها أرض  
كُسالى زيكولا.. ولم يخبرني شيئاً آخر حتى موته.. وأنا ما زلت أحافظ  
على وعدي.. وأنا على يقين أنه محق في ذلك.. ثم تابعت بعد صمت:  
- لم أجد في حياتي من يحبني قدر ذلك الرجل..

صمت «خالد» مندهشاً، وبدا الحزن على وجهه، وأثر أن يكمل  
صمته، وكأنه يفكر ماذا سيفعل.. حتى ابتسم، ونظر إلى «أسيل» والتي  
لم تفارق عيناها نجوم السماء:

وأنا مش هكون سبب إنك تخلفي وعدك.. أنا بشكرك على  
مساعدتك لي الفترة اللي قانت.. وأكيد مش هطلب منك أكثر من كده..  
فردت «أسيل» في ابتسامة هادئة:

- هل ستذهب إلى هناك؟  
فابتسم «خالد»:  
- أكيد.. لازم أروح..



فابتسمت «أسيل» مجدداً: - حسناً.. أتمنى أن نجد كتابك هناك..  
ولكن إن لم نجده فعليك أن تعود إلي.. أقصد إلى العمل معي على  
الفور.. أين أجد مساعداً في مهارتك؟!

فابتسم «خالد» وضحك:

- لِمَا أراجع مصر هشتغل دكتور..

ضحكت «أسيل»، وواصل «خالد» مداعبته لها.. وأكملت حديثهما  
عن أرض زيكولا، وعن ذلك الطفل الذي أنقذه من ضربة الشمس،  
وذلك الرجل المصاب الذي ضربته أبناؤه، وأخذوا أرضه.. حتى  
وصلت العربة إلى البحيرة فنزل «خالد»، وودّع «أسيل» التي سألت:  
- متى ستذهب إلى المنطقة الشمالية؟

صمت «خالد» مفكراً: متى عارف.. محاول يكون في وقت  
قريب..

فابتسمت «أسيل»:

عليك أن تخبرني قبل أن تذهب.. وإن كنت شيئاً آخر عن  
«أسيل».. النجم.. لا بد لي أن أقرأه.. ثم أمرت سائق العربة أن يتحرك  
فضحك «خالد» ثم اتجه إلى الشجرة التي يجلس بجوارها دائماً..

ظل «خالد» كعادته يفكر.. يفكر فيها أخبرته به أم الطفل، وذلك الرجل الذي يشبهه، ويتذكر الصورة التي أعطاهما له جده يوم نزوله السرداب وضاعت مع أغراضه هناك.. صورة أبيه وأمه.. تداعبه أحلام اليقظة بأن يعود مرة أخرى إلى بلده ومعه أبوه وأمه بعد سنوات كثيرة.. ويتنسم حين يتخيّل فرحة جده بذلك، والتي قد تفتله.. ثم يعود ليتذكر حديث «أسيل».. وذلك الوعد الذي أخذته بالأّ تذهب إلى المنطقة الشمالية.. وقولها بأنها أرض الكسالى.. ويسأل نفسه متعجبًا.. كيف يعيش الكسالى بزيكولا؟!.. حتى غلبه النعاس بعدما حل به إرهاق ذلك النهار..



مرّ الليل سريعًا.. وأشرقَت الشمس، ونهض «خالد» من نومه، وقرر أن يذهب كعادته إلى عمله مع «يامن».. يريد أن يعلم الكثير عن المنطقة الشمالية.. حتى وصل إلى هناك، وزاد ضيقه حين وجد من يأخذون منه وحدتي الذكاء كل يوم، فأعطاهم ذلك.. ثم أكمل سيره حتى وجد «يامن» الذي سأله على الفور:

- هل وجدت كتابك؟

فرد «خالد»:

للأسف له.. بس فيه أمل إني الأقيه.. فيه امرأة قالت لي إنها  
قابلت رجل له نفس صفات صاحب الكتاب من عشرين سنة..

«يامن» في دهشة: - عشرون سنة!!.. وتريد أن تجده!!

«خالد»: - هو صعب.. بس لازم اتمسك بأي خيط يدلني على  
الكتاب.. عشان كده لازم أروح المنطقة الشمالية..

فاندھش «يامن» مجددًا:

- المنطقة الشمالية!!

«خالد»: أيوه.. ثم سأله:

- أنت وعدت حد أنت كمان إنك متروحش هناك؟!

فضحك «يامن»:

- لا.. لقد ذهبت إلى هناك مرة من قبل.. أتمنى إن ذهبت إلى هناك أن  
تعود سريعًا..

زادت الحيرة على وجه «خالد»:

- آيه اللي هناك؟!

فجلس «يامن» ثم جلس «خالد» بجواره.. حتى تحدث «يامن»:

- أهل زيكولا يعلمون أن تلك المنطقة تختلف كثيرًا عن باقي مناطق زيكولا..

فسأله «خالده»، وكأنه لا يفهم شيئًا: - ازاي؟!

أكمل «يامن»: سأخبرك.. أرض زيكولا هي أرض العمل.. الجميع هنا يعملون ويكسبون أجورهم مقابل عملهم.. أما تلك المنطقة فإنها تجمع كسالى زيكولا.. ولهذا ستجد صعوبة حين تذهب إلى هناك.. عليك أن تسأل كل شخص لأن الكثيرين منهم لا يعرفون بعضهم.. ثم أخذ نفسًا.. وأخرج زفيرًا، وأكمل:

- إنهم لا يعملون مثلنا.. إنهم يكسبون أجورهم بأعمال أخرى.. ثم صمت وأكمل:

- ستجد أهلها فئتين؛ الفئة الأولى من الأثرياء الكسالى الذين ورثوا الكثير من الذكاء.. الكثير من الثروة التي تجعلهم يعيشون أثرياء، وينفقون ببذخ حتى يموتوا، وفئة أخرى فقراء، ينجشون الذبح ولا يريدون أن يعملوا عملاً شاقًا.. فوجدوا طرقًا أخرى ينجون بها ثروتهم.

- هل ترى هؤلاء؟.. وقد أشار إلى من يأخذون تلك الوحدات مقابل حياتهم..

فرد «خالد»: أبوه..

فأكمل «يامن»:

- إنهم من المنطقة الشمالية التي تريد أن تذهب إليها.. هم يعيشون هناك هكذا.. فضّلوا أن يستغلوا قوتهم في كسب ثروتهم، فانتشروا في باقي أراضي زيكولا.. أما النساء هناك فآثرن استغلال جمالهن.. ثم صمت، ونظر إلى «خالد» وأكمل:

- أنت تعلم كيف تجني امرأة ثروة من جمالها دون تعب.. وخاصة أن هناك الكثيرين من الأثرياء الكسالى.. إنها أرض الرزيلة يا صديقي..



صمت «خالد» حين سمع ما قاله «يامن»، وابتسم حين تذكر وعد «أميل» وأنها على حق في ذلك، ثم زادت ضربات قلبه حين تذكر أن صاحب الكتاب.. أبيه.. قد يكون بتلك المنطقة.. حتى قاطع «يامن» تفكيره:

- إنها بعيدة عن هنا كثيرا.. فكيف ستذهب إلى هناك.. أم الطيبة ستساعدك؟..

رد «خالد»:- لا.. «أسيل» ساعدتني بها فيه الكفاية.. قولّي يا «يامن»،  
متبن أقدر استأجر حصان قوي لمدة تلت أيام؟..

فأجاب «يامن»:- ثلاثة أيام قد تكلفك قرابة الخمسين وحدة..

فأكمل «خالد»:- مش مهم.. أنا هقدر أعرضهم بعد كده.. أنا قرّرت

إني هروح بكره المنطقة الشمالية.. عاوز استغل كل يوم هنا في زيكولا

فابتسم «يامن»:-

- حسنا، دعني أوفر لك حصانًا قويًا.. وسأرشدك نحو الطريق إلى

المنطقة الشمالية، وأنغني أن تجد كتابك هناك.. ثم حل فأسه، وقال

له «خالد»:-

- هيا علينا أن نعمل اليوم كثيرًا بعدما أضعنا الكثير من الوقت في

الحديث..



في صباح اليوم التالي انجه «يامن» إلى شاطئ البحيرة، ومعه ذلك

الحصان القوي الذي وعد «خالد» به.. حتى وجده هناك فابتسم

«خالد» حين رآه ومعه ذلك الحصان، وشكره كثيرًا على ذلك ثم حل

أمتته، واحتضن «يامن»، وضحك:-

- هشوفك قريب..

فايتسم «يامن»:

أرجو أن تعيد الحصان صحيحًا.. إننى أتحمل مسؤوليته حتى  
تعود.. لو علم صاحبه أنك ستذهب إلى المنطقة الشمالية لما أعطاني  
هأذا..

ضحك «خالد» ثم امنطى ظهر الحصان.. وكاد يأمره أن يتحرك  
حتى صاح «يامن»:  
- انتظر..

ثم أخرج ورقة بيضاء، وعليها بعض الخطوط السوداء، وتحدث  
إلى «خالد»:

- تلك خطوط بدائية رسمتها للطريق نحو المنطقة الشمالية. ثم  
أشار إلى خط أسود طويل يخرج من مربع قد رسمه:

- هذا المربع هو منطقةتنا.. وذلك الخط هو الطريق الذى تسلكه  
حين تخرج من هنا حتى تصل إلى تلك المنطقة..

فايتسم «خالد» مجددًا.. وأخذ منه الورقة، ووضعها بين أغراضه:

- أشكرك يا «يامن».. بجد أشكرك يا صديقي

بعدها أمر «خالد» حصانه أن يتحرك.. وبدأ يتحرك ببطء حتى أسرع رويدًا رويدًا في طريقه إلى بيت «أسيل».. وكاد يصل إلى بيتها حتى رأى عربتها تسير مبتعدة عنه، فأسرع بحصانه إلى العربية.. وسار بجوارها ثم ضحك حين وجدها تجلس بالعربة شاردة الذهن، ولا تراه.. فظل يسير بجوارها دون أن يتحدث حتى نظرت إلى جانبها عبر النافذة ففوجئت به على حصانه، فضحكت وحدثه:

- منذ متى تسير بجوارنا؟!

ضحك «خالد»: - من بدري.. يا ترى بتفكرى في أيه؟

ابتسمت «أسيل»: - لا شيء.. إني أشرد مع نفسي كثيرًا.. ثم نظرت إلى حصانه:

- هل اشتريت حصانًا؟!

فرد «خالد»: - لا.. أنا أجرتنه.. وزى ما وعدتك إني أشوفك قبل ما أروح هناك، أنا قدامك أهو..

ابتسمت «أسيل» ثم سأله:

- هل ستذهب إلى المنطقة الشمالية الآن؟

فرد «خالد»: - أيوه..



فصمتت «أسيل» ثم سأله في هدوء:

- «خالد».. هل ستعود إلى هنا إن وجدت كتابك، أو أبوك..

فنظر «خالد» أمامه ثم صمت لبعض الوقت.. وابتم:

- أكيد لازم أرجع.. ثم أكمل مداعبه لها:

- ده «يامن» هيقنني لو مرجعتش عشان الحصان..

ضحكت «أسيل»، وضحك «خالد».. وواصلتا تحركهما في

طرقات زيكولا.. و«خالد» على حصانه يسير بجوار عربتها، والتي

تجلس بجوار نافذتها كمن تجلس أمام نافذة غرفتها.. حتى وصلا إلى

أطراف المنطقة الشرقية.. فنطقت «أسيل» بعدما أشارت إلى طريق ممهد:

- هذا الطريق يقودك إلى المنطقة الشمالية..

فابتسم «خالد» ثم نظر إليها:

- أتمنى إني ألاقى الكتاب وأرجع لها في أسرع وقت..

ثم أمر حصانه أن يتطلق نحو ذلك الطريق.. و«أسيل» تنظر إليه

بينما تسير عربتها في طريق آخر.. وتبتسم حين تجد شعر «خالد» الطويل

يتطاير مع الهواء، وجسده القوي يمتطي ذلك الحصان ببراعة.. وكأنه

وُلد فارسًا.. حتى اختفى عن أنظارها فأغمضت عينيها، وتمنت أن

يحقق ما يريد.. أما «خالد» فواصل طريقه نحو المنطقة الشمالية.. يريد أن يصل إلى هناك في وقت قليل.. يحفر حصانه أن يسرع.. ثم يخرج تلك الورقة التي أعطاها له «يامن»، وينظر إليها، وإلى خطوطها، ثم يواصل سيره مجددًا.. وكلما يحمل به التعب ينال القليل من الراحة، فيوقف حصانه، ويرتجل، ويشرب القليل من الماء ثم يكمل طريقه نحو تلك المنطقة..



بدأت الشمس في الغيب، وحلّ الليل.. حتى وصل «خالد» إلى أطراف المنطقة الشمالية فارتجل.. وسار على قدميه، وحصانه يسير بجواره.. واندھش حين رأى بيوت تلك المنطقة وتنوعها ما بين ما هو فخم للغاية، وما هو متواضع ويبدو عليه الفقر.. وأكمل مسيره بين شوارع تلك المنطقة.. وزادت دهشته من الصمت الذي يسودها حتى زالت تلك الدهشة سريعًا حين توغل في شوارعها.. فوجد الكثير من الناس يلهون ويمرحون ويتراقصون مع أنغام الموسيقى التي غطت ضواحي تلك المنطقة.. وتذكر كلمات «يامن» عن فتياتها حين رأى زين الذي يختلف عن زي باقي فتيات المناطق الأخرى، فقد كان أكثر عمرة

وإغراء.. وواصل سيره حتى وجد مكاناً يجتمع به الكثير من الناس..  
فما قرب منهم فوجد نيزاً لا بين اثنين من الأقوياء، وسمع أحد  
الأشخاص بجواره يقول لآخر: «لقد راهنت بخمس عشرة وحدة على  
هذا الرجل»، وأشار إلى أحدهما.. فاندesh «خالد»، وأكمل سيره..  
حتى بدأ يسأل أحد الفتيان عن الرجل الذي يبحث عنه فلم يجبه..  
وسأل غيره فلم يجبه هو الآخر.. وسأل الكثيرين من الناس فلم يجبه  
أحد.. وظل يسير بين هؤلاء الناس الذين تبحث من أفواههم رائحة  
ننتة، ويترنحون فأدرك أنها رائحة لمر.. وبين ضحكات فتيات الليل  
المدللة التي تملأ كافة الأركان.. حتى جلس بجانب الطريق، ويجواره  
حصانه ففوجئ بشخص ضخم يأتيه.. ويطلب منه عشر وحدات من  
الذكاء مقابل أن يجبه هو وحصانه.. وإلا سأخذ ذلك الحصان منه..  
فصمت «خالد» قليلاً ثم وافق وحذته:

سأعطيك ما تريد، ووحدين إضافيتين مقابل أن أترك الحصان  
عندك حتى أعود لأخذه غداً..

فوافق الرجل .. وأعطاه «خالد» الحصان كي يكون أكثر حرية ..  
وواصل جلوسه ومراقبته لأهل تلك المنطقة من بعيد .. حتى مرّ الليل  
دون أن يغفوا له جفن ..



في صباح اليوم التالي، ظل «خالد» منتظرًا أن يرى أحدًا يسأله، فلم  
يجد ما أراده .. وكان المدينة أصبحت مدينة الموتى .. الشوارع خالية،  
يسودها صمت رهيب .. فنهض وبدأ يتحرك، ويتجول بشوارعها على  
يجد أحدًا .. ولكن دون جدوى، فأكمل مسيره حتى جلس بمكان آخر،  
وأخرج أقلامه وأوراقه، وبدأ يكتب وهو يتحدث بصوت مسموع  
- المنطقة الشمالية .. أرض كسالى زيكولا ..

ثم كتب تحتها:

- إنها المنطقة الرابعة التي أزورها في زيكولا .. بعد يومي الأول  
هنا .. تأكدت أنهم يختلفون عن باقي أهل زيكولا .. هم لا يعملون كما  
أخبرني «يامن»، وحياتهم بالمساء كما رأيت بالأمس ..

الكثير منهم ورثوا فلا يعملون، ويمرحون ويشربون ويتراهنون ..  
أما الفقراء منهم .. الفتى يجد ثروته في قوته فيستخدمها لتحقيق ثروته

من الذكاء.. والفتاة تجد ثروتها في أتونها وجمالها فتستخدم ما تمتلكه في تحقيق ثروة دون عناء..

ثم صمت مفكرًا.. وتوقف قليلاً عن الكتابة.. ثم أكمل مجددًا:  
أرى أن الكثيرين من تلك المنطقة سيكونون ضحايا الذبح قريبًا..  
فالقوي سيضعف ذات يوم، والجمال سيذهب مع الوقت..  
ثم ضحك، وتوقف عن الكتابة مجددًا، وحدث نفسه:  
- بقيت فيلوف يا «خالد».. زيكولا غيرت فيك كثير.. ثم أنهى كتابته  
بأن كتب مجددًا:

- إنها أضعف مناطق زيكولا..

ثم وضع أفلامه، وأوراقه مرة أخرى بين أغراضه.. وبدأ يتحرك  
بين شوارع تلك المنطقة من جديد.. وضاق به صدره حين وجد نفسه  
وحيدًا بتلك الشوارع، وعلم أنه لا بد وأن ينتظر حتى المساء..



غربت الشمس.. وبدأ الظلام يملأ السماء، وأشعلت النيران  
لتضيء المدينة، وبدأ الناس يخرجون إلى الشوارع.. وبدأت الموسيقى من  
جديد، وخرجت الفتيات إلى الخارج.. كل فتاة تحاول أن تجذب رجلًا

إليها.. حتى امتلأت الشوارع بالأشخاص في تلك المنطقة التي تواجد بها «خالد».. فبدأ يسأل هذا وذاك عن ذلك الرجل الطويل العريض صاحب الكتاب، واقترب لیسأل كبار السن.. ربما عرفوه حين كان هنا منذ عشرين عامًا، ولكن لا فائدة.. وبدأ اليأس يدق قلبه، وكأنه لن يجد هذا الرجل أبدًا، وسار والحزن على وجهه.. حتى سمع صوت من خلفه يناديه:

- أنت..

فالتفت «خالد» ليجد فتاة يشعر أنه قد رآها من قبل.. حتى تذكر أنها الفتاة التي قابلها يوم زيكولا.. وطلبت منه أن يرافقها ورفض.. ولكنها اليوم أكثر عراة.. فاندحش حين وجدها:

- أنتي!!

ضحكت الفتاة:- نعم.. أتذكرني؟!

«خالد»:- نعم..

فضحكت الفتاة:- حسنًا.. عليك أن تأتي معي..

فسألها «خالد» في دهشة:- آجي معاك فين؟!

فجذبت من يده ثم دخلت إلى مكان مجاور إضاءته خافتة.. وبه الكثير من الناس.. كل رجل يجلس مع فتاة، فبدأ الشك ينسرب إلى قلب «خالد» حتى سأله:

- أنتي عاوزة مني أيه؟!

ردت الفتاة: أنا!!! ثم صمتت وأكملت:

- إنك الرجل الوحيد الذي رفض أن يصطحبني من قبل.. ولهذا أجدد عرضي لك..

ثم أكملت:

- إنني هنا أفعل ما يحلو للرجال مقابل الكثير من الوحدات.. ولكنني لا أريد منك شيئاً.. سأصطحبك الليلة دون مقابل..

فنهض «خالد» غاضباً:

- وأنا مش موافق.. أنا مش زي اللي بيحولك هنا.. ثم تحرك ليفادر فجذبت له جلس.. وسأته:

- هل تعجبك فتاة أخرى؟

فرد «خالد» منفعلاً:

- لا.. ثم سأله:

- أنتي عايشة حياتك كدة ازاي؟!

فضحكت الفتاة ساخرة:

- حياتي.. ما بها؟!

أكمل «خالد»: - ازاي تبيعي نفسك لأي حد؟

ضحكت الفتاة مجددًا.. ثم تناولت كوبًا به خر:

- وكيف أعيش في زيكولا أيها الوسيم.. كيف أحصل على الذكاء..

الثروة..

«خالد»، وقد أخرج نفسًا طويلًا:

- الذكاء..

ثم أكمل:

اعلمي زي بنات زيكولا اللي بيعملوا بشرف في المناطق الأخرى

أنتي مفكرتيش لما جمالك يروح هتقدري تحصلي على ذكائك ازاي؟

ضحكت الفتاة.. وقد بدى تأثير الخمر عليها، وقد ثقل لسانها:

وقتها سأكون حققت مخزوني كبيرًا من الثروة.. أما بنات زيكولا

فيعملن... ثم تابعت:



وأنا أيضًا أعمل.. وكلانا يحصل على أجره.. هيا انتهز الفرصة قبل أن يضيع جمالي.. إن الكثيرين في الخارج يتمنون أن يجلسوا مكانك الآن أيها الوسيم..

فظهر الغضب على «خالد».. وكأنه فقد أمله في حديثه معها، وصاح غاضبًا بها:

- مثلك عار على زيكولا..

ثم نهض، وتحرك بضع خطوات مبتعدًا عنها.. فصرخت غاضبة: - عار!!.. إنتي أفضل حالًا من آخر أعرفه، قتل أباه كي يرثه.. ثم هدا صوتها.. ووضعت رأسها على المتضدة التي أمامها من تأثير الخمر، ثم همست بصوت سمعه «خالد»: - وفي النهاية لم يرث سوى كتاب لعين.. احتفظ به أبوه أكثر من عشرين عامًا.. - ثم أغمضت عينيها..



توقفت قدما «خالد» عن الحركة، واتسعت حدقتا عينييه، وزادت ضربات قلبه حين سمع كلماتها .. وعاد إليها مسرعاً .. وسألها في لهفة:

- أنتي قلتي آيه؟!

فوجدتها قد وضعت رأسها على الطاولة .. وغابت عن الوعي .. فسألها مجددًا وصاح بها ولكنها لم تجبه، فحاول أن يجعلها تفتح عينيها وأن تكرر ما قاله مرة أخرى، ويضرب بيده على الطاولة حتى تفيق ولكن دون جدوى، حتى أمسك برأسها وأعادها إلى الخلف ثم جلس أمامها ففتحت عينيها ببطء .. ونظرت إليه في ذهول، فسألها:

- أنتي قلتي آيه في آخر كلامك؟

فابتسمت ونظرت إليه كثيرًا ثم سأله:

- من أنت أيها الوسيم؟

فنهض «خالد» وسأل نادلاً أين يجد غرفة خالية، فأشار النادل إلى باب إحدى الغرف فأسرع «خالد»، وحمل الفتاة على كتفه والنسي ضحكته برعونة حين قام بحملها .. وسار بها تجاه تلك الغرفة وسط

نظرات الفتيات الأخرى اللاقي بها من حين وجدته يحملها وكان  
الغيرة أصابتهن.. حتى وصل «خالد» إلى باب الغرفة فدفعه بقدمه ثم  
دلف إلى الداخل، والفتاة ما زالت تضحك حتى طرحها على أرضية  
الغرفة.. وأكمل سيره للداخل حتى وجد إناء كبيراً به ماء فحمله، وعاد  
به إليها وسكبه بالكامل فوق رأسها حتى صرخت من برودة الماء ثم  
سألتها:

- افكرتي أنا مين؟

فنظرت إليه دون أن تحجب، فأسرع مجدداً، وحمل إناء آخر، وسكبه  
فوق رأسها؛ فصرخت:

- تذكرتك.. أرجوك.. لا حاجة لمزيد من الماء..

فألتها «خالد» على الفور:

- مين اللي قتل أبوه عشان يرثه.. وفي الآخر ورث كتاب؟

صمتت الفتاة، وكأنها تذكر ثم سألته:

- هل حدثتكَ عن ذلك؟

رد «خالد» متلهفًا: - أبوه..

فنظرت إليه الفتاة:

- حسناً.. ماذا تريد منه؟

فأجاب «خالد»: - أنا عاوز أوصل له بأي طريقة.. لازم أوصل

له لازم الألفي الكتاب وصاحبه.. أنتي تعرفيه؟

فنهضت الفتاة ثم تحركت بعض الخطوات بملابسها المبللة

وشعرها المبلل ثم جلست على أحد الكراسي، ونظرت إلى «خالد»:

- نعم أعرفه.. وقد أدلك عليه الآن إن أعطيني عشرين وحدة من

ذكائك..

فأسرع «خالد» تجاهها:

- وأنا موافق..

فضحكت الفتاة:

حناً.. ما اصطحبك إلى هناك.. ولكن انتظر حتى أبدل ملابسي..

انجه «خالد» مع الفتاة، والتي بدلت ملابسها إلى أحد الشوارع البعيدة..

وقد أخبرته بأن بيت صاحب الكتاب في نهاية ذلك الشارع.. و«خالد»

يسير وعقله لا يتوقف عن التفكير، ويفكر بما قالته الفتاة بأن هذا

الشاب قتل أباه كي يرثه.. ويخشى أن يكون ما يفكر به حقيقة تصدمه

بعد لحظات.. حتى وصلا إلى بيت متواضع، فسألها «خالد»:

- هو جوء؟!

فردت الفتاة: - نعم..

فاندھش «خالد» ثم سألها مجدداً:

- وليه هو مش بالخارج زي باقي أهل المنطقة الشمالية؟!

فأجابته:

- إنه هكذا.. بعد أن قتل أباه وفوجئ بعدم امتلاكه لشيء..

أصابه اليأس، فهو يجلس في بيته كثيراً.. وتزداد حالته سوءاً، وكأنه  
يتظر أن يُذبح في يوم زيكولا..

ثم طرقت الباب، وبعد لحظات قام شاب في العشرين من عمره  
بفتحه.. فأشارت إليه الفتاة:

- ها هو صاحب الكتاب.. أما أنا فعليّ أن أعود إلى عملي.. ثم

نظرت إلى «خالد» بطرف عينا، وأكملت:

- هناك من يتظرونني..

فنظر إليها «خالد» مبتسماً: - شكراً على كل حال..



غادرت الفتاة.. ونظر «خالد» إلى ذلك الشاب الذي يقف أمامه،

وظل يتأمله حتى سأله الشاب:

- من أنت؟!

فزادت دهشة «خالد» حين وجد أن صوت هذا الشاب يشبه

صوته.. فسأله الشاب مجددًا، وقد ظهر الغضب على وجهه:

- من أنت؟

فرد «خالد»: - أنا أطلب منك المساعدة..

فسأله الشاب: مساعدة؟!

فأجابه «خالد»:

- أيوه.. أنا عرفت إنك ورثت عن والدك كتابًا احتفظ به لمدة عشرين

سنة..

فأخرج الشاب نفسًا عميقًا: - نعم..

فابتسم «خالد»: - هل تأذن لي بالدخول لتحدّث قليلًا.. ثم تابع حين

شعر برفض الشاب:

- وسأعطيك خمس وحدات ذكاء مقابل ذلك الحديث..

فابتسم الشاب:

- حناً.. تفضل، ولكن لا تضيّع وقتي.. عليك أن ترحل سريعاً، إنني لا أحب الغرباء..



دخل «خالد» مع ذلك الشاب إلى الداخل.. ولاحظ مدى الفقر الذي يعيشه هذا الشاب، وتلك الحياة البائسة، والتي ظهرت على ملابسه وعلى أرضية البيت حيث زجاجات الخمر الفارغة، وظل يتربص الشاب، ويتأمله حتى سأله:

- أنت قتلت والدك فعلاً؟

فرد الشاب غاضباً:

- وما دخلك؟! -

فنهضت «خالد»:- أرجوك، أجبني..

فنهض الشاب، وتحرك خطوات مبتعداً عن «خالد».. وحمل زجاجة من الخمر في يده.. ثم نظر إلى «خالد»:

- نعم قتله.. إنه لم يجلب لي سوى الفقر.. ثم تابع:

- اعتقد أن أمي ماتت قديماً بسبب جنونه..

فأله «خالد» على الفور في حزن:- أملك.. ماتت؟!!

فأجابه الشاب:

- منذ زمن قديم.. إنني لا أتذكرها حتى.. ليتها عاشت ومات هو..

فسأله «خالد»: - ليه بتكرهه كل الكره ده؟

فرد الشاب بعدما شرب القليل من الخمر:

إنني أكرهه لأنه كان مجنوناً.. هل يعقل أن ينفق أحد مخزونه من

الذكاء مقابل كتاب لعين.. ثم ينفق ما تبقى له من ذكاء في التفكير في

هذا الكتاب.. يكفيه حفظاً أنه وجد من هو أفقر منه بزيكولا.. والا ذُبَح

قبل أن أقتله بسنوات..

فصمت «خالد» قليلاً.. ثم نظر إلى الشاب مجدداً، وسأله:

- ما اسمك؟

رد الفتى:

- اسمي «هلال».. إنه من ستاني بهذا الاسم..

فسأله «خالد» على الفور:

- واسم والدك أيه؟

فأجاب «هلال» ساخطاً:

- كان يدعى «حسني»..



فدق قلب «خالد» بقوة.. وأحمر وجهه، وكأن الحقيقة التي كان ينتظرها  
قد لفحته.. ونطق:

- «حسني عبد القوي»؟!

فاندش الشاب:

- نعم.. هل تعرفه؟!

فصمت «خالد».. وتساقت بعض دموعه.. وانحنى بظهره إلى الأمام،  
ووضع رأسه بين يديه، وأكمل بصوت هادي:

كان أبوك غريباً عن هنا.. وجاء إلى زيكولا من سبعة وعشرين  
سنة.. هو وأمك.. وكان يجذّلك عن مصر.. وعن سرداب فوريك  
فزادت دهشة «هلال»، ونظر إلى «خالد»، والذي أكمل:

- ولكنه مقدرش يحملك من طباع زيكولا.. وأصبح همك  
مثلهم.. الثروة.

ثم نهض، واقترب منه، وخطف زجاجة الخمر من يديه، ووضعها  
بعيداً.. ثم سأله:

- لاحظت الشبه القليل بيني وبينك؟.. هل لاحظت أن صوتي يشبه  
صوتك؟ ثم تابع:

- أنت «هلال حسني» .. وأنا اسمي «خالد حسني» ..

ثم عاد خطوات إلى الخلف، وأخذ نفسًا عميقًا وأخرجه ببطء ثم أكمل بعدما نظر إليه:

- أنا أخوك، وأنت قتلت والدنا.. لأنك ابن زيكولا..

فصاح «هلال» به «خالد»:

- يبدو أنك مجنون أنت الآخر، ثم دفعه:

- هيا اخرج من هنا..

فصاح «خالد» غاضبًا، وما زالت الدموع على وجهه: - أنا فعلًا أخوك

فدفعه «هلال» مجددًا:

- اخرج أيها المجنون.. هل أنا بحاجة إلى مزيد من الجنون كي تأتيني

أنت الآخر؟؟!!

فنظر إليه «خالد»، وكأنه يراه وهو يقتل أباه ثم مسح دموعه بيده ثم سأله:

- أين الكتاب؟

فأجابه «هلال» غاضبًا:

- وماذا تريد من الكتاب؟؟

فرد «خالد»: أنا بحاجة للكتاب لأنني عاوز أرجع بلدي.. ويمكن تيجي معايا..

فضحك «هلال» ساخرًا:

- أرى أنك تشبه أبي في جنونه.. انتظر..

ثم نظر إليه وعقد حاجبيه، وسار بعض الخطوات إلى إحدى الغرف ثم عاد مجددًا إلى «خالد»، ومعه كتاب قديم أوراقه سميكة وقديمة.. فأسرع إليه «خالد»، وخطفه منه حين لمح عنوانه.. سرداب فوريك.. وبدأ يقلّب صفحاته المصفرة في لفحة وقلبه يدق بقوة، حتى وصل إلى صفحة في منتصف الكتاب مكتوب بها بخط يدوي كبير.. الطريق إلى سرداب فوريك.. وكاد يقرأ ما بها حتى اختطفه «هلال» منه، وضحك ساخرًا:

- هل تريد هذا الكتاب؟!

رد «خالد» في لفحة:

- أيوه..

فضحك «هلال»، وحذّث نفسه:

- لقد أصبح للكتاب فائدة، ثم نظر إلى «خالد»:

- حسناً.. عليك أن تشتريه..

صمت «خالد» قليلاً ثم سأل:

- وكم تريد؟

ابتسم «هلال»، وتحرك خطوات جيئة وذهاباً حتى تحدث:

- أرى أنك في حاجة ضرورية إلى الكتاب..

فطلق «خالد»: - نعم..

فأكمل هلال:

- حسناً.. إن كنت تريده، فعليك أن تعطيني ريمانة واحدة من

ذكانك..

فصاح «خالد» على الفور: ريمانية واحدة؟؟!

فرد «هلال» في هدوء، وتناول زجاجة مرة أخرى:

- نعم.. أيها الغني.. ريمانة واحدة..

فقال «خالد»: صدقتي، أنا أخوك..

فضحك «هلال» ساخراً:

- لبتني أتأكد أنك أخي أيها المجنون.. أقسم لك أنني لو تأكدت من

ذلك لقتلك كي أرثك..

فصمت «خالد» ، وقد زاد ضيقه ثم سأله :

- هل ترك أبوك شيئاً آخر؟

فأجابه: إنه لم يترك سوى هذا الكتاب.. هل ما زلت تريد شراءه، ثم

ضحك ساخراً، وأكمل:

- هيا.. إنها ربعمائة وحدة فقط..

فصمت «خالد» مرة أخرى.. وكأنه يفكر، وطال صمته حتى نظر إلى

«هلال»:

- أعطني مهلة شهرين.. وهرجع اشتريه مقابل الربعمية وحدة..

فسأله «هلال» متعجباً:

- ألا تمتلكهم الآن؟

فتحرك «خالد» خطوات، ثم نظر إليه:

- أمتلكهم.. ولكنني أحافظ على غزوني من الذكاء.. وهقدر أوفر من

عملي ثمن الكتاب.. وهرجع لك بعد شهرين من اليوم.. أرجوك

حافظ على الكتاب..

فجلس «هلال»، وعاد بظهره للخلف:

- حسناً.. سأنتظرك حتى تعود، ولكن إن تأخرت يوماً واحداً عن الشهرين.. سأمزق عن كل يوم تأخرته عشر ورقات، حتى لو وصل بي الأمر أن أمزقه بالكامل.. إنه لا يعني بشيء.. هيا لا تضع وقتك.. عد إلى حيث جئت..

فاوماً «خالد» برأسه ثم تركه، وغادر، وأخرج زفيراً طويلاً، وحدث نفسه:

- إنه أخي.. وقاتل أبي..



غادر «خالد» بيت «هلال»، صاحب الكتاب.. يسير بين الناس وبين موسيقاهم وصرخاتهم التي لا تتوقف.. وعقله يشتعل بالتفكير.. تنضارب برأسه الكثير من الأفكار، ويتخبط قلبه ما بين شعور وآخر.. يسأل نفسه هل يسعد لأنه وجد كتابه، أم يحزن حين علم بقتل أبيه وموت أمه، حتى لو لم يرهما من قبل.. وهذا الشاب المتهور الذي قد يكون أخاه، ومدى جشعه.. والمقابل الكبير الذي طلبه كي يعطيه كتابه.. وكيف سيوفر أربعمائة وحدة في شهرين.. وإن عاد لياخذ كتابه

هل يأخذه ويترك أخاه، أم يأخذه معه.. حتى أمسك رأسه، وكأنه لم يعد  
يستطيع التفكير.. وحذت نفسه بصوت هامس:  
- هديني دلو قتي إني آخذ الكتاب..

ثم سار إلى المكان الذي جلس به حين أتى إلى المنطقة الشمالية..  
فوجد من أعطاه حصانه فاتجه إليه كي يترده؛ فلم يعطه الحصان إلا  
بعدما أعطاه «خالد» وحدثين آخرين.. ثم أخذ «خالد» حصانه.. واتجه  
إلى مكان آخر، وآثر أن يظل به حتى تشرق الشمس، فيعود إلى المنطقة  
الشرقية حيث «أسيل» و«يامن» وعمله معه..



في صباح اليوم التالي، أعدَّ «خالد» أغراضه، وامتطى حصانه ثم  
بدأ يتحرك بين الشوارع الخالية إلى أطراف المنطقة الشمالية، حتى وصل  
إلى بداية طريقه نحو المنطقة الشرقية فالتفت بحصانه نحو تلك المنطقة،  
وكانه يودعها حتى يعود إليها مجدداً بعد سَتين يوماً.. ثم التفت مجدداً  
نجاه الطريق، وأمر حصانه أن ينطلق..



مر الوقت ، و«خالد» في طريقه إلى المنطقة الشرقية.. لا يشغل  
تفكيره سوى ذلك الكتاب، وماذا سيكون في تلك الصفحة المكتوب بها  
الطريق إلى سرداب فورريك.. يشعر بأن أمل خروجه قد ازداد.. لا  
يحتاج إلا تلك الوحدات التي طلبها «هلال» كي يأخذ كتابه.. أمله..  
حتى وصل إلى المنطقة الشرقية بعد غروب الشمس فاتجه إلى البحيرة،  
ففوجئ بنار مشتعلة في مكانه بجوار الشجرة.. ووجد «يامن» يتظره،  
فارتجف، واحتضنه حتى سأل «يامن» على الفور:

- هل وجدت كتابك؟

فابتسم «خالد»:

- نعم..

فسأله في لهفة: - وأين هو؟

فكاد يجيبه.. ولكنه فوجئ بصوت «أسيل» يأتي من خلفه:

- خشيت ألا تعود..

فالتفت إليها «خالد» فوجدها تمسح دموعها، ثم اقتربت منه،

واحتضنته، وابتسمت:

- جئت إلى هنا، ونمت أن أراك..



فابتسم «يامن» حين وجد «أسيل» تحتضن «خالد»، وتنحنح، فابتسمت «أسيل» في خجل ثم جلست بجوار «خالد»، كأنها لا تريد أن تفارقه.. وقد بدأ «خالد» يروي لها ما حدث له بالمنطقة الشمالية لكنه لم يتحدث عن فتاة الليل، وما حدث معها حين وجد «أسيل» فسأله عن كل شيء حدث هناك.. وعن فتيات تلك المنطقة، فأخبرهما بأن أحداً آخر قد دثه على هذا الشاب «هلال».. حنى أنهى حديثه فسألته «أسيل»:

- هل هو أخوك حقاً؟!

فأجاب «خالد»:- كل الدلائل تقول إنه أخي.. أبوه صاحب الكتاب واسمه «حني عبد القوي».. وحكى له عن مصر.. فتحدثت «يامن»:

- ربما يكون شخصاً آخر من بلدك.. مصر، وله نفس الاسم، ولكنه قد لا يكون أباك..

فنظر «خالد» إليه:- لكن الولد شبيهي إلى حد ما.. وصوته يشبه صوتي.. لكن طباعه طباع زيكونا.. فابتسم «يامن»:

- تقصد طباع المنطقة الشمالية.. ثم سأله:

- وكيف ستوفر أربعمائة وحدة من الذكاء في شهرين إن كنت

توفر من العمل باليوم بعد غذائك وحمايتك وحدة واحدة، أو وحدتين  
على الأكثر..

فصمت «خالد» حتى نطقت «أسيل»:

- ربما تعمل معي، وأعطيك أربع وحدات باليوم..

فابتسم «يامن»، وتحدث:

- إنَّ عملنا يحتاج إلى النهار بأكمله، وإلى راحة بالليل كي يعود إلينا  
نشاطنا الذي نواصل به عملنا..

فصمتت «أسيل»، وظل «خالد» صامتًا حتى نطق:

- أنا أفدر أكل كل يوم خبز..

فضحك «يامن»: - حسنًا.. أصبح لديك أربع وحدات باليوم..

تأخذ سبع وحدات، وتدفع وحدتين للحماية، ووحدة للخبز..

ثم أكمل:

- هكذا لن تكمل الأربعمائة وحدة بعد ستين يومًا..

فصمت «خالد» مرة أخرى.. ثم أكمل:

- أنا ممكن أوفّر ست وحدات في اليوم.. وفي نهاية الشهرين هيكون عندي ٣٦٠ وحدة.. وقتها هضيف أربعين وحدة فقط من مخزوني.. وأقدر أشتري الكتاب..

فقاطعته «أسيل» تحذره:

- مخزونك من الذكاء يا «خالد».. أرى أنك بدأت تستنزف منه الكثير.. فنظر إليها «خالد» مبسمًا، وأكمل:

- أكيد هعمل بعد الشهرين لحد ما يجي يوم زيكولا، وأقدر أعوض كل مخزوني..

فضحك «يامن»، والذي صمت حتى انتهى «خالد» و«أسيل» من حديثهما ثم حدّث «خالد»:

- إنك قوي في الحساب يا صديقي.. ولكن كيف ستوفّر ست وحدات باليوم أيها الذكي..

فابتسم «خالد» ثم نظر إليه، وسأله:

- أين عمال زيكولا الآن؟

فأجابه:- الكثير منهم يأكلون أو يمرحون أمام بيوتهم..

فنهض «خالد» ثم نظر إلى «أسيل»، وطلب منها أن تعود إلى بيتها  
فرفضت، ونظرت إليه متعجبة:  
- ماذا ستفعل؟ .. سأقي معك..

فابتسم «خالد» ثم سار معه «يامن» و«أسيل»، واللذان لا  
يعرفان نيته.. واتجهوا إلى شوارع المدينة حتى دخلوا إلى أحد المطاعم،  
والتي تقدم الخبز والدجاج.. وقد وجد بها «خالد» الكثير من العمال ممن  
يعملون معه في تقطيع الصخور.. ثم اتجه إلى صاحب المطعم، وسأله:  
- كم سعر الدجاج هنا؟

فرد الرجل: - الدجاج مقابل خمس وحدات..  
فسأله «خالد» مجدداً:

- وكم عامل يأكل من دجاجك؟

فضحك الرجل ساخراً ثم أشار إلى من يأكلون:

- أنظر إليهم.. إنهم لا يأكلون سوى الخبز.. ربما أبيع دجاجة حين  
يأتيني غني مثلك إلى هنا..

فابتسم «خالد» ثم صمت، وأكمل حديثه:

- ما رأيك أن تبيع كل يومين كل ما تمتلكه من دجاج؟

فنظر الرجل و«يامن» و«أسيل» إلى «خالد» في دهشة، وكأنهم لا يفهمون ما يقصده.. حتى أكمل وسأل الرجل:

- هل تريد ذلك؟

فأجاب الرجل ضاحكًا: - بالطبع..

فابتسم «خالد»: حسنًا.. أريدك أن تجعل سعر وجبة الدجاج أربعة وحدات، وليس خمس..

فظهر الغضب على وجه الرجل.. وسأل «خالد»:

- هل تمزح؟!

فأجابه «خالد»، وما زالت ابتسامته على وجهه:

- لا.. اجعل السعر أربع وحدات، وسأضمن لك مكعبًا لم تحلم به يومًا..

فصمت الرجل، وكأنه يفكر، وما زال الصمت على وجه «يامن» و«أسيل» حتى رد الرجل:

- حسنًا.. سأجعله أربع وحدات.. ولكن ماذا ستفعل؟ ثم نظرت «أسيل» إلى «خالد»:

- «خالد» لا أفهم شيئًا حتى الآن..

فابتسم «خالد»: - انتظري..

ثم اتجه إلى صالة المطعم حيث يأكل العمال، ووقف بمنتصفها ثم  
سألهم بصوت عالٍ:

- من يأكل خبزًا؟

فابتسم الجميع، ورفعوا أيديهم بالخبز فصمت ثم سألهم:

- ومن يريد أن يأكل دجاجًا كل يومين؟

فاندحش من يأكلون، وواصلوا أكلهم، ولم يُعبروا حديثه اهتمامًا  
بعدما ظنوا أنه يمزح حتى أكمل:

- دون أن يدفع شيئًا مما يدخره كل يوم..

فأله أحد ممن يأكلون:

- هل جنت أيها الغريب؟!

فأجابه «خالد»: لم أجن.. ولكنني أريدكم أن تفعلوا مثلي.. سأكل  
دجاجًا كل يومين.. ثم أكمل:

- أنا أكر الصخور، وأمتلك من القوة ما يكفيني لانتغلب على مخاوفي  
ثم تابع:

- إنني أدفع وحدتين للحماية كل يوم لمجموعة من الكألى، وتأكل من تعبى..

إنني لن أعطي أحداً من تعبى عُشر وحدة من اليوم، حتى لو قتلوني.. أفضل أن أذبح يوم زيكولا.. ولا أعطي أحداً شيئاً مقابل خوفاً..

فتوقّف من يسمونه عن مضغ الطعام، و«أسيل» ترقّب رد فعلهم، وتنظر إلى «خالد» في إعجاب حتى همس إليها «يامن»:  
- إنه بارع في استخدام لهجتنا، لقد ترك لهجة كي يتحدثهم..

فأشارت «أسيل» إليه أن يصمت كي نسمع إلى «خالد».. حتى تحرك «خالد» بعض الخطوات بين طاولات الطعام وأكمل:  
-إنني وحدي لن أستطيع إيقافهم.. ولكننا معاً سنستطيع ذلك.. سنجعلهم يعملون مثلنا، وإلا يذبحون يوم زيكولا.. لن يأكلون حقناً بعد اليوم.. ثم وقف بجوار طاولة يجلس حولها ثلاثة أشخاص فنظر إليهم، وأكمل:

لا أعلم كيف يخيفونكم، وعددهم ضئيل للغاية.. أعلم أنهم  
أشرار، وأنكم طيبون، ومتسامحون، ولكن إن اجتمعتم فسيكتب عنكم  
التاريخ ذات يوم أنكم اجتمعتم كي تزيلوا الظلم عنكم..  
ثم سار خطوات أخرى، وهذا صوته:

- في عالمي، هناك من يشبهونكم.. وما زالوا ينتظرون يومًا  
ليجتمعوا.. وما زال التاريخ يسجل ذنوبهم.. ثم علا صوته مجددًا:

- اليوم يطلبون منكم وحدتين.. غدا سيطلبون ثلاث.. بعده  
سيطلبون أربع.. خمس.. من يدري؟ ربما يجعلونكم تعملون لديهم...

بعدها تحرك إلى أحد أركان صالة الطعام، ثم التفت إليهم:

- أعلم أنكم تتعاملون بوحدات الذكاء.. وأن الذكاء عملتكم..  
ولكن حان الوقت لستخدموه مرة واحدة بحياتكم.. استخدموه كي  
تعيشوا.. استخدموه كي تفخروا بأنفسكم..

فصاح «يامن»:

- أنا لن أدفع كي يحميني أحد.. استطيع أن أحمي نفسي..

وصاحت «أسيل»:

- وأنا كذلك.. من يريد أن يأخذ مني شيئًا فليقتلني أولاً..



فصاح فتى آخر:

- وأنا لن أدفع..

وتبعه رجل غيره:

- وأنا أفضل أن أكل الدجاج كل يومين.. لن أدفع..

وصاح عجوز يجلس بعيداً:

- وأنا لن أدفع.. لقد دفعت الكثير.. لن أدفع حتى أموت..

ونفض فتى قوي، ورفع فأسه:

- وأنا سأكسر عظامهم.. إنها ليست أقوى من الصخور التي أكسرها



صاح الجميع: «نحن لن ندفع.. لن ندفع.. لن نأكل خبزاً مجدداً..

سنأكل ما يخلو لنا».. اتسم «خالد»، وأحمر وجهه ثم اتجه إلى «يامن»،

واحتضنه ثم احتضنت «أسيل» على الفور.. وأغمضت عينيها، وحدثت

نفسها:

- كم أحبك يا «خالد»، ثم فنحتهما، وهمست في أذنه:

- سيُكتب هذا اليوم في تاريخ زيكونا..

فهمس إليها «خالد» مبتهماً:

- إنني أنظر إلى وجهك فأجد الأمل يا «أسيل» ..

فابتسمت «أسيل»، وأحمر وجهها خجلاً .. ثم نظرت «خالد» إلى «يامن»:

- هيا يا «يامن» .. عليك أن تعيد الحصان إلى صاحبه .. وأن تستريح كي  
نعمل غداً معاً ..

ثم نظر إلى العمال الذين يتراقصون فرحاً، وتابع مبسماً:

- سأبدأ من الغد توفير ثمن كتابي ..

وهكذا استطاع «خالد» أن يحرك عقول عمال زيكولا، وأن يقنعهم  
 بألا يدفعوا تلك الوحدات مقابل حمايتهم مجددًا.. حتى صاحوا فرحين  
 بأنهم لن يدفعوا، وتراقصوا فرحًا بذلك، وزادت سعادة «أميل»  
 و«يامن» بما فعله «خالد»

في اليوم التالي اتجه «خالد» مبكرًا إلى عمله فوجد عشرة ممن  
 يأخذون وحدات الحماية يقفون بطريقة كعادتهم، واقتربوا منه كي  
 يأخذوا ما يريدون فابتسم «خالد»، وواصل سيره حتى أوقفه أحدهم  
 بعنف، وصاح به:

- هيا.. ادفع وحدتيك..

فابتسم «خالد» مجددًا، وواصل سيره فأوقفه الرجل مرة أخرى،  
 وطالبه بالوحدتين من جديد.. فرد «خالد» في برود:

- أنا لن أدفع..

فظهر الغضب على وجوههم، ثم ضحك أحدهم ساخراً:

- لن تدفع!!

فأجاب «خالد»: - نعم..

فقال الرجل غاضبًا:

- أنعلم ماذا سيحدث لك؟

فرد «خالد» مبتسمًا:

- لا..

فزاد الغضب على وجوههم جميعًا.. وهتوا أن يضربوه حتى

فوجئوا بـ«خالد» يشير تجاه غبار كثيف بالجو.. وضحك:

- انظروا..

فنظروا إلى ذلك الغبار بالأعلى ثم نظروا إلى أسفله فوجدوا المئات

من العمال، وبأيديهم فؤوسهم وآلاتهم اليدوية.. يقودهم «يامن»،

ويقربون عذوا تجاههم.. حتى أكمل «خالد»:

- عليكم أن تهربوا وإلا ستدفعون الكثير اليوم..

فصرخ زعيمهم إلى أحدهم:

- اذهب لتجلب الآخرين..

ولم يكمل حديثه حتى اقترب العمال، وألقى أحدهم بفأسه إلى

«خالد» فابتسم ولوح بفأسه، ثم تحدث بصوت عالٍ إلى العمال:

- إنهم لا يصدقون أننا لن ندفع لهم من اليوم..

ثم أكمل بعدما لمعت فأسه:

- علينا أن نتبت لهم ذلك..

ثم ضرب بفأسه أحدهم، وما إن فعل ذلك حتى صاح العمال ثم انهالوا على بقيتهم بالضرب، وكأنهم كانوا ينتظرون ذلك اليوم.. حتى من ذهب ليجلب بقيتهم ثوارى بعيداً ثم هرب مع الآخرين حين وجدوا زملاءهم يُضربون كمن وقع عليهم جبل من القووس والعصي حتى هدا العمال مرة أخرى، وسالت الدماء على وجوه آخذي الوحدات.. فضحك «خالد»، وسألهم:

- أما زلتم تريدون الوحدات؟ قلم ينطقوا..

فنظر «خالد» إلى بعض العمال:

- إنهم مازالوا يريدون..

فواصلوا ضربهم مجدداً.. حتى صرخوا:

- إننا لا نريد شيئاً.. إننا لا نريد..

فصاح «يامن» غاضباً:

- حسنًا.. عليكم أن تتركوا تلك المنطقة إن لم تعملوا.. إن رأيناكم هنا مجدداً فلن نكتفي بها حدث اليوم..

فصرخ أحدهم:

- حسنًا.. حسنًا..

ثم نهضوا مرعين يهربون بعيداً، فصاح العمال فرحين، وبدأوا يترافقون، ويفتنون:

- سأكل الدجاج.. سأكل الدجاج.. نحن أقوىاء..

ثم احتضن «يامن» «خالد»، وهمس إليه:

- ربما يأتون ببقيتهم غداً..

فضحك «خالد»:

معتقدش.. هما خلاص عرفوا إن انتوا التحدثوا.. والمرة الجاية ممكن

تقتلوهم.. شفت اليوم الوحيد اللي استخدمتوا فيه الذكاء.. ثم حمل

فأسه، وجذب «يامن» من يده:

- هيا يا صديقي، لدينا الكثير من العمل..

فضحك «يامن»:

- أصبحت تتحدث مثلنا..

فضحك «خالد»، وقد استعاد لهجته مرة أخرى:

- خلاص أنا بقيت من أبناء زيكولا..

ثم عاد إلى لهجة زيكولا:

- هيا، سأنافسك اليوم في العمل.. وسأعمل ضعف ما تعمل..

فضحك «يامن»:

- أرى أنك تحلم..

فرد «خالد» ضاحكًا:

- أحلم؟! سترى.. ثم أسرع «خالد» إلى مكان العمل جريًا، فبعه

«يامن» سرعًا: انتظر..



بدأ «خالد» يعمل بقوة.. لا يشغل تفكيره شيء سوى أن يوقر ثمن

كتابه.. يمر اليوم تلو الآخر، يعلم أن عمله شاق للغاية، ولكنه يدرك

أنه العمل الأكثر ربحًا في زيكولا.. يحاول أن يحفز نفسه بأن ينافس

«يامن» كل يوم في تكسير تلك الصخور.. ويضحك كثيرًا حين يجد فتاة

أو أخرى تنظر إلى جسده القوي اللامع تحت أشعة الشمس.. فيكمل

عمله، ويترك «يامن» ليداعب تلك الفتيات.. حتى ينتهي من عمله

فبذهب إلى ذلك المطعم كي يتناول غذاءه.. ويتسسم حين يجد الكثير من العمال يأكلون الدجاج بينما أصبح هو الوحيد الذى يأكل الخبز.. ثم يعود إلى البحيرة فيلقي بجسده في مائها، ثم يتلقي على شاطئها.. ويخرج أوراقه وأقلامه ليحل ما حصل عليه من وحدات، وما يتبقى له على ثمن الكتاب، وما يتبقى له من أيام.. حتى تأتي «أسيل» فتجلس بجواره لبعض الوقت، ثم تعود إلى بينها بينما يظل هو ساهراً حتى يغلبه النعاس.. فينام حتى صباح اليوم الذي يليه..



حتى جاء يوم وقد انتهى «خالد» من عمله.. ففوجئ بفئة تقترب من بعيد حتى دق قلبه سريعاً حين وجدها تشبه «منى»، تلك الفتاة التي أحبها لسنوات طويلة قبل أن يأتي إلى زيكولا.. حتى مرت الفتاة بجانبه فوجدها تختلف عنها قليلاً.. واندعشت حين وجدها ينظر إليها في ذهول، حتى «يامن» أصابته الدهشة هو الآخر.. فأله مداعباً له:

- هل تعجبك؟!.. إن كنت تريد أن تزوجها أخبرني فقط..

فضحك «خالد»:

- لا.. شكراً..



بعدها غادر «خالد»، ولم يتجه إلى المطعم تلك الليلة كمعادته بل ذهب إلى شاطئ البحيرة، وعقله منشغل بتلك الفتاة التي تشبه «منى».. وكأنه تذكّر سنوات مضت، وحدث نفسه:

- «منى؟! ثم أكمل:

- يا ترى اتجاوزني الدكتور ولا لا؟!

ثم جلس على شاطئ البحيرة أمام نار أوقدها، وأخرج ورقة من أغراضه.. نصفها العلوي مليء بكتابات.. فبدأ يكتب بنصفها السفلي:

- لم تعد سوى أيام قليلة على إتمامي الشهرين، وأذهب كي آخذ كتابي.. ولكنني قد قابلت اليوم فتاة تشبه «منى» التي أحببتها ست سنوات.. وكانت أمنية حياتي أن أتزوجها ذات يوم.. لولا أبوها المجنون.. ثم صمت مفكراً قليلاً حتى أكمل كتابته:

لا أعلم ما سر أن أجد تلك الفتاة اليوم.. هل لأتذكر «منى» بعدما لم أفكر بها منذ دخولي زيكولا.. حين انشغل عقلي بالبحث عن كتابي.. لا أعلم..

ثم توقف عجبدا، ونظر بعيداً إلى البحيرة، وأخذ نفساً عميقاً  
وأخرجه ببطء.. ثم نظر إلى الورقة والتي امتلأت بالكتابة، عدا جزء  
صغير بأسفلها، فكتب به:

- ما أعلمه جيداً أنني لم أحب غير «مني» طوال عمري

حتى انتهت الورقة التي يكتب بها، فأخرج ورقة أخرى ثم نظر إلى  
الورقة السابقة حيث انتهى، ثم أكمل:

- لم أحب غيرها طوال عمري قبل أن آتي إلى زيكونلا.. حتى  
وجدت «أسيل» التي يزداد شعوري كل يوم بحبها لي.. أما أنا فأشعر  
نجاها بـ..

حتى شعر بأقدام تقترب من خلفه.. فوجد «أسيل» تقترب،  
فضحك ثم أخفى أوراقه بين أغراضه.. حتى اقتربت منه، وسألته:

- ماذا تفعل؟

فضحك «خالد»:

- ولا حاجة..

فصمت ثم أكملت:

-كنت أتوقع أن أجذك تتناول طعامك بالمطعم.. وذهبت إلى هناك فلم أجذك.. يبدو أنك توقّر طعامك..

فابتسم «خالد»: لا.. أنا مش بخيل للدرجة دي.. أنا فضلت إني آجي للبحيرة..

فابتسمت «أميل»:

إن البخل ليس عيبًا هنا في زيكولا كما تعلم.. لقد بدأ أهالي زيكولا يدخرون ثرواتهم بالفعل بعدما شعروا باقتراب يوم زيكولا إن كان مولود الحاكم ذكرًا.. ربما يكون بعد ثلاثة أشهر، أو أكثر بأيام قليلة.. من يدري؟!..

ثم أكملت مبتمة: - لولا تلك الوحدات التي وفّرها الكثيرون من آخذي وحدات الحماية لما أكلوا دجاجًا حتى انتهاء ذلك اليوم.. ثم ضحكت، وأكملت:

- أتوقع أن يكون فقير هذا العام لديه أكثر من مائتي وحدة.. فضحك «خالد»:

- وأنا نفسي أسبب زيكولا قبل ما أشوف الفقير يبذبح.. ثم سأها:  
- وأنتي مش عاوزة تسببي زيكولا؟

فضحكت «أسيل»:

- إنَّ تركي لزيكولا قد يكون أصعب قرار بحياتي.. لا أعتقد أنني سأأخذ هذا القرار إلا عندما يكون لدي مبرر قوي للغاية.. ثم نهضت:

- هيا عليك أن تنام.. أما أنا فأعود إلى بيتي لدي أيضًا الكثير من العمل باكرًا..

فابتسم «خالد»، وكأنه يُقلدها:

- مبرر قوي للغاية!!؟

فضحكت «أسيل»:

- للغاية..



غادرت «أسيل»، ومَرَّ الليل، وأتى ما بعده من نهار.. و«خالد» يواصل عمله، ويتمنى أن تمر الأيام المتبقية سريعًا.. وتتوالى الأيام يومًا بعد يوم.. و«خالد» يوفر ما يستطيع توفيره من وحدات.. ولا يترك يومًا دون أن يعمل.. لا ينفق من أجره شيئًا سوى وحدة واحدة حين يأكل الخبز.. حتى أنه كان يوفرها بعض الأيام.. وقد يمرَّ يومان دون أن

بضع لقمة بحلقه.. حتى جاء اليوم الأخير من الشهرين، وقد كان  
بعمله مع «يامن»، والذي حدثه مبهتسًا:

- لقد انتهت المهلة اليوم..

فحمد «خالد» ربه ثم تحدث:

- أخيرًا.. أنا كنت متني اليوم ده بفارغ الصبر..

فأله «يامن»:

- كم جمعت من الأربعمائة وحدة؟

فصمت «خالد» مفكرًا، وكأنه يحسب ما جمعه بدقة:

- أعتقد إنني جمعت حوالي ٣٥٠ وحدة.. وهضيف لهم خمسين وحدة من

مخزوني..

فقاطعه «يامن»:

- تقصد مائة وحدة

فرد «خالد» مندهشًا: - مائة؟!!

أكمل «يامن»: - نعم.. هل نبت أنك ستأجر الحصان مرة

أخرى.. فضرب «خالد» رأسه يده.. وكان ذلك الحصان لم يكن

بحسبانه.. حتى صمت وأكمل:

- أنا كنت اشتري حصان أوفر لي.. ثم تابع:

- مش هتفرق خمسين من مية.. المهم إني آخذ الكتاب..

فضحك «يامن»:

- حسناً.. سأوفر لك الحصان مجدداً.. وسأنتظرك حتى تعود..

إنني أريد أن أرى أعلى كتاب بزيكولا.. أعنفد أنها ستكون لحظة تاريخية لي..

فضحك «خالد»:

- وأعنى أن تكون تاريخية لي أنا كمان..



في صباح اليوم التالي، امتطى «خالد» ذلك الحصان الذي أحضره «يامن».. وقد كان نفس الحصان القوي الذي استأجره المرة السابقة حين ذهب إلى المنطقة الشمالية.. وانطلق نحو تلك المنطقة.. تملو وجهه ابتسامة أمل لم يشعر بها من قبل.. يأمر حصانه أن يسرع.. هيا.. إلى الأمل.. إلى خروجي من زيكولا.. يشق حصانه الطريق بقوة.. ويتطاير قميصه مع الهواء لتظهر عضلات جسده القوية، وذراعه القوي الذي يملك بلجام حصانه بإحكام.. ينطلق بحصانه، ويخشى أن يتأخر عن

مورعه فيمزق «هلال» المجنون صفحة واحدة من كتابه.. ويأمره بأن يزيد من سرعته.. ويمرّ الوقت، وتتحرك الشمس.. ويواصل طريقه دون أن يستريح..

حتى وصل إلى أطراف المنطقة الشمالية مع غروب الشمس.. فأسرع ينطلق في شوارعها، والتي كانت خالية إلا من القليل من الأشخاص الذين بدأوا في الخروج مع حلول الليل، وبعض فتيات الليل اللاتي خرجن إلى شوارع تلك المنطقة.. وأكمل طريقه نحو بيت «هلال».. أخيه.. صاحب الكتاب..



وصل «خالد» إلى بيت أخيه، فارتجف مرعاً.. وعقل حصانه بجوار باب.. ثم أعطى فتى يجلس أمام ذلك البيت وحدثين مقابل أن يحمي حصانه حتى يعود.. ثم طرق باب البيت ففتح «هلال» على الفور.. حتى وجد «خالد» أمامه، فضحك:

- المجنون الذي يريد الكتاب..

فصمت «خالد» ولم يرد، ثم دلف معه إلى داخل البيت.. فوجد رجلين تبدو عليهما القوة، ويظهر الشر بأعينهما.. حتى تحدث «هلال»:

- لقد جئت في موعدك تمامًا..

فرد «خالد»:

- إنني أريد الكتاب الآن..

فابتسم هلال ابتسامة خبيثة:

بالطبع يا عزيزي، لقد جئت إلي من السماء.. إنني كنت أخشى أن

أذبح يوم زيكولا.. أما بعد ذلك الكتاب فلن أعمل عامًا على الأقل..

إنني اليوم أحترم أبي كثيرًا.. ثم نظر إلى «خالد»:

- يبدو أنك على استعداد الآن لتعطيني الخمسمائة وحدة مقابل الكتاب



فصاح «خالد» في غضب:

- خمسة؟؟!!

فضحك «هلال»، وكأنه مندهش:

- نعم.. أنيت اتفاقنا؟!

فصاح «خالد» مجددًا:

- كان اتفاقنا أربعمائة وحدة..

فصمت «هلال»، ثم تحرك خطوات.. ونحّدت إلى أحد الرجلين:



- إنه يقول أربعمائة ..

ثم نظر إلى الآخر:

- إنني لا أتذكر ذلك ..

ثم نظر إلى «خالد»:

- ربما لم تفهم قصدي وقتها .. ربما كنت أقصد أن تعطيني أربعمائة

وحدة إن أخذته قبل شهرين ..

- أما بعد تلك المدة فلا بد أن يزيد الثمن .. لا أعلم سر هذا الغباء في

زيكولا ..

فشاط «خالد» غضبًا، وكاد أن يلكمه .. ولكنه تمالك أعصابه حين

نظر إلى هذين الرجلين، وما يخفيانه من شر .. ثم تحدث في هدوء:

- لسه يقول إنك أخي ..

فضحك «هلال» ثم نظر إلى الرجلين:

- لقد أخبرتكما أنه مجنون .. ثم نظر إلى «خالد»:

- اعتقد أنك تمثل الكثير .. لن تصبح فقيرًا إن أعطيتني المائة وحدة

الإضافية ..

فصمت «خالد»، وحدث نفسه:

كدة حتفقد متين وحدة من ذكائك يا «خالد».. ثمن إيجار  
الحصان.. والخمسين وحدة اللي كنت ناوي تضيفهم.. وكميان مائة  
وحدة؟!..

ثم زفر زفرة قوية، وظل يفكر حتى وجد «هلال» يتحرك إلى  
إحدى الغرف.. ثم عاد ويده ذلك الكتاب ثم حدث الرجلين مجدداً:  
إن الوقت يمر، وما زال صديقنا يفكر.. حسناً سأمزق آخر ورقة  
بالكتاب.. وهم أن يمزقها حتى أمسك «خالد» بيده، ونظر في عينه  
بقوة:

- أنا موافق إني اشترى الكتاب مقابل الخمسين وحدة..  
فضحك «هلال»:

- حسناً.. وأنا أعطيك الكتاب..

فانتزعه «خالد» في غضب، واحتضنه بين ذراعيه، وتحدث كأنه  
يتحدث إلى الكتاب:

المهم إن الكتاب معاي.. الوحدات اللي فقدتها أقدر أعوضها قبل  
يوم زيكولا إن شاء الله.. له ثلاث شهور على يوم زيكولا لو كان  
الموئود ولد.. لو عملت زي الفترة اللي فانت أقدر أوفر حوالي خمسين

وحدة.. واستعيد كل مخزوني وأكثر.. ثم نظر إلى «هلال»، والذي بدأ  
يشرب الخمر مع الرجلين:

- أتمنى إنك متكونش أخي فعلاً.. ثم أكمل:

- لإنك عار..

فضحك «هلال» برود:

- هيا.. أخرج من هنا أيها المجنون قبل أن نأخذ منك الكتاب مجدداً..

فرد «خالد»:

- وقتها.. اقتلوني أولاً..

ثم أخذ كتابه، وخرج، وأغلق الباب خلفه بعنف.. ثم امتطى  
حصانه، وأسرع به يفادر ذلك المكان.. وقد تناسى ما دفعه من وحدات  
إضافية.. وأصبح همه أن يقرأ ما بذلك الكتاب.. حتى وصل إلى مكان  
لا يوجد به الكثير من أهالي تلك المنطقة، وجلس بجوار عمود أنيرت  
فوقه نار للإضاءة.. وأخرج كتابه مسرعاً، وبدأ يتصفحه، ويقَلِّب  
صفحاته في لهفة.. ويقرأ بعينيه سطوره مسرعاً.. ينظر إلى صفحاته  
الصفراء.. وما كتب بها بخط اليد، وكأنه أمل انتظره لسنوات..

وجد «خالد» صاحب الكتاب يذكر في بدايته أنه قد كتب هذا الكتاب في القرن الثامن عشر.. وأن تلك النسخة هي النسخة الثانية للكتاب، بعدما ضاعت نسخته الأولى دون أن تكتمل.. فتذكر «خالد» صفحات الكتاب العشر البالية، والتي تحدثت عن سرداب فوريك، وقد قرأها قبل أن يأتي إلى زيكونا حين أعطاها له صديق جده.. مجنون السرداب ثم قلب «خالد» صفحات الكتاب في سرعة.. فوجد تلك الصفحات العشر فتجاوزها، حتى وصل إلى تلك الصفحة والتي انتهت بأنه اكتشف ما هو أهم من كنوز فوريك.. فكانت مثلما توقع «خالد» بأنه سيتحدث عن اكتشافه لأرض زيكونا..

ثم قلب «خالد» بعض الصفحات، فوجده يتحدث عن أهل زيكونا، وعن تعاملهم بوحدة الذكاء، ويوم زيكونا، وذبح الأقر كل عام، وما تركه ذلك من طباع على هؤلاء الناس.. فقلب «خالد» تلك الصفحات مسرعاً.. وكلما قرأ شيئاً يعرفه تجاوزه.. لا يريد أن يضع ثمانية واحدة.. حتى وجد صفحة مكتوب بها..

” - لقد أفنيت عمري أبحث عن سر تلك الأرض.. ولكنني لم أجدّه حتى لحظة كتابة كتابي هذا.. ولكنني أعلم تمامًا أني لست المصري الوحيد الذي أتى إلى تلك الأرض..

- لقد عثرت صدفة على بعض المخطوطات التي أخبرتني ببعض الحقائق التي وضعتها نصب عيني.. ”

فاندھش «خالده».. وبدأ يقرأ في لفحة.. ما كبه صاحب الكتاب، والذي كتب:

” لقد ذكرت تلك المخطوطات البالية أن الكثيرين قد أتوا إلى تلك الأرض بعد بناء سرداب فوريك.. فبعدما شُيّد ذلك السرداب ببراعة معمارية لم يكن لها مثيل.. أعجّب به فوريك ذلك الثري كثيرًا، ووضع به كل ما يملك من كنوز وثروة لم يكن لها مثيل في ذلك العصر.. حتى طمع الكثيرون بها فاتجهوا إلى ذلك السرداب كي يسرقوها.. وحين علم فوريك بذلك أمر حراسه بأن يغلقوا أبوابه.. وظلّوا بداخله دون أن يجدوا مخرجًا.. حتى مات بعضهم، وبعضهم ظل يبحث عن مخرج حتى وجدوا ذلك المخرج إلى تلك الصحراء.. والتي لم تكن بها سوى تلك المدينة، وسورها القوي.. والذي لم يكن قد اكتمل وقتها..

فاستقروا بها، وظنوا أن تعاملهم بوحدة الذكاء ما هو إلا عقاباً لهم على نزولهم ذلك السرداب ومحاولة سرقة كنوز فوريك وبعدها كثر عددهم... وعاشوا مع سكان زيكولا الأصليين... وتكاثروا بينهم..

" وتقول المخطوطات إنهم لم يتذكروا شيئاً عن حياتهم السابقة، سوى تقويمهم الذي كتبوه على سور زيكولا منذ أن دخلوا إليها.. ولغتهم العرية والتي بدأوا يعلمونها سكان زيكولا.. حتى أنهم نسوا دينهم، وأصبح الكثيرون منهم من الكسالي الذين انجهوا إلى لمنطقة الشالية في ذلك الوقت قبل قرون.. حيث يكسبون ثرواتهم دون أن يعملوا بجد.. "

فواصل «خالد» تصفحه لصفحات الكتاب متعجباً.. وكأنه لا يهجه ما فاتته مما ذكره الكتاب.. يبحث عن هدف واحد لا يريد غيره.. وأخذ يقلب حتى وصل إلى تلك الصفحة التي قرأها منذ شهرين ومكتوب بمنتصفها: " الطريق إلى سرداب فوريك.. " فأخذ يقرأها في لهفة.. حتى وجد الكاتب يقول:

" إنني جئت إلى زيكولا مرتين.. وأعلم جيداً الطريق إلى ذلك السرداب، ولكني أحبت العيش هنا.. فلن أغادر حتى أموت.. "

ثم قرأ «خالد» بعض السطور سريعاً .. حتى وصل إلى سطر يقول: "حين سرت بسر داب فوريك لأول مرة، وبدأ انهياريه .. وأسرعت هارباً خوفاً من ذلك الانهياريه .. لم يذّر بخلدي وقتها انه يدفعني إلى طريق يريد «السر داب» .. فتذكر «خالد» نفسه عندما كان بالسر داب .. وحدث ذلك الانهياريه، ثم أكمل قراءة:

"ولكنني تذكرت بأن هناك طريقاً آخر قد أبعدني عنه انهياريه السر داب .. وأدركت انه طريق العودة مجدداً .. بعدما انهار طريق مجيئي .. واختفى بالصحرى .."

فابتسم «خالد»، ودق قلبه بقوة، وحدث نفسه:

فيه طريق للخروج .. فيه طريق للخروج .. الحمد لله .. الحمد لله حتى أكمل قراءته، وقد وصل إلى الصفحات الأخيرة:

"إن جاء أحد من بعدي، ولم يقرأ كتابي .. سيفطن انه لابد أن يخرج من زيكونلا كي يعود إلى مصر مجدداً .. وهذا الغباء ذاته .. من يأتي إلى تلك الأرض، ويريد أن يعود إلى دياره، وأن يصل إلى سر داب فوريك مجدداً .. لابد أن يدخل زيكونلا .. ويكون كالشمس، وينحت في الصخر .. فيجد باب السر داب الآخر أمام الرأس مباشرة .."

حتى انتهت الصفحة، ومعها انتهت صفحات الكتاب.. فأعاد  
«خالد» القراءة مرة أخرى بعدما لم يفهم شيئاً:

من يريد أن يصل إلى سرداب فوريك، لابد أن يدخل زيكونلا،  
ويكون كالشمس، وينحت في الصخر. سيجد باب السرداب أمام  
الرأس مباشرة..

ثم مأل نفسه:

- أي شمس؟!

- وأي رأس؟!

- ويقصد ايه بالنحت في الصخر؟!!

- أي رأس؟!!

يقلب صفحات الكتاب مجدداً.. ويسأل نفسه.. ويسأل الكتاب..  
أي شمس؟.. أي رأس؟..

حتى نهض وتحرك مسرعاً، ودخل مكاناً به الكثير من أهالي المنطقة  
الشمالية.. يشربون الخمر، ويتراقصون.. فصاح بأحدهم، وأشار إلى  
تلك الصفحة بكتابه:

- هل تفهم ذلك؟

- كيف أنحت في الصخر أمام الرأس؟!



- فضحك الرجل:

- هل أنت مجنون؟!

فقال آخر فلم يجبه.. فقال غيره فلم يجبه.. وظل يسأل كل من يقابله عما قرأه، كالمجنون فلم يجبه أحد.. حتى جلس على إحدى الطاولات.. وبدأ يقرأ تلك السطور الأخيرة.. ويكررها بصوت عالٍ.. ولكنه لم يفهم منها شيئاً.. حتى وجد أمامه كأساً من الخمر فشربه دون أن يدرك أنه خمر.. وشرب منه مجدداً.. وظل يقرأ ويفكر دون أن يصل إلى شيء.. وكلما انتهى ذلك الكأس أمامه ملأه النادل من جديد.. حتى ظهر تأثير الخمر عليه.. فوقف فوق الطاولة التي كان يجلس عليها.. وأمسك زجاجة الخمر بيده، والكتاب بيده الأخرى.. ثم صاح ضاحكاً في سخرية إلى من يجلسون بذلك المكان:

- ظلمت أحلم أن أجد ذلك الكتاب.. وأبحث في كل مكان بتلك

المدينة اللعينة.. ثم شرب قليلاً من الخمر، وتابع:

- وحين وجدته.. ظلمت أعمل، وأعمل، وأعمل.. لا أكل ولا

أنام حتى أحصل عليه..

ثم صمت ، وضحك مقهقها، وقد بدأ الناس يسخرون منه حتى  
أكمل:

وقد حصلت عليه اليوم .. مقابل خمسمائة وحدة من ذكائي ..  
فنظروا إليه .. وكأنهم لا يصدقونه فأكمل، وقد أحمرّ وجهه من الخمر:  
لا تندهشوا .. لو طلب مني ذلك المعتوه .. الذي قد يكون أخي  
أكثر من ذلك لدفعت .. ثم شرب كثيرًا من الزجاجات، وأكمل بعدما  
ترنح فوق الطاولة، وبدأ لسانه يتلعثم بالحديث:

- وفي النهاية علمت لماذا لم يستطع أبي الخروج من هنا، ومعه  
ذلك الكتاب ..

فسأله رجل سكير يجلس على طاولة بعيدًا:

- لماذا أيها المجنون؟

فأشار «خالده» إليه ضاحكًا ثملاً:

- حسنًا .. سأخبرك أيها السمين .. لا بد أن القصة قد أعجبتك ..  
سأخبرك ..

يدوأن صاحب هذا الكتاب اللعين خشى أن يذهب أحدكم إلى  
ذلك الرداب .. لا أعلم لماذا خشى أن تذهبوا إلى هناك .. ليت أهل

زيكولا يذهبون إلى بلدي فيجعلونهم يحملون.. ولا يعتمدون على  
غيرهم مثل زيكولا.. ثم ضحك عاليًا:

- لقد وضع لغزًا بآخره..

ثم جلس على الطاولة، ووضع رأسه بين يديه.. ثم رفع رأسه  
مجددًا، وضحك ضحكة بشوبها ألم كبير:

- كان يعلم أنكم تتعاملون بالذكاء.. كان يعلم أنكم أغبياء.. لن  
تستخدموا ذرة ذكاء واحدة لتفكروا في ذلك اللغز.. ثم هداً صوته:

- ويبدو أنني سأظل مثل أبي.. طوال عمري أبحث عن ذلك  
المخرج.. إنني غبي مثلكم..

ثم نهض مجددًا فوق الطاولة.. ورفع الكتاب بيده، وصاح بصوته  
السكر:

- والآن.. من يريد أن يشتري هذا الكتاب مقابل عشر وحدات  
من الذكاء؟



ظل «خالد» هكذا يهذي لما أصابه من ألم الصدمة، فلم يحبه أحد  
فعاد مجدداً، وصاح بصوته:

- ألا يستحق عشر وحدات؟ .. إنكم لا تعلمون قيمته ..  
صدوقي إنه ثمين .. ثم أكمل:  
- حسناً .. خمس وحدات؟ ..

فلم يحبه أحد مرة أخرى فتمتم إلى نفسه بكلمات غير مفهومة ثم  
نزل من فوق الطاولة .. وسار خارجاً من ذلك المكان وسط سخرية كل  
من يقابلونه، وتعرّشات فتيات الليل .. يسير مترنحاً .. لا يدري بشيء  
من حوله، وفي يده كتابه يلوح به إلى من يقابله، ويضحك .. حتى عاد  
إلى المكان الذي يقف به حصانه .. وما إن وصل إليه حتى سقط وكأنه  
فقد وعيه ..



في صباح اليوم التالي، كان «خالد» نائماً على جانبي أحد شوارع  
تلك المنطقة بجوار حصانه .. حتى فتح عينه فجأة حين فوجئ بفيض

من الماء البارد ينسكب فوق رأسه.. وما إن نظر أمامه حتى وجد تلك الفتاة التي أرشدته إلى «هلال» من قبل.. فتاة الليل.. ويدها إناء فارغ، وقد ضحكت:

- لست وحدك من تسكب الماء..

فنهض «خالد» مسرعًا، ونظر إلى ملابسه المبتلة.. وأمسك رأسه من الألم ثم نظر إليها غاضبًا، فأسرعت مبتعدة عنه، وحدثته ضاحكة:

- هيا عد إلى حيث جئت.. لن يفيدك أن تبقى هنا..

فصمت «خالد»، ولم يتحدث ثم أمسك بلجام حصانه، وامتطاه.. وبدأ يتحرك به ببطء مبتعدًا عن الفتاة.. حتى صاحت إليه مجددًا:

- كنت أظنني ألا أراك هكذا ليلة أمس.. ثم صمت، وصاحت مرة أخرى:

- كنت أظنك أقوى من ذلك..

فأوقف «خالد» حصانه ثم التفت إليها.. وتحدث بصوت هادي:

- أنا آسف..

ثم استدار مجددًا، وأمر حصانه أن يتطلق بين شوارع تلك المنطقة إلى أطرافها حيث طريقه إلى المنطقة الشرقية..

كان الحصان في طريقه نحو المنطقة الشرقية .. و«خالد» يكاد أن يلقي بنفسه من فوقه ندماً عما فعله ليلة أمس .. لا يصدق أنه قد ثمل ولم يتحمل صدمة لغز الكتاب .. يتحدث إلى نفسه ويؤنبها .. إنها المرة الأولى التي يشرب فيها خمرًا .. لا يتذكر عما تحدث إلى السكاري .. ولكنه لم يود لحظة واحدة أن يكون هكذا .. ينظر إلى السماء ويستغفر ربه .. ويتحدث إلى نفسه بأنه لن يفعلها مجددًا .. ثم تذكر الكتاب، وذلك اللغز .. ماذا يقصد كاتبه؟ .. كيف يكون كالشمس؟ .. كيف ينحت في الصخر؟ .. وأي رأس تلك؟ .. وظل هكذا حتى وصل إلى أطراف المنطقة الشرقية مع حلول الليل .. واتجه إلى شاطئ البحيرة .. وما إن وصله حتى غلبه التعاس من التعب وألم رأسه الشديد .. فآثر أن يستريح حتى صباح اليوم التالي ..



في صباح اليوم التالي، استيقظ «خالد» من نومه، ولم يكذبفتح عينيه حتى وجد «أسيل» تأتي إليه مسرعة .. وسأله في لهفة:

- هل حصلت على كتابك؟

فابتسم «خالد» ابتسامة يعتربها الحزن:

- نعم..

ثم نهض، وسار بضع خطوات تجاه البحيرة.. حتى ألقي بنفسه في مائها.. يرتدي بنطاله، ونصفه العلوي عارٍ بعدما ألقي بقميصه على شاطئها.. وأخذ يغمر جسده بالماء، حتى سأله «أسيل» مجدداً، وهي تقف أمام البحيرة:

- «خالد».. هل دفعت الكثير من غزوتك؟؟!

فصمت «خالد»، وأكمل سيره إلى داخل البحيرة، ثم أكملت:

- «خالد».. أراك شاحباً اليوم، وشحوبك مميز.. إنك أنفقت الكثير من ثروتك.. تجاوزت ثمن الكتاب..

فتوقف «خالد» ثم التفت إليها:

- أيوه.. «هلال» طلب مني مائة وحدة إضافية..

حتى صاح صوت في دهشة:

- مائة وحدة؟؟!

فالتفت «أسيل» فوجدت «يامن» قد جاء.. فأكمل «خالد»

إليها:

- نعم ، مائة وحدة .. لقد طلب مني خمسمائة وحدة مقابل ثمن الكتاب، وإلا هيقطع صفحاته..

ثم سار خارجاً من الماء .. والمياه تتساقط من جسده، وينظاله المبللين، ثم ارتدى قميصه، و سأل «يامن»:

- له مرحتش عملك؟

فضحك «يامن»:

- أخبرني أحد أنك جئت بالأمس بعد حلول الليل، فجئت كي آخذ الحصان، وأعيده إلى صاحبه، وأن أرى أئمن كتب زيكولا.. بعدها قد أذهب إلى عملي أو لا أذهب اليوم.. إن تلك اللحظة لا يضعها عاقل.. ثم سأله:

- أين الكتاب؟

فصمت «خالد» حتى نطقت «أسيل»:

- «خالد».. مالي أراك حزينا؟!

فتحرك «خالد» إلى جوار شجرته، وأخرج الكتاب من بين أغراضه ثم ألقاه إلى «يامن».. وتحدث ساخراً:

- ده أغلى كتاب في زيكولا..



- فالتقطه «يامن» فرحاً، وظل يتأمله حتى أكمل «خالد»:

للأسف كنت مفكر إني مجرد مالاقيه هقدر أخرج من هنا بعد يوم  
زيكولا.. بس تقريباً اللي يدخل زيكولا صعب إنه بيها..  
فقاطعه «أسيل» في دهشة:

- ألم يتحدث الكتاب عن سرداب فوريك؟؟!!  
فرد «خالد»:

الكتاب تحدث عنه، وعن فوريك، وعن مصر.. والغريب إن  
الكتاب يقول إني ممكن أخرج قبل يوم زيكولا.. وإني مش مضطر  
انتظر لليوم ده.. وإني عشان أرجع لبلدي كان لازم أدخل زيكولا..  
ثم أخذ نفثاً عميقاً، وزفره بقوة:  
- لكنه ترك لغزاً في نهايته.. لمخرج السرداب..  
«أسيل»:- أي لغز؟

فنظر «خالد» إلى «يامن» ثم سأله أن يقرأ آخر سطور الكتاب..  
فبدأ «يامن» يقرأ:

"من يأتي إلى تلك الأرض، ويريد أن يعود إلى دياره، وأن يصل إلى سرداب فوريك مجددًا.. لابد أن يدخل زيكولا.. ويكون كالشمس، وينحت في الصخر.. فيجد باب السرداب الآخر أمام الرأس مباشرة.."  
بعدها صمت «يامن»، وكأنه لم يفهم شيئًا.. وصمتت «أسيل» مثله.. وصمت «خالد» حتى نطق:

أول مرة أحس إني ضعيف كانت في اللحظات التي قريت فيها اللغز.. مش عارف إيه اللي حصل لي.. حسيت إني بعد ما مسكت الأمل بيدي.. راح فجأة.. وكأنه تبخر، وشريت خمرًا للأسف..  
فقاطعت «أسيل»:

- شربت خمرًا؟!

فرد «خالد»:- أبوه للأسف.. أعتقد إن تصرفي ده كان نتيجة الصدمة..  
فقاطعت «أسيل» مجددًا:

أونتيجة لشيء آخر، وهو فقدانك لذكائك.. إنك فقدت وحدات كثيرة من ذكائك في وقت قليل.. لاتنس أن مخزونك كان قد زاد بعد ادخارك لثمن الكتاب.. ثم انفقته فجأة، ومعه مائتي وحدة إضافية لـ«هلال»، وثمن استئجار حصانك.. أي شخص مكانك كان

ستصرف بفرابة.. كان سيفعل أي شيء بعيداً عن شخصيته الحقيقية..  
ولن يلومه أحد.. إنه نصرف لا إرادتي.. إنك أصبحت مثلنا يا  
«خالد»..

فصمت «خالد».. ثم نطق «يامن»:

- وهل لا يوجد حل هذا اللغز في الكتاب ذاته؟!

فرد «خالد»:

لا.. أنا قرئت الكتاب بسرعة.. وكان بيتكلم عن أهل زيكولا،  
وعن حياتكم، واللغز موجود في آخر الكتاب، بس..  
ثم أكمل:

- أنا متأكد إنه لغز سهل.. ممكن يكون سهل للغاية.. بس محتاجنا  
نفكر..

فنطق «يامن» على الفور في دهشة:

- نفكر؟؟؟! ثم التفت بوجهه، وكأنه يهرب فظهر الغضب على  
وجه «خالد»، وصاح به:

أبو.. صاحب الكتاب أكيد كان عارف إن زيكولا مفيش حد  
فبها ييفكر، أو يستخدم ذكاءه من شدة بخلهم.. بس انتوا لازم  
تساعدوني.. ثم نظر إلى «أسيل»:

- «أسيل».. لازم تفكرى.. لازم تساعديني.. أنتي غنية.. يعني ذكية،  
أنتي أذكي منا بمرحل..

قصمت «أسيل» دون أن ترد ثم نظر إلى «يامن»:

- وأنت عارف زيكولا أكثر مني.. لازم تفكر.. لازم..

ثم صاح إلى الاثنين بعدما صتا، ولم ينطقا:

- عارف إن تفكيركم بذكاء هيقفل من ثروتكم.. بس هتحسروا بالفخر  
لو قدرتموا تحلوا اللغز ده..

فلم يردا مجددا.. قصمت «خالد»، وجلس أمام البحيرة، وأعطى

ظهره لهما حتى نطق «يامن»:

- حسنا.. سأفكر يا «خالد»، ولكن عليّ أن أعيد الحصان إلى صاحبه  
الآن.. وأن نذهب إلى عملنا معا..

فصاح «خالد»:

- لن أعمل الآن..

فاقتربت «أسيل» من «خالد»:

- «خالد»، لا تيأس.. اعتقد أنك قوي بما يكفي لتجد حلاً لهذا اللغز..

فرد «خالد» مبتسماً:

- قوي؟!.. إن اللغز يحتاج إلى ذكي.. إن رجال زيكونا أقوياء، ولكنهم

ليسوا أذكياء.. إن اللغز يحتاج إلى من يفكر.. وأنا سأفكر..

ثم نظر إلى «يامن» الذي كاد يغادر المكان، وصاح به:

- «يامن».. اجلس.. لن نذهب إلى عملك قبل أن نجد حل هذا اللغز..

فاندهش «يامن» حتى أكمل «خالد»، وقد هدأ من ثورته:

- اجلس يا «يامن».. سأعطيك أجرك عن عملك، ولكن فُكر معي..

أريد مساعدتك، ثم نظر إلى «أسيل»:

- «أسيل».. ستجدين معنا الحل.. فابتسمت «أسيل»، وردت:

- حسناً..

ثم جلس كلاهما، وتحرك «خالد» أمامها جيئة وذهاباً، وبدأ

يتحدث:

أنا فقدت تقريبًا خمس مخزوني من الذكاء في الأيام التي فاتت.. بس  
لسه عندي اللي يكفي إنني أفكر.. وأنا هفكر لآخر لحظة في حياتي.. ثم  
رفع الكتاب بيده، وتحدث إليهما:  
- الغرز يقول..

- يكون كالشمس.. وينحت في الصخر.. والباب أمام الرأس..

- يكون كالشمس.. ينحت في الصخر.. الباب أمام الرأس..

ثم نظر إلى «يامن»:

- فيه تماثيل موجودة في زيكونلا؟

فرد «يامن»: - لماذا؟!

فأجابه «خالد»: - قد يكون يقصد رأس تماثيل..

فصمت «يامن» قليلًا ثم تحدث:

- لا أعتقد... حتى أكملت «أسيل»:

لا توجد تماثيل في زيكونلا إلا تلك التي ينحتها نحاتو زيكونلا

لفقراء يوم زيكونلا.. حين تلعب لعبة الزيكونلا، ثم تحطّم جميعًا..

أصحابهم الذين يتجون من اللعبة من يحطمونها.. إنها نذير شوم لهم..

قصمت «خالد»، وتحرك بعض الخطوات جيئة وذهاباً مرة أخرى،  
وحذت نفسه:

- لا يوجد تماثيل..

بعدها نظر إلى «أسيل» مجدداً:

- كيف أنحت في الصخر يا «أسيل»؟

قصمت «أسيل» قليلاً ثم تحدثت:

- إنك تكسر الصخور بالفعل.. فضحك «يامن»:

- وأنا أيضاً.. حتى نظر إليه «خالد» غاضباً، قصمت ثم أكمل «خالد»  
إلى «أسيل»:

ولكن لا توجد رؤوس هنا في المنطقة التي بكسر فيها الصخور..  
ثم صمتوا جميعاً مجدداً، حتى نطق «خالد» بعدما أطلق صغيراً هادئاً:  
- وكيف أكون كالشمس؟؟!

فضحك «يامن»:

- إنك مضى. مثلها يا «خالد»، وغضبك مثل حرّها الشديد.. فقاطعه  
«خالد» غاضباً:

ليُتَني تركك تذهب إلى عملك .. أصمت يا «يامن» .. لا أريدك أن  
تتحدث .. إنك اليوم أغبي مما كنت اتخيل ..

فصمت «يامن» ، وعاد بظهره إلى الخلف نائثاً أمام البحيرة ..  
و«خالد» ما زال يفكر ، ويتحدث إلى نفسه .. و«أسيل» ترقبه في صمت ،  
حتى نظر إليها :

- «أسيل» .. ساعديني ..

فابتسمت «أسيل» :

- حسناً يا «خالد» .. إنني أفكر الآن مثلك .. ثم أكملت :

- لا توجد رؤوس ، وأنت كسرت الصخور بالفعل .. هل قرأت  
الكتاب جيداً ؟

فرد «خالد» :

- أعتقد ..

فصمت مجدداً .. وقد بدأ الوقت يمر .. و«خالد» لا يكف عن  
الحركة .. و«أسيل» تضع رأسها بين يديها ، وتفرك شعرها الناعم وكأنها  
تفكر .. و«يامن» نائثاً على ظهره ، واضعاً إحدى قدميه فوق ركبة رجله



الأخرى.. حتى غربت الشمس، ولم يصلوا إلى شيء.. حتى نطق  
«خالد» في يأس:

- أرى أنني أصبحت غيبًا بالفعل..

فحدثت «أسيل» مبسمة:

- سجد الحل يا «خالد».. سجد..

و«يامن» يستمع إليهما.. وما زال نائما على ظهره، وينظر إلى النجوم  
التي تملأ السماء.. حتى تحدث إلى «خالد»:

أنا أعتذر حقاً يا «خالد».. إنني أريد أن أساعدك، ولكنني لا  
أستطيع ذلك.. كانت أمي تحبني دائماً أن «إياد» صديق عمري أكثر مني  
ذكاءً.. ولكن أين نجد «إياد» الآن؟.. إنه في المنطقة الغربية يكسر  
الصخور مثلاً..

فالتفت إليه «خالد»، وسأله في لهفة:

- يكسر الصخور؟؟!

فرد «يامن» مندهشاً من لهفة «خالد»: - نعم..

فألها «خالد»: - هو في منطقة صخرية غير المنطقة الشرقية؟

فأجابت «أسيل»:

- نعم.. المنطقة الغربية أيضًا منطقة صخرية.. نعم، إنك لم تذهب إليها..

قصمت «خالد» كأنه يفكر.. وقد لمعت عيناه، وتحركت تجاهها مسرعًا.. ووضع بعض الأخشاب في النار التي أشعلها «يامن» من قبل كي تزداد إنارتها.. ثم تحدث:

لما كنت في سرداب غوريك.. انقسم السرداب إلى طريقين.. أنا أخذت طريق منهم.. والسرداب أبعدني عن طريق ثاني.. طريق المخرج..

بعدها جلس على الأرض أمام «يامن» الذي نهض وجلس، و«أسيل» التي تابعت في ترقب.. ثم أمسك بقطعة خشب صغيرة، وبدأ يرسم على الرمال أمامهما.. فرسم خطًا طويلًا، وتحدث:

- إن كان ده طريق السرداب الرئيسي..

ثم رسم خطًا متفرعًا منه يسير تجاه «يامن» و«أسيل».. وأكمل حديثه:

- وأنا أخذت الطريق ده لحد ما جيت في الصحرا خارج زيكولا..

ثم رسم خطًا آخر متفرعًا من الخط الرئيسي أيضًا.. ولكنه معاكس للخط الفرعي الذي رسمه من قبل، وأكمل:

- والطريق ده الي السرداب أبعدني عنه.. طريق المخرج على حسب كلام الكتاب..

ثم وقف على قدميه، وتحرك خطوتين للخلف، وابتم:

- الآن تأكدت أن زيكولا أخذت من ذكائي الكثير.. ازاي مفكرتش في ده..

ثم أشار إليهما بأن ينظرا إلى الفرع الذي رسمه تجاههما، ونطق:

- هو ده الطريق إلى شرق زيكولا.. أكيد هو..

ثم أشار إلى الخط المتفرع المعاكس له وهذا صوته، وابتم:

- وهو ده الطريق إلى غرب زيكولا..

ثم أكمل:

- المنطقة الوحيدة التي لم أزرها في زيكولا.. المنطقة الغربية..

ثم نظر إلى السماء حيث النجوم التي برزت.. ثم نظر إلى «يامن»

و«أسيل»:

- لم يقصد بالشمس أنني مضيء يا «يامن»..

- إنه قصد بالشمس.. حركتها..

- من الشرق إلى الغرب..

- إنه أسهل مما تخيلت.. إنه سهل للغاية، ولكن لشخص لم يفقد ذكاءه..  
شخص عاوز يفكر..

فضحك «يامن»، وابتسمت «أسيل».. ثم توقفت عن ابتسامتها،  
وتحدثت:

- ولكن يبقى الرأس..  
فاتسم «خالد»: سأجدها..  
فقاطعه «يامن»:

- وما الذي يؤكد لك أنها حقًا المنطقة الغريبة؟  
فأجابه «خالد» بلهجته بعدما تنوعت لهجته ما بين لهجته الأصلية  
ولهجة زيكولا:

لست متأكدًا.. ولكن لم يعد وقتًا سوى للمجازفة.. إن خشيت  
المجازفة سأظل مثل أبي.. هنا طوال عمري.. ثم تابع:

سأذهب إلى هناك.. وأعتقد أنني سأجد ذلك الرأس بسهولة..  
لا بد وأن يكون بقية اللغز أسهل مما نتخيل.. فضحكت «أسيل»:

- يبدو أن الذكاء في بلدكم يختلف عن الذكاء هنا.. ثم أكملت:

- لو فقد أحد مثلك، خمس ذكائه لما نطق..

فابتسم «خالد»: أتمنى أن تكون شكوكي سليمة.. وأن يكون صاحب الكتاب قصد بخليه سهل كده..

فضحك «يامن»، وأملك بلجام الحصان الذي كان يقف بجوارهم:

حسنا يا ذكي.. ولكن المنطقة الغربية أبعد من المنطقة الشمالية.. هل ستستأجر حصانًا يكلفك المزيد من ذكالك؟! فصمت «خالد» مفكرًا.. حتى نطقت «أسيل»:

لا.. إنه استأجر حصانًا إلى المنطقة الشمالية لأنني لم أكن أذهب إلى هناك.. أما المنطقة الغربية فسأذهب إليها بعد عدة أيام لحسن حظك يا «خالد».. هل تنتظر، وتأتي معي؟

فابتسم «خالد»، ورد على الفور:

- أيوه.. أنتظر..

فابتسم «أسيل»:

حسنا.. عليك أن تعمل إلى حين نذهب إلى هناك.. عليك أن تحاول إعادة أجزاء ولو قليلة من ثروتك.. فابتسم «خالد» ثم نظرت «أسيل» إلى «يامن»:

وأنت؟.. لا تريد أن تساعد صديقك هناك؟.. فنظر إليها «يامن»  
مندهشاً ثم أكملت:

إنني أريد مساعدًا آخر مع «خالد».. ولكنتي لن أدفع لك أكثر  
من أربع وحدات باليوم، وملابس جديدة لك..  
فصمت «يامن» ثم ضحك:

- مساعد طيبة؟!.. حسناً لا؟! ثم عثم إلى نفسه:  
مساعد طيبة صباحاً.. وياحت عن رأس مجهولة مع صديق بعد  
الظهيرة.. لا أظن أن هناك ما يمنع ذلك..  
بعدها تحدثت «أسيل» إلى «خالد» بصوت يسمعه «يامن»:

- الآن سأغادر يا «خالد».. وسأقابلكما هنا صباحاً بعد ستة أيام حتى  
نتجه معاً إلى هناك ثم نظرت إلى «يامن»:

- وأنت، سيأتيك أحد بالملابس الجديدة قبلها بيوم.. ثم غادرت،  
فضحك «خالد» ونظر إلى «يامن»:  
- ستكون مساعدًا لمساعد الطيبة..  
فرد «يامن» ضاحكاً:

- أظن أنها تريدني أن أكون سائقاً لعربتها..  
٢٧٠

ثم أمسك بلجام الحصان، وهم ليفادر:

- الآن علي أن أتركك.. إنني لم أضع شيئاً في حلقي منذ الصباح.. هل ستأكل أنت الآخر؟  
فرد «خالد»:

- لا.. أنا سأنام.. ربما أكل غداً.. ثم تابع:

- إن طعامي الآن يأخذ من ذكائي.. وأنا أحتاج كل وحدة حتى أجد ذلك الرأس وذلك المخرج..  
فابتسم «يامن»:

حسناً، أراك غداً في العمل.. وسأخبر العمال بأنني أمسكت اثمن كتب زيكولا بيدي.. كتاب ينقذ فقيرين من ذبح يوم زيكولا.. ثم ضحك، وغادر هو الآخر.. وظل «خالد» بمفرده بجوار شجرته على شاطئ البحيرة..



مرت الأيام يوماً تلو الآخر، و«خالد» يعمل مع «يامن».. ويقرأ الكتاب مجدداً أكثر من مرة باليوم، ويقارن بين ما ذكره الكتاب عن أهل زيكولا وبين ما كتبه هو في أوراقه.. ويحاول أن يسأل الكثيرين ممن

ذهبوا إلى المنطقة الغربية من قبل، لعل أحدهم يدرك سر ذلك الرأس..  
يعلم أن ذهابه إلى هناك مجازفة وقد لا تكون ما يقصده صاحب  
الكتاب.. ولكنه لم يجد حلاً آخر، وأنها أقرب الحلول إليه..

حتى جاء اليوم السادس، وكان في انتظار «أسيل» وعربتها عند  
البحيرة.. حتى وجد «يامن» يقترب من بعيد، وقد ارتدى زياً جديداً..  
جلباً أزرق قصيراً ومزركشاً، ويظهر من تحته بنطال فضفاض.. ويسير  
متباهياً بزيه، وينفض كل لحظة عن أكتافه.. فضحك «خالد» حين رآه،  
ثم سأله «يامن» على الفور:

- ألسَّ وسيماً في هذا الزي؟

فضحك «خالد»:

- إن ملايسك أجدد كثيراً من ملايمي..

فضحك «يامن»:

إننى أعمل بمقابل.. أما أنت فتعمل مقابل ذهابك إلى مناطق  
زيكولا.. بعدها وصلت عربة «أسيل»، وما إن رأى «يامن» المسائق  
حتى همس إلى «خالد»:

- يبدو أنني لن أعمل سائقاً.. سأعمل ماعداً حقاً..



فضحك «خالد» حتى ظهرت «أسيل» من نافذة العربة، وزادت بصوتها في ابتسامة:

- هيا..

فحمل «خالد» جميع أغراضه، وكانت لفافة من القماش بها أوراقه وكتابه، وبمض كسرات الخبز القديم.. وركب مع «يامن» العربة بمواجهة «أسيل»، والتي أمرت السائق أن يتحرك نحو المنطقة الغربية..



انطلقت العربة، وبدأخلها «خالد» و«يامن» و«أسيل».. و«يامن» ينظر عبر النافذة مسرورًا حتى أثار دهشة «أسيل».. ويريد أن يخرج عبر النافذة كي يراه من يعمل معهم بزيه الجديد.. أما «خالد» فظل صامتًا، وينظر عبر النافذة الأخرى.. و«أسيل» ترقبه في صمت ثم قالت:

- هل وجدت شيئًا آخر لذلك اللغز؟

فابتسم «خالد»:

- لا.. كل أملي إن يكون ظلتنا صحيحًا.. ويكون فعلًا هناك المخرج..

فصمت ثم ابتسمت، وتحدثت:

- تريد أن تغادر زيكولا في أسرع وقت.. لن تنتظر يوم زيكولا حتى..  
ثم سألته:

- ماذا ذكر الكتاب عن تاريخ زيكولا؟

فرد «خالد» مبتسماً، وفضل أن يجيب بلهجتها:

- إن صاحب الكتاب لم يعرف هو الآخر سر زيكولا.. يبدو أنه لا أحد  
يعلم سر تلك الأرض.. ولكنه ذكر كيف تحدثتم العربية..

فألت «أسيل»: - كيف؟!

فقلب «خالد» صفحات الكتاب على عجل، وأشار إلى صفحة به:

يقول الكتاب إن هناك من جاءوا من بلدي إلى هنا من قبل، عبر  
سرداب فوريك منذ قرون.. وهم من علموا أهل زيكولا اللغة  
العربية.. أما بعض المناطق المجاورة فقد عَلمها من جاء من بلدي ولم  
يدخل زيكولا..

فضحك «يامن»، وقاطعه:

- حسناً.. إننا ندين لكم بالكثير..

فابتسم «خالد»، وأكمل:

- ويقول أيضاً.. إنهم ممن سكنوا المنطقة الشمالية..

قصت «يامن» ثم أكمل صاحبًا:

- لا ندين كثيرًا..

حتى سأله «أسيل»:

- هل ذكر أين زيكونا من أرضك؟

فرد «خالد»:

لا؛ لم يذكر ذلك.. لكن الشيء الذي أعلمه أنا وصاحب الكتاب أن الطريق بين أرضي وأرضكم هو سرداب فوريك.. ثم أكمل بعدما قلب بعضًا من صفحات الكتاب:

هو الآخر لم يستطع أن يجد تفسيرًا لوجودكم، ووجود تلك الصحراء، والأراضي، وآبار المياه التي توجد بها، وتلك السماء، وتلك الشمس.. فقال إن زيكونا أرض أخرى لا أحد يعلم أين هي.. سوى أنها نهاية سرداب فوريك.... يبدو أنها ستظل سرًا أبدًا لا يعلمه أحد..



بعدها أكمل الثلاثة حديثهم عن ذلك الكتاب.. وبدأ «خالد» يقرأ لها بعضًا من صفحاته، ويندهشان كثيرًا حين يقرأ لها «خالد» عن سرداب فوريك، ونصميمه البديع، وكيف يكون مضاء ليلة البدر،

وكيف تمت هويته، وكأنها لا يصدقان ما يسمعه، ولكن «خالد»  
حدثهما بأنه قد رأى ذلك بالفعل حين مر منه.. ومر الوقت، والثلاثة  
يكملون حديثهم.. ويتنقلون من حديثهم عن الكتاب وما به إلى  
«هلال»، ذلك الجشع الذي أخذ مائة وحدة إضافية، و«يامن» يقسم أنه  
لو فعل معه ذلك لقتله، وضحكا كثيرا حين أخبرهما «خالد» بأنه قد  
عمل، ولا يتذكر شيئا مما تحدث به إلى الناس في تلك اللحظات هناك..  
حتى بدأوا يتحدثون عن تلك المنطقة التي يتجهون إليها، وقد نظر  
«خالد» إلى «يامن»، وسأله:

أنت قلت لي قبل كده إن المنطقة الغربية بها سوق كبيرة.. يبنم فيها  
بيع وشراء جميع منتجات زي كولا الزراعة أو الصناعية..  
فأجابه «يامن»:

- نعم.. تلك المنطقة يقصدها الكثيرون رغم بعدها عن منطقتنا..  
فقاطعه «أسيل»، وأكملت:

- ولكنها أكثر قربا إلى منطقة الحاكم التي نمر أمامها الآن..

فنظر «خالد» عبر النافذة، فوجد قصور المنطقة الوسطى المتميزة..  
قصور منطقة الحاكم.. بينما تسير بالطريق المهدد الموازي لها.. حتى  
أكمل «يامن»:

وقرية أيضًا من المنطقة الجنوبية.. منطقة الزراعة، وعرفت دائمًا  
أنها أرض الشراء والبيع في زيكولا.. وأن الأسعار بها أرخص كثيرًا من  
مبيلاتنا في المناطق الأخرى.. فيلجأ إليها الكثيرون من أهالي زيكولا..  
فتحدثت «أميل»:

- إنها منطقة تجار زيكولا.. وهم يعيشون بها رغم أنها منطقة يصعب  
العيش بها.. ثم أكمل «يامن»:

ومنذ سنوات قرية أصبحت المنطقة المناقة لمنطقتنا في صناعة  
الطوب من الصخور.. بعدما بدأوا يستغلون طبيعتها الصخرية في  
صناعة الطوب مثلنا، وبها الكثير من العمال الأقوياء، منهم «إياد»  
صديقي..

فصمت «خالد».. ثم ضحك ساخرًا:

كان في الأول هدفي إني ألقى الكتاب، ولقيت الكتاب.. دلوقتي  
هدفي إني ألقى رأس مجهولة..

ثم عاد بظهره إلى مسند المقعد الذي يجلس عليه، وأكمل ساخرًا  
من نفسه في حزن:

- خايف ألاقي الرأس، يكون عليا إني ألاقي حاجة ثانية غيرها..  
فابتسم «أسيل»:

وإن كان.. ستجد كل ما تريد.. أنت القوي.. أنت الذكي.. أنت  
تختلف عن غيرك يا «خالد».. أنت من وجدت كتابك، وأنت من  
وجدت حل لغزه.. وأنت من ستخرج نفسك من هنا..  
فابتسم «يامن»، وظل يترقب «خالد» و«أسيل» حتى ساد  
الصمت داخل العربة..



غربت الشمس، وحل الظلام بالسماء.. وعاد «يامن» بظهره إلى  
الخلف، وأغمض عينه، وكأن الناس قد غلبه.. أما «أسيل» فلم تفارق  
عينها السماء.. حتى صاحت إلى «خالد»:  
- أنظر هناك.. ثم أشارت إلى السماء:  
- إنه «أسيل»..

فنظر «خالد» مبسماً إلى السماء، ونظر إلى ذلك النجم اللامع ثم نظر إلى «أسيل»:

- أنا بتفأل بيه، وبتفأل بوجهك يا «أسيل»..

فأحر وجهها خجلاً كعادتها.. وابتسمت، وظلت تنتظر إلى ذلك النجم بالسماء، و«خالد» ينظر إليها، ويتسم حين يحدها تحرك رأسها وعينها مع ذلك النجم مع مرور العربة.. لا تريد أن يغيب عنها لحظة واحدة.. ثم يضحك حين ينظر إلى «يامن» فيجده قد انزلق بجسده بين المقعدين، وقد تعمق في نومه.. حتى نظر عبر النافذة بعيداً فوجد نيراناً بعيدة، فعلم أنهم قد اقتربوا من تلك المنطقة التي يقصدها..



وصلت العربة إلى أطراف المنطقة الغربية فأيقظ «خالد» «يامن» على الفور، ففتح عينيه في ابتسامه حين وجد نفسه منزلقاً داخل العربة.. ثم نهض، وعدّل من جلوسه وملابسه، ثم تحدّث «أسيل»:

- سنتجه الآن إلى مكان لنبيت به حتى الصباح.. هنا يوجد مكان خاص لطيبة الحاكم.. أنا.. وللساعدي.. أنتم..

فابتسم «يامن»:

- رائع.. خشيت أن أنام على جانبي أحد الشوارع مثلها يفعل صديقنا دائماً..

فابتسم «خالد»، ثم أكملت «أسيل»:

- سنبدأ عملنا في الصباح، وبعد الظهر لن نحتاج إلى مساعدتكما..  
فاذهبا لتبحثا عن مخرج ذلك السرداب..

بعدها توقفت العربة أمام أحد البيوت، ونزل الثلاثة.. تقدمهم «أسيل»، ويلبها «خالد».. ثم «يامن»، والذي حمل جميع الحقائب، ومن بينهم أغراض «خالد»، وانجهوا إلى داخل ذلك البيت حيث كان أحد الأشخاص في استقبالهم..



في صباح اليوم التالي، نهض «خالد» مبسراً، وأيقظ «يامن».. ثم اتجها مع «أسيل» إلى عملها.. ومعهم ذلك الرجل الذي استقبلهم الليلة الماضية.. وأخذوا يتنقلون من بيت إلى بيت، و«أسيل» تفحص كل المرضى.. وإن احتاج أحدهم إلى ضيافة تترك «خالد» ليضمده.. و«يامن» لا يفعل شيئاً سوى أن يحمل الحقائب، ويتأهب بملابسه



الجديدة، وكلما مرت فتاة بجواره يضع الحقايب أرضاً ثم ينفض عن  
أكمامه حتى تمر فيحمل الحقايب مجدداً.. و«خالد» يراه ويضحك..  
أما «أسيل» فكانت تشيط غضباً، ولكنها تعود لتضحك حين تجد  
«خالد» يضحك لذلك.. وظلوا يتقلون بين شوارع تلك المنطقة..  
و«خالد» ينظر إلى بيوتها، والتي بدا على الكثير منها الثراء.. ولكنها  
ليست في ثراء قصور المنطقة الوسطى.. يعلم أنها بيوت تجار زيكولا،  
ولا بد أنهم أثرياء.. تتكون أغلبها من طابقين، وتمتاز ببراعة معمارية من  
الخارج.. وجدران صخرية سمبكة، ونقوش مميزة على واجهاتها  
ونوافذها، وليست عتيقة مثل مباني المنطقة الشرقية.. حتى مرّت  
الساعات، فأخبرتهما «أسيل» بأنها ستكمل مداواة النساء، أما «أسيل»  
فأن ينصرفا، ويبحثا عن هدفهما..



انصرف «خالد» و«ياسم» على الفور، وقد تخلص «ياسم» من  
ملابسه الجديدة، وارتدى زيه القديم الذي أحضره معه.. وسارا معاً في  
شوارع المنطقة الغربية.. يبحثان عن أي شيء.. يبحثان عن ذلك الرأس  
التي لا يعلمون ماهيته.. حتى وصلا إلى منطقة شاسعة، وبها الكثير من

أهل زيكولا.. رجالاً ونساء.. فأخبر «يامن» «خالد» بأنها سوق زيكولا الكبير، حتى اقتربا.. فوجد «خالد» بهذا السوق الكثير من المحاصيل الزراعية، والفواكه، والخضراوات التي يعرفها، وبعضها لا يعرفه، ولم يره من قبل، ويتزاحم الناس حوله، وتلك المنتجات التي صنعها أهل زيكولا.. ملابس جديدة، جلابيب، قمصان، وفساتين.. متراسة.. رسمت من ألوانها لوحات رائعة.. والبائعون ينادون بأسعارهم من الوحدات، والصخب يعم المكان، و«خالد» و«يامن» يتحركان بصعوبة بين ذلك الزحام، حتى سأله «خالد»، وقد أعلى صوته كي يسمعه:

- كيف يشتري هؤلاء الناس؟!.. ألا يخافون على ثرواتهم؟

فأجابه «يامن»، وقد أعلى صوته هو الآخر:

إن الأسعار هنا ليست باهظة كالمناطق الأخرى، كما أخبرتك.. هنا يشترون تلك المنتجات، ويأخذونها لبيعوها في المناطق الأخرى بأسعار أكثر غلابة للأثرياء.. فيحققون المزيد من الثروة.. ثم أكمل:

- وهناك سلع كالسلع الزراعية، لا نستطيع أن نشتفي عنها.. وهم يعرفون جيداً كيف يربحون من تجارتها..

ثم واصلا سيرهما بين الزحام، وعين «خالد» تنقل هنا وهناك..  
تبحث عن ذلك الرأس.. ويسأل من يقابلهما عن رأس تمثال أو عن  
تمثال شهير بتلك المنطقة.. أو أي رأس يعرفونه.. ولكن الجميع أنكروا  
وجود تماثيل أو أي رأس بتلك المنطقة.. حتى أصابها التعب، وجلسا  
بجوار أحد البيوت، وشربا من الماء الذي أحضره «يامن» معه.. حتى  
تحدث «يامن» مُحمّسا «خالد»:

- سنجدها.. أشعر أننا سنجدها يا «خالد».. حتى قطع حديثه  
إليه حين صاح بصوته بعيدا إلى أحد الأشخاص:  
- «إياد»..

ثم جرى نحوه، واحتضنه كثيرا ثم تحدث إليه قليلا، وأتى به إلى  
«خالد»:

- إنه «خالد» الذي قابلته معي يوم زيكولا.. هل تتذكره؟!  
فابتسم «إياد»:

- الغريب؟! .. نعم، إنني أتذكره.. هل أصبحتما أصدقاء؟  
فضحك «يامن»:- نعم..  
فأله «إياد» مجددا:

- وماذا جاء بكما إلى هنا ؟!!.. هل تريدان أن تشتريا شيئًا ما ؟ ثم نظر إلى «يامن»:

- ولماذا لم تخبرني بمجيئك سابقًا.. أخشى دائمًا مفاجأتك.. فضحك «يامن» حتى سأله «خالد» على الفور:

- «إياد».. تلك المنطقة صخرية؟

فرد «إياد»: - نعم.. إنها أكثر المناطق وعورة في زيكولا.. إن الأرض هنا صلبة للغاية.. ولا تصلح للزراعة.. فقاطعه «خالد» ، وسأله:

- هل توجد تماثيل في تلك المنطقة.. أبحث عن رأس.. لا أدرى أي رأس..

فصمت «إياد» مفكرًا:

- لا.. تلك المنطقة أسكن بها منذ زمن.. ولا توجد بها أي رؤوس.. لا بد أنكما أخطأتما المكان..

فصمت «خالد» ، وبدأ عليه التوتر:

- ولكن الكتاب يقول أنحت في الصخر.. وإني أكون كالشمس.. وأقرب تفسير للغز هي المنطقة الغربية..

فنظر «يامن» إلى «إياد»:

- أرجوك يا «إياد».. أعلم أنك ذكي.. ففكر معنا.. تذكر أن «خالد» صديقي، وأريده أن يصل إلى مراده..

فابتسم «إياد»، وشرب من ماء «يامن»، وأكمل إلى «خالد»:

أنا أود ذلك.. ولكنني لا أفهم شيئاً مما قلته من حديثك عن الكتاب.. صدقني لا يوجد لديك دليل مما سمعته الآن.. سوى النحت في الصخر.. نعم، تلك المنطقة أرضها الصخرية شهيرة هنا.. حتى يقال إن طبيعة تلك الأرض الصخرية هي من تحكمت في بناء سور زيكولا.. ولم يكد يكمل حديثه، حتى فوجئ الثلاثة بـ«أسيل» تأتي إليهم، ونلھت، وكأنها أتت عذواً، ووضعت يدها على صدرها.. تريد أن تلتقط أنفاسها، ونظرت إلى «خالد»، والعرق على وجهها:

- «خالد».. لقد وجدت ذلك الرأس التي تبحث عنه..



دق قلب «خالد»، وانتفض بقوة، وكل من «يامن» و«إياد» هكذا،  
وسألها «خالد» على الفور:

- فين؟!

فجذبتة من يده:

- هيا..

ثم انطلقت، ويدها تمسك بيد «خالد»، وتبعهما «يامن» و«إياد»،  
وأسرعوا بين الزحام، واصطدموا بالكثير من الناس.. وكلما سبهم أحد  
ابتسموا له وأكملوا عدهم، و«خالد» يسأل «أسيل» عن الرأس  
ولكنها تبسم وتطلب منه أن ينتظر قليلاً.. ثم يواصلون تحركهم بين  
الزحام، وما زالت يد «أسيل» متشابكة مع يد «خالد».. لا يتفصلان  
سوى كي يمر أحد الأشخاص بينهما، وما يلبث أن يمر حتى تتشابك  
اليدين مرة أخرى.. و«يامن» و«إياد» يسرعان خلفهما، ويزيجان بأيديهما  
من يقابلهما.. لا يريدان أن يفقد بصرهما «خالد» و«أسيل».. حتى  
خرجوا من تلك السوق إلى أحد الشوارع الأقل زحاماً، وأسرعوا إلى

نهايته.. تقودهم «أسيل» وما زالت صامته لا تريد أن تتحدث..  
و«خالد» يتبعها، وقلبه يدق وأنفاسه تتصارع..

حتى وصلوا إلى الطرف الغربي للمنطقة الغربية، ولم تكن هناك  
سوى بيوت قليلة أغلبها ليست بفخامة مثلاتها من البيوت الأخرى  
بتلك المنطقة، وقد ظهر سور زيكولا، وارتفاعه الذي يصل إلى خمسة  
طوابق فتوقفت «أسيل» ثم حاولت أن تلتقط أنفاسها مجددًا.. وأشارت  
أمامها، وقالت، وقد ظهر عليها الإنهاك:  
- أنظر هناك..

فنظر «خالد» أمامه، ونظر معه «يامن» و«إياد».. يبحثون عن رأس  
بذلك المكان فلم يجدوا شيئًا حتى سألها «خالد»:  
- فين؟!

- فابتسمت «أسيل»، وما زالت أنفاسها سريعة:  
إنها ليست رأس تمثال كما خُيِّلَ إليك وإلينا.. إنها رأس أخرى  
تمامًا. فاندھش «خالد» ونظر مجددًا، ولكنه لم يفهم ما تقصده «أسيل»  
حتى نطقت:

- «خالد».. أنظر إلى سور زيكولا ذاته

فنظر الثلاثة إلى سور زيكولا الذي كان يبعد عنهم قرابة الثمانين

متراً.. حتى سأله «خالد»:

- أتقصدان ما أفكر به؟؟

فابتسمت «أسيل»:

- نعم.. ثم أكملت:

- أنظر إلى سور زيكولا في تلك المنطقة، وأنظر إلى مساره، وكيف تم

تصميمه.. ثم تابعت، و«خالد» ينظر إلى السور يتأمله:

- لم أتم بالأمس، وقرأت كتابك، وبدأت أفكر بكل كلمة به، وحاولت

أن أستخدم ذكائي الكثير كي أجد تلك الرأس.. ولكني لم أصل إلى

شيء حتى شاء القدر أن أداوي عجوزاً مريضة بعدما غادرنا اليوم..

وأخبرتني صدقة أن طبيعة تلك المنطقة الصخرية تحكمت في بناء سور

زيكولا، كما أخبروها القدامى.. وهنا بدأت أفكر من جديد.. فقاطعتها

«إياد»

نعم.. إنني كنت سأخبرك بأن أرض المنطقة الغربية على هيئة

مثلث يحيط بها سور زيكولا، لولا أن قاطعتنا الطبيعة..

فأكملت «أسيل»



نعم يا «خالد».. إنها المنطقة الوحيدة في زيكولا التي تُبَدِّها سور  
زيكولا كضلعي مثلث.. بينهما زاوية منفرجة..  
ثم صمت، وأكلمت:

أنظر إلى تلك الزاوية يا «خالد» بين ضلعي السور الضخمين.. إن  
كنا نراها نحن زاوية من الداخل.. فهي -في التوقيت ذاته- الرأس من  
الخارج.. رأس المثلث فصاح «يا من» -بعد أن تركهم، واقترب من  
السور الضخم:-  
- انظروا..

فاقترب الثلاثة منه فأشار إلى رزمة صغيرة منحوتة بجدار تلك الزاوية،  
وأكمل:

-توجد رزمة لشخص ما.. ولكني لا أعرف من هو فرد «خالد»  
في لحظة بعدما تذكر شيئاً ما:

الرزمة.. أنا شفت الرزمة دي مرة قبل كدة.. الرزمة دي تشبه  
رزمة نفس الرجل الغني اللي كانت في السرداب، وكنت عاوز  
أصوّرها.. ومن بعدها حصل انهيار السرداب..  
فنهضت «يا من» مبتسماً:

- هذا دليل أن ما قاله «أسيل» صحيح.. فصدق قلب «خالد» بقوة،  
وتحدث بصوت هادئ:

نعم أعتقد أن «أسيل» على صواب.. وجود تلك الرسمة هنا يؤكد  
ذلك.. لا بد أن صاحب الكتاب من نقشها، وأدرك أنه لن يعرفها إلا  
شخص عبر سرداب فوريك.. شخص سعى بكل ما لديه كي يصل إلى  
حل لغزه، ويتحقق الوصول إليه، ولكنني لم أكن أتخيل أن الرأس يكون  
رأس مثلث ضلعيه سور زيكولا ذاته!  
ثم نظر إلى «أسيل»:

أنا بشكرك يا «أسيل» لأنك استخدمتي ذكاءك، وقد رقي توصلي  
لحل لغز كان صعب إلي أحله لو حدي.  
- فابتسمت «أسيل» ثم سألته:

- «خالد».. لماذا لا أراك سعيدًا بوجودنا الرأس الذي نبحث عنه..  
فصمت «خالد» قليلًا ثم تحدث:

- إن اللغز يقول إن الباب أمام الرأس مباشرة.. ثم أكمل:  
- هذا يعني أن باب السرداب خارج هذا السور

فصمتوا جميعًا، وكأنهم لم يفكروا في ذلك.. زالت فرحتهم حتى  
نطق «إياد»:

علينا أن نغادر تلك المنطقة الآن.. إن حراس سور زيكولا لا  
يجون أن يتواجد أحد بالقرب من هذا السور.. وهم يمزون بين الحين  
والآخر..



ابتعد الأربعة عن سور زيكولا، ووقفوا مجددًا على بعد قرابة  
الثمانين مترًا منه.. حتى نطق «يامن»:

إن كان باب ذلك السرداب خارج سور زيكولا فلماذا ذكر  
صاحب الكتاب أن من يريد أن يعود إلى بلده فليمر أولًا بزيكولا؟..  
فردت «أسيل»:

حين قرأت الكتاب بالأمس، ذكر صاحبه أن سور زيكولا لم يكن  
قد اكتمل بناؤه حتى وقت قريب من كتابته لكتابه.. منذ قرنين.. ثم  
أشارت إلى سور زيكولا، وأكملت:

ربما كان هذا الجزء هو الجزء الأخير الذي تم بناؤه.. بعدما استغرق الكثير من الوقت، كما حكى لي العجوز عما تعرفه.. ثم نظرت إلى «خالد»:

هذا يعني أن صاحب الكتاب حين ذكر أنه عاد إلى وطنك ثم جاء إلى هنا مجددًا قد وصل إلى ذلك المخرج قبل اكتمال بناء السور.. ثم ذكر أنه لم يغادر بعدها:

ربما كان لخبه لزيكولا كما كتب ذلك.. أو لاكتمال بناء السور فزاد ذلك من اللغز تعقيدًا، ولكنه ترك تلك الرسمة دليلًا قويًا لمن يصل إلى هنا.. ثم صمت فتحدث «خالد»، وقد ظهر اليأس على وجهه ده معناه إنني لازم انتظر ثاني يوم زيكولا.. وأخرج يوم فتح باب زيكولا، وأقدر أوصل لمخرج السرداب من خارج زيكولا.. فضحك «إياد»:

- هذا مستحيل يا صديق..

فرد «خالد»، وقد تبدل يأسه إلى نوترة:

- لماذا؟

فرد «إياد»:

إن الأرض ممهدة داخل زيكولا، وهذا نتاج قرون طويلة من عمل أهلها.. ولكن خارجها، خارج هذا السور.. تختلف الطبيعة عن هنا كثيرا.

إن زيكولا هي غرب عالمنا.. لا توجد بلاد أخرى في هذا الاتجاه الغربي.. أو على جانبيها الشمالي أو الجنوبي.. إن جميع البلدان توجد شرق زيكولا فقط..

لم نسمع يوما عن أحد مر بجانبها على الإطلاق.. ويقولون إن الأرض بجوارها تختلف ما بين الجبال العالية، والكثبان الرملية، والرمال المتحركة.. هذا يعني الهلاك لكل من يفكر فيها تفكر فيه..

- لم، ولن يمر أحد بجانبها.. ثم جلس بمكانه، وأكمل:

- لهذا لا نخشى زيكولا أي هجوم من البلاد الأخرى سوى اتجاه المنطقة

الشرقية، والتي يحميها سور زيكولا القوي.. ثم صمت، وتابع مجدداً:

- وجود الرأس خلف هذا السور لا يعني سوى شيء واحد... أنه قد

حكم عليك بالبقاء هنا طوال حياتك.. فظهر الغضب والحزن على وجه

«خالد»، ونظر إلى «أسيل»:

- أخبرتك أنني حين أجد الرأس سأبحث عن شيء جديد... كنت أعلم هذا.. إنها دائرة أدور بها.. ليس لها نهاية.. ثم جلست، ووضعت رأسه بين يديه:

- لا بد من وجود حل.. لا بد.. ووضع «يامن» رأسه بين يديه هو الآخر، وحدث نفسه:

- الباب أمام الرأس..

حتى «أسيل» ظلت تتحرك جيئة وذهابًا، وتحدث نفسها:

- عليك أن تكمل تفكيرك يا «أسيل».. معرفتك للرأس ذاتها لم تكف، إنك من أذكى أذكاء زيكولا.. لا بد وأن تجدني حلًا..

- أما «إياد» فظل ينظر إلى السور، ويُقلب نظره بين أركانه.. حتى نهض «خالد»، وأشار إلى السور:

- لا بد أن أخرج.. لن أمكث هنا، وأعلم أن عودتي إلى وطني خلف هذا السور.. ثم نظر إليهم:

- إن الكتاب يقول: «انحت في الصخر»..

- هذا يعني شيئًا واحدًا..

فسأله «أسيل»: - ماذا؟

فأجابها: - أن أنحت في السور ذاته.. وأعبر إلى السرداب عن طريقه..  
فضحك «يامن» و«إياد» كثيرًا.. وتحدث «إياد» ساخرًا:

- تنحت في السور ذاته!!.. تريد أن تجعل مخرجك من زيكولا..  
سور زيكولا ذاته..

فرد «خالد» في هدوء:

- نعم.. هل يوجد حل آخر؟

فأجاب «إياد»: - إنه ليس بالحل يا صديق.. إن فكرت في ذلك،  
فلن تنتظر يوم زيكولا حقًا.. لأنك ستقتل على الفور.. ألا ترى  
هؤلاء؟!.. ثم أشار إلى مجموعة من الجنود يسرون في صفين ويرتدون  
دروعًا، ويحملون سيوفًا بأيديهم..

- إنهم حماة سور زيكولا.. لا يفارقونه.. مهمتهم فقط أن يحموا هذا  
السور..

ثم أخذ نفثًا عميقًا، وأخرجه..

- هنا في زيكولا ربما تُقتل كي تعيش.. تُسرق كي تأكل.. تفعل ما  
تشاء.. إلا شيئًا واحدًا.. فقاطعه «يامن»:

- أن يتحدث سور زيكولا..

ثم أكمل «إياد»:

- ربما نقش صديقك صاحب كتابك تلك الرسمة وقتلوه.. فتحدثت

«أسيل»:

«خالد» إن سور زيكولا أهم رمز هنا.. حتى إن تركك الحراس

تفعل ذلك.. فلن يتركك أهالي تلك المنطقة.. إنهم يؤمنون أن سور

زيكولا من أسرار قوتها، ولن يسمحوا لأحد أن يقترب من قوتهم.. ما

تفكر به محال يا «خالد».. محال.. فصمت «خالد» ثم صاح:

- إيه الحل؟.. هل ستمعونني إن فعلت ذلك؟

فصنوا جيلاً.. حتى ابتسم «أسيل»:

- أنا لن أمنعك يا «خالد»..

ثم ابتسم «يامن»:

وأنا أيضاً بالطبع لن أمنعك.. ولكن هؤلاء الحراس قد وُضعوا

خصيصاً لحماية هذا السور.. ولا تستطيع حتى رشوتهم.. فصمت

«خالد» ثم نظر إلى «أسيل»:

- كم متبقيين في تلك المنطقة؟



فأجابته: - لدي الكثير من العمل هنا.. ويكفي أن أعمل هنا..  
سأبقى حيثما أشاء.. وأنت؟  
فأجابها:

- أنا لن أعود إلى المنطقة الشرقية مجددًا.. سأظل هنا حتى أخرج  
من زيكونيلا.. ثم نظر إلى «يامن» فابتسم:  
وأنا أستطيع أن أجد عملًا هنا.. ويكفي أن أظل بجوارك،  
وبجوار صديقي إباد.. حتى تحدثت «أسيل» مجددًا:  
يجب أن نعود إلى المسكن الآن حتى لا يرتاب هؤلاء الجنود بنا..  
وهناك نستطيع التفكير بعد أن نتناول طعامنا..  
فنطق «خالد»: - حسنًا



عاد «خالد» و«يامن» و«أسيل» إلى المسكن المخصص لهم،  
وصاحبهم «إباد».. ثم تناولوا طعامهم الذي أعدّه مضيفهم، حتى  
انتهوا منه فجلسوا ليفكروا من جديد، ونطق «خالد» يائسًا:

- وصولي للرداب من خارج زيكولا متحيل.. ووصولي له  
عبر سور زيكولا متحيل.. ثم زفر زفرة قوية وصمت.. حتى ابتسم  
«أسيل»:

- ستجد الحل يا «خالد».. لن يضيع تعبك هباءً.. وابتسم «يامن»:  
- نعم يا «خالد».. ستجده.. لقد قطعت شوطاً كبيراً.. لا بد وأن هناك  
حلاً.. ثم نظر إلى «إياد»:

- يا صديقي.. إنني أعلم منذ صغرنا كم أنت بارع في إيجاد الحلول..  
فكر معنا..

فأكمل «خالد» إليه:

- فكر معنا يا «إياد».. إن وجدت الحل سأعطيك من ذكائتي ما  
استنفدته في تفكيرك..

فابتسم «إياد»:- حسناً سأفكر.. ولن أتركك حتى أجد لك حلاً..  
ثم صمتموا مجدداً، وكل واحد ينظر إلى الآخر.. لا يجد ما يقوله،  
و«أسيل» تنظر إلى «خالد».. تخشى أن تقول إنها لا تجد حلاً حتى لا  
يزداد اليأس بقلبه، و«يامن» يضرب برأسه، ويجدتها:

-فكرّي..

حتى نهض «إياد»:

- عليّ أن أغادر الآن..

فأله «يامن» مندهشاً:

- أين تذهب؟!

فأجابه:- إن الشمس قد قاربت على الغروب الآن، سأترككم، وسأعود

إليكم لاحقاً.. ثم نظر إلى «خالد»:

- أتمنى أن أعود فأجذك قد وصلت إلى بابك..

ثم غادر، وظل الثلاثة كما هم.. يفكرون، والوقت يمر.. و«خالد»

يقبّ في كتابه مجدداً.. يود أن يجد شيئاً يصل به إلى سردابه، ولكن دون

جدوى.. حتى حلّ الظلام، وأثيرت المنطقة الغربية وببونها بالنيران..

فنظر «خالد» إلى «أسيل»:

- عليك أن تذهبي إلى حجرتك الآن.. لا بد أن تنالي قسطاً من الراحة..

ثم نظر إلى «يامن»:

- وأنت أيضاً يا «يامن»، خذ قسطاً من الراحة.. لن يفيدنا إجهادنا

اليوم.. لقد تعبنا بما يكفي.. سنستريح الآن، ونكمل تفكيرنا غداً..

فأنته «أسيل»:

- وأنت ستنال راحة؟

فابتسم «خالد»:

- لا.. سأظل أفكر.. لن يغمض لي جفن ورأسي يفكر بذلك المخرج

إنه مصري يا «أسيل»..

فابتسمت:- حسنًا.. وأنا سأظل أفكر معك..

فنظر إليها:- أنا لا أريد أن أزيد من تعبك اليوم.. أعلم أنك

تريدين مساعدتي، ولكن لديك عملك غدًا، لا يجب أن تغفليه.. يجب

أن تظلي طبيبة زيكولا الأولى..

فابتسمت «أسيل» وكادت تنجه إلى حجرتها.. حتى دخل «إياد» فآله

«يامن» على الفور:

- هل وجدت الحل؟!

فسألهم أن يجلسوا.. ثم نظر إلى «خالد»:

- حين خرجتُ من هنا، انجهتُ إلى حيث كنا.. بالقرب من سور

زيكولا.. ثم صمت، وأكمل:

- لم أجد لك إلا ثلاثة حلول..

فنظروا إليه متلهفين.. فأكمل:

- الحل الأول: أن تظل في زيكولا طوال حياتك..

- والحل الثاني: أن تنتظر حتى يوم زيكولا وتخرج إلى مصيرك، وتحاول

أن تصل إلى باب سردابك، وهذا يعني هلاكك أيضًا..

فصاح به «يامن» غاضبًا:

- هل جئت لتهزأ بنا.. نحن نعرف ذلك..

فابتسم «إياد»:

- انتظر.. هناك حل آخر..

فسأله «خالد» متلهفًا:

- أيه هو؟!

فتحرك «إياد»، وجلس بجواره، وتحدث بصوت هادي:

- أن تعود إلى بلدك قريبًا.. ثم أكمل بعدما صمتت برهة:

- ولكن بعد أن تفقد الكثير من ذكائك..

فسأله «خالد»:

- ماذا تعني؟!

فأبستم «إياد» وقال:

- حسنًا.. تعالوا معي..



بعدها خرج الأربعة مجددًا من دار ضيافة الطيبة وماعدتها.. يقودهم «إياد».. حتى وصلوا إلى حيث وقفوا منذ ساعات قليلة أمام سور زيكولا، والذي قد لمع مع انعكاسات إضاءة النيران القريبة منه، وجعلت من ضلعيه وزاويتيته منظرًا بديعًا.. كان ليشال إعجاب «خالد» لولا انشغاله بمصير خروجه.. ثم نظر «يامن» إلى «إياد»، وسأله:

- كيف يخرج «خالد» من زيكولا؟

فأجابه «إياد»:

- انظروا هناك..

ثم أشار إلى بيت من طابقين يبعد قليلًا عن بيوت المنطقة الغربية، ويقرب من سور زيكولا.. لا يفصله عنه سوى مائة من الأمتار ثم أشار إلى الجنود المتواجدين أمام السور، وأطهم أن ينظروا إليهم أيضًا.. فاندھشت «أميل»:

- أنا لا أفهم شيئاً..

وتبعها «يامن»:

- وأنا أيضاً..

و«خالد» مازال صامئاً حتى أكمل «أياد»:

حين تركتكم جنت إلى هنا.. ووقفت كما نحن واقفون الآن.. ولم  
أضع أمامي سوى أن يخرج «خالد» إلى باب سردابه خارج هذا السور..  
مهما كانت التحديات.. حتى أصابني العطش فذهبت إلى ذلك البيت..  
ثم أشار إلى البيت مجدداً، وأكمل:

- كي أشتري منه كوباً من الماء

وهناك فوجئت بأن ذلك البيت لا يمكن به أصحابه الآن..  
يعيش به خادمه بمفرده.. أما أصحابه فهم من التجار الذين يبيعون  
بضائعهم إلى المدن الأخرى غير زيكولا، وخرجوا يوم زيكولا السابق،  
ولن يعودوا إلا يوم فتح باب زيكولا مع يوم زيكولا..  
فقاطعه «خالد»:

- أنا لا أفهم شيئاً.. ماذا يعنيننا كل هذا؟! !!

- فأجابه:

انتظر.. أنا أعمل في تلك المنطقة منذ سنوات عديدة، وأعلم جيدًا  
خفايا تلك المنطقة وأرضها.. سأخبركم سرًا نعلمه - نحن من نعمل  
بتكسير الصخور هنا:-

إن العمل هنا في تكسير الصخور ليس بصعوبة العمل في المنطقة  
الشرقية.. إن الصعوبة هنا تكمن في الطبقة الخارجية من الأرض فقط..  
أما إن تجاوزت تلك الطبقة يكون الحفر بها، وتكسير صخورها ليس  
صعبًا على الإطلاق فلمعت عيننا «خالد»:

- تقصد؟!

فأكمل «إياد»:

نعم يا صديقي.. إن هذا البيت أقرب مكان إلى زاوية سور  
زيكولا.. وإن كانت زاوية هذا السور، أو رأسه كما نحب أن نسميها..  
هي التقاء ضلعي سور زيكولا.. بالطبع ستكون أضعف نقاط الجزء  
العميق منه ثم ابتم، وأكمل:

وإن كان سيتمك حماته من الاقتراب منه.. فأنا أعرف من  
يستطيعون أن يحفروا لك نفقًا بيرة.. من ذلك البيت إلى أسفل ذلك



السور.. حتى تخرج إلى سردابك دون أن يشعر حماه أو أهل منطقتنا  
بشيء.. ثم ضحك:-

أعلم أنني هكذا خائن لزيكولا.. ولكنك صديق صديقي الحميم..  
فصاحت «أبيل»:

- إن هذا جنون..

وصاح «يامن»:

- نعم.. إنك مجنون يا «إياد»..

فأشار إليهم ، ورفع كفيه:

- هل هناك من حل آخر؟! ثم نظر إلى «خالد»:

لن تأتيك تلك الفرصة مجددًا.. إن عاد أصحاب هذا البيت فلن  
تستطيع دخوله على الإطلاق.. أما ذلك الخادم حين استدرجته في  
الحديث أخبرني أنه قد يعطي البيت لمن يعطيه مائتي وحدة حتى يوم  
زيكولا حين يعود سيده ومن معه..

فصاح «يامن» مجددًا:

- مائتي وحدة؟!!

ثم سأله «خالد»، وقد تجاهل صيحة «يامن»:

- ومن يحفرون النفق؟

فابتسم «إياد»: - أعلم ثلاثة من العمال الماهرين.. قابلتهم من قبل،  
إنهم بارعون في تلك الأعمال.. إنه عمل يحتاج إلى براعة، وقد يتجاوز  
معهم حفر هذا السرداب عشرين يوقاً.. هذا لأنهم سيعملون نهائياً فقط  
حتى لا يسمع ضجيجهم أحد مع ضجيج السوق.. ولكن عليك ألا  
تنسى أنهم سيأخذون أجراً إضافياً مقابل صحتهم.. ثم صمت، وأكمل:  
- قد يأخذون ثلاثمائة وحدة..

فقاطعه «خالد»:

أنا ممكن أحضر معهم، وأوفر أجر عامل، وكذلك «يامن»:

فابتسم:

كما أخبرتك.. إن حفر النفق يحتاج إلى براعة نقتندها.. وأعتقد  
أنهم لن يريدوا مساعدتك لهم.. لن يودوا أن يشاركهم أحد أجرهم..  
إنهم سيأخذون الثلاثمائة وحدة.. سواء عملت معهم أو لا، حتى  
تحدثت «أسيل»، ونظرت إلى «خالد»..

«خالد» هل جئت؟! .. ما نتي وحدة، وثلاثمائة وحدة؟! .. تفقد

خمسمائة وحدة من ذكائك؟!!

فصمت «خالد»، ولم يجيبها.. حتى نطق «إياد»:

- لم أجد إلا ذلك الحل أيتها الطيبة.. ثم ابتسم:

- يمكنك الآن أن تعرفي كم استنزفت من ذكائني اليوم.. عليك أن

تخبري به صديقك كي يعوّضه لي..

فحدثه «خالد» منسجماً:

حنّياً «إياد».. سأعطيك ما تريد كما وعدتك.. ثم نظر إلى «أسيل»

مجدداً، وسألها في هدوء:

- «أسيل».. أريدك أن تخبريني، كم أمتلك من وحدات الذكاء الآن..



صمت «أسيل» قليلاً بعدما طلب «خالد» منها أن تحدد له نسبة مخزونه من الذكاء، ثم نظرت إليه، وتأملت كثيراً، ثم أمسكت برأسه، وأمسكت ثية من جلده بين أصبعيها:

«خالد».. إن مخزونك الآن لا يتعدى ستائة وخمسين وحدة.. وقد يكون ستائة فقط بعد استنزافك الكثير من الوحدات في تفكيرك.. فصمت ثم سألها مجدداً

-وكم يتبق لامرأة الحاكم حتى تضع مولودها؟  
فأجابته:

-أعتقد أنه يتبقى شهران وعشرون يوماً أكثر أو أقل بأيام..  
بعدها نظر إلى «إياد»:

- هل سيستغرق حفر هذا النفق عشرين يوماً فقط؟  
فابتسم «إياد»:- أعتقد ذلك.. وإن شئت أحضرت هؤلاء العمال من الغد..

فصمت «خالد»، وقد طال صمته تلك المرة ثم نظر إليهم:

- أريدكم أن تتركوني وحدي الآن..

فابتسمت «أسيل»:

- «خالد».. أريد أن أبقى معك..

فوضع وجهها بين كفيه برقة:

أريد أن أكون وحدي يا «أسيل».. عليك أن تعودني إلى المسكن

مع «يامن» الآن.. أريد أن اتخذ قراراً بمفردي.. ثم نظر إلى «يامن»:

اصطحب «أسيل» إلى المسكن.. وأنا سأتابعكما لاحقاً..

ثم نظر إلى «إياد»، وشكره على تفكيره في إيجاد الحل له.. ثم غادروا

جميعاً..



غادر «إياد» ومع «يامن» و «أسيل» التي ظلت تتلفت وهي تسير

مباعدة عن «خالد»، وتنتظر إليه حيث يجلس وكأنها لم تُرد أن تفارقه

حتى اختفى عن نظرها.. بينما جلس هو على صخرة عريضة أمام ذلك

السور.. ينظر إليه ويفكر فيها أخيراً به «إياد»، ويتحدث إلى نفسه.. إما

البقاء في زيكولا، أو العودة إلى بلده.. وهو غيبي.. ويسأل نفسه:

هل يجد ذلك السرداب حقاً إن عبر هذا السور أم أنه سراب  
سيظل يطارد.. ثم يتسم، ويتحدث إلى نفسه، وكأنها شخص أمامه  
يتحدثه ويقنعه:

أنت شايف إن فيه حل تاني؟.. زي ما قلت قبل كدة ميقاش  
فاضل غير المجازفة.. ثم ضحك وأكمل مناقشته لذاته:

- قررت أبه يا «خالد»؟.. ترجع بلدك ومعاك ميت وحدة ذكاء بس..  
ولآ تبقى هنا طول حياتك؟

- لو وافقت على اللي قاله «إباده» لازم تحس بلدة اللحظات دي.. لأنها  
ممکن تكون آخر لحظات ذكاء تعيشها..

ثم عاد بجسده للخلف.. وأسند ذراعيه خلفه، وتذكر جده حين  
كان يتسم، ويداعبه صغيراً.. ويخبره بأنه ذكي.. حتى كبر، وعاد إليه  
يوماً بعدما لم يجد وظيفة بشهادته.. وأخبره أنه لا فائدة لذكائه في بلده..  
ماذا يفعل به، لاشيء.. يتسم، ويتحدث إلى نفسه بصوت مسموع:

مش هتفرق كبير لما أرجع لبلدي.. الذكي ميختلفش عن الغبي  
كثير.. يشعر كم اشتاق إلى جده، وإلى رؤيته، ويعلم أنه لم يشغله عن

التفكير فيه سوى سعيه للعودة إليه من جديد... وينظر إلى السور،  
ويحدثه بصوت هامس:

- أنت الحاجز الوحيد بيني وبين اللي بحبهم، ثم نظر إلى البيت الذي  
يكنه الخادم..

- وأنت الحل الوحيد اللي هيخليني أشوف اللي بحبهم.. ثم أمسك  
برأسه ومرر شعره بين أصابعه ، وتحدث:

- أصعب قرار بحياتي.. أصعب قرار.. هلقرر أيه يا «خالد» ؟ . هلقرر  
أيه؟

وظل هكذا لا يتوقف عقله عن التفكير.. حتى اقترب الليل من  
الزوال، وبدأ خيط النهار يظهر.. فنهض واتجه إلى المكن الذي يسكن  
به «يامن» و«أسيل».. وما إن وصله حتى دلف إلى غرفة «يامن» فوجده  
نائما، فهمس إليه:  
«يامن».. «يامن»..

فلم يستيقظ فتكره بيده حتى فتح عينه.. وكاد يتحدث فأشار إليه  
«خالد» أن يصمت ، وتحدث بصوت منخفض:

«أسيل» في الغرفة المجاورة.. ولا أريدها أن تصحو.. إن كانت نامت من الأساس..

فنهض «يامن»، وجلس على سرير» فانحما عيني» بصعوبة.. حتى أكمل «خالد» بصوته المنخفض:

- أريد أن أتحدث إليك..

«يامن»: - حنًا..

فأكمل «خالد»: - لقد اتخذت قرارى..

فنظر إليه «يامن».. ينتظره أن يكمل حديثه سريعًا.. حتى أكمل:

- أرى أن «إياد» على حق.. سأعبر سور زيكولا من خلال النفق..

فقاطعه «يامن»:

- «خالد».. وذاكوك؟

فأجابه:

لقد فكرت كثيرًا في ذلك.. لقد أخبرنا إياد أن حفر ذلك النفق سيستغرق عشرين يومًا.. وسيعطينا ذلك الخادم البيت حتى يوم زيكولا، حتى يعود أصحابه إن عادوا..

- فقاطعه «يامن»:



نعم سيعودون.. هكذا نهار زيكولا، سيطير خبر يوم زيكولا قبله  
بأيام.. فيستعد كل من يريد العودة، حتى يُفتح باب زيكولا  
فيدخلونها..

- فواصل «خالد» حديثه:

هذا ما أقصده... يتبقى على يوم زيكولا شهران وعشرون يومًا..  
سُحِقَر ذلك النفق، ولكنني لن أغادره حتى يوم زيكولا.. إنهم ثمانون  
يومًا.. إن عملت هنا مقابل ست وحدات باليوم، سأوفر حتى يوم  
زيكولا ربما ربعمائة وثمانين وحدة.. مع ما تبقى لدي من المائة وحدة..  
سيكون لدي ما يقرب من ستمائة وحدة.. أي أنني لن أختلف كثيرًا  
حين أخرج من النفق.. وستنفعني كثيرًا تلك الوحدات حين أصل إلى  
سرداب فوريك.. فابتسم «يامن»: إنَّه قرار حياتك يا صديقي.. ولا  
دخل لي به..

ثم أكمل:

إنك ذكي حقًا يا «خالد»، وكم أنا مرور بذلك.. فأنت متبقى  
معنا شهرين آخرين.. خشيت أن ترحل بعد عشرين يومًا فقط..  
فابتسم «خالد»:

هذا إن وضعت زوجة الحاكم ذكرًا.. ربما تطول المدة إن وضعت  
أنثى وانتظرنا يوم زيكولا في مواعده الأساسي بعد خمسة شهور.. فابتسم  
«يامن»:

- الآن أتمنى أن تضع أنثى..

فابتسم «خالد» ثم زالت ابتسامته:

أردت أن أحدثك بعيدًا عن «أسيل» لأنني لا أريد أن أسب لها  
الكثير من التعب.. وأخشى أن يؤثر ذلك على عملها كطبيبة زيكولا  
الأولى.. اليوم سأفقد ذكائي.. سأصبح في عداد أغبياء زيكولا  
وفقرانهم.. لن أستطيع التفكير.. وإن فكرت ربما ستكون قراراتي غيبة  
ثم نظر إليه، وأمسك بذراعيه:

- «يامن».. من اليوم أنت من ستأخذ أي قرار يخصني..

فسأله «يامن» مندهشًا:

- أنا؟؟

فأجابه «خالد»:

نعم.. أخشى أن يكون تفكيرى بغياء يسبب الكثير من المتاعب..  
ولهذا سأحتلك مسئوليتي بعد اليوم.. سأطيعك مهما كان قرارك..  
بالطبع ستكون أذكى مني.. فصمت «يامن»، وفرك شعره..  
- إنها حقًا مسؤولية كبرى..  
فأكمل «خالد»:

ما عليك سوى أن تجعلني أعمل.. حتى أسترجع ذكائني.. فلن  
فعلت ذلك فلن أنساء طوال عمري ثم هدا صوته، واقترب منه..  
- أريد أن أخبرك بشيء آخر..  
«يامن».. إنني أحب «أسيل».. وأخشى أن أكون غيًّا فتبعد  
عني.. سأطيعك فيما نراه أن أفعله تجاهها أيضًا.. فرد «يامن»:  
- أرى أنها تحبك أيضًا، وتحبك كثيرًا..  
- فابتسم «خالد»:

أعلم ذلك.. ولهذا فكّرت أن آخذها معي إلى أرضي.. لقد فكرت  
كثيرًا في ذلك.. ولكنني أتردد أن أخبرها بحبي لها، وقررت أن أخبرها  
بذلك حين أجد الطريق مهيأً لعودتي إلى بلدي.. سأتركك وقتها تخبرني  
ماذا أفعل..

فابتسم «يامن»:

- أتمنى لكما السعادة يا صديقي..

فابتسم «خالد»:

حنًا لنهض.. علينا أن نذهب إلى «إياد».. وأعتقد أن «أسيل»

قد استيقظت.. لا تخبرها بشيء مما قلناه.. فابتسم «يامن»، وقد نهض:

- حنًا..



استيقظت «أسيل» فوجدت «خالد» و«يامن» في انتظارها،

فسألت «خالد» على الفور:

- هل اتخذت قرارك؟

- فابتسم «خالد»:

نعم.. لقد قررت أن أجازف، وأفعل ما أخبرنا به «إياد»..

فصمت «أسيل» حتى أكمل:

وسأنتظر حتى يوم زيكولا حيثما كان.. بعد ثمانين يومًا أو بعد

خمس أشهر.. وسأعمل كي أسترجع جزءًا كبيرًا من ذكائني حتى

عودي.. فسألته، وقد بدا الحزن على وجهها:

- ألم نجد حلًا آخر؟.. فهزّ «خالد» رأسه نافيًا.. فألته مجددًا:

ولماذا لا تنتظر حتى تعمل أولاً فيزيد غزوناك.. ثم تحفر نفقك قبلها بأيام، وتحافظ على ذكائك.. كما فعلت حين اشتريت كتابك؟.. فابتسم «خالد» ابتسامة حزينة:

فكرت في ذلك.. ولكنني أصبحت أعلم جيدًا طبيعة أهل زيكولا، ومدى انتهازهم.. كلما اقتربنا من ذلك اليوم.. يطلب من يحفرون النفق الكثير من الأجر.. ربما يطلبون ضعف الثلاثمائة وحدة أو ضعفين.. ثم نظر إليها، وابتسم:

- سأكون بخير يا «أسيل».. سأكون بخير.. أريدك فقط أن تكوني معي فابتسمت «أسيل» حتى تحدّث «يامن»:

- هيا.. علينا أن نجد «إياد»..

ولم يكذب يكمل جملته حتى وجدوا «إياد» يدخل عليهم فابتسم «يامن»:

- كنا في طريقنا إليك..

فضحك «إياد»:

- أعلم ذلك.. ولذا أردت أن أوفر القليل من الوقت.. ثم نظر إلى

«خالد»

- هل اتخذت قرارك؟

- فرد «خالد»:

- نعم... وسأترك لك المسؤولية لمتابعة ذلك النفق، وسأعطيك مقابلًا...  
ولكنه ليس كبيرًا، وليس الآن...

- فابتسم «إياد»:

- لا بأس.. ثم أكمل:

كنت أعلم أنك ستقرر ذلك.. ثم تحرك خطوات إلى الخارج، وعاد  
ومعه فتى ملابسه بالية، ثم أشار إلى «خالد»، وحدث الفتى:  
- إنه من يريد أن يستأجر بيت سيدك..  
فنهضت الفتى:

حسنًا، ولكن سأكررها.. إلى يوم زيكولا فقط.. بل اليوم السابق  
له حتى يوم يفتح باب زيكولا.. إن عماد سيدي فلن يترككم لحظة  
واحدة بيته.. وربما يقتلني إن علم أنني من أدخلتكم بيته..  
فأومأ «خالد» إليه برأسه موافقًا دون أن يتحدث ثم نظر إلى «إياد»:

- ومتي يأتي عمالك؟

فهمس إليه «إياد»:

- سيأتون بعد قليل.. لا تحير الفتى بها ستفعله أسفل بيت سيده..  
وبها يضع كل شيء.. إن علم بذلك.. سيأتون بعد أن يرحل.. بعدها نظر  
- «خالد» إلى الفتى:

- حنا.. أستاذك منك اليت حتى يوم فتح باب زيكولا مقابل ماتي  
وحدة..

فابتسم الفتى وأخرج مفتاحا حديديا كبيرا:

- وهذا مفتاح بيت سيدي..

وما إن أخذه «خالد» حتى شعر بألم شديد برأسه.. فنظرت إليه  
«أسيل» في لفة، واقتربت منه، بعدما أمسك برأسه:

تماسك.. أرجوك تماسك.. أعلم أن اليوم شاق عليك.. فلم يرد،  
وظل ممكًا برأسه، وبدأ شحوب جلده يزداد.. حتى سأله مجدداً:  
«خالد».. هل أنت بخير؟

فأجابها «خالد» بصوت منخفض:

- نعم..

ولم يترك رأسه حتى مر قليل من الوقت.. وقد خرج «إياد» وعاد  
مجدداً، وتحدث إليه:

لقد أتى زعيم العمال الذين سيحفرون ذلك النفق.. ولكنه يريد أن يأخذ الثلاثمائة وحدة دفعة واحدة.. هل ستعطيهم أجرهم دفعة واحدة كما طلبوا؟

- فنطقت «أسيل» على الفور:

- لا.. لن يدفع لهم ثلاثمائة وحدة الآن..

فأمسك «خالد» بيدها.. ثم تحدث إلى «إياد»:

- هل يأخذون أجرهم دائمًا هكذا؟

فرد «إياد»:- نعم.. وهذا ما سيجعلهم يكتمون أمر ذلك النفق..

الذي قد يؤدي بحياتنا جميعًا..

فنطق «خالد» في صوت هادئ:

- حسنًا.. سأعطيهما ما يريدون..

فصرخت إليه «أسيل»:

- «خالد».. إن هذا قد يؤدي بحياتك..

فابتسم إليها «خالد»:- إنني قوي.. سأدفع لهم ما يريدون، سواء

الآن أو بعد ذلك.. ولا أريد أن يخبروا أحدًا.. فتحدث «إياد»:

حسنًا.. سأدخله إليك الآن، ثم أذهب معهم إلى ذلك البيت

لأنهم سيبدأون عملهم من اليوم.. وأنت ستواصل عملك.. وستجد



نفك كاملاً بعد عشرين يوماً.. وقد أكدوا لي ذلك أيضاً.. وبعد أن تغادره - متى شاء - سأجعلهم يملأون جزءه القريب من البيت بالصخور مجدداً.. وأتني ألا يثير رغبة صاحبه حين يعود إليه.. حتى إن حدث ذلك فلا يهنا سوى أن تغادر وحسب.. فحدثه «خالد»:

- حسناً.. أدخله..

فخرج «أياد».. وعاد مجدداً، ومعه رجل ضخم شعره مجعد، وشاربه كثيف، وشفته غليظتان، ويده آلة حفر يدوية سنّها حديدي مدبب، وتخرج منه عصا خشبية سميكة.. ثم نطق بصوته الغليظ

- إننا نريد ثلاثمائة وحدة الآن..

فحدث إليه «خالد»:

- لا أريد أن يعلم أحد بذلك أبداً..

فرّد الرجل، وقد تقوست حاجباه:

- حسناً، كما تريد.. إننا نعلم كيف نصون السر جيداً..

فابتسم «خالد»: - حسناً، لك ما تريد..

فابتسم الرجل، وهمّ ليغادر قائلاً:

- سيبدأ العمل اليوم.. وسترى كم نحن بارعون..

ثم غادر، ومعه «أياد» الذي أخذ المفتاح الحديدي معه.. أما «خالد» فأملك رأسه من جديد، وتزايدت ضربات قلبه، وتسارعت

أنفاسه، وزاد شحوبه للغاية، وشحبت شفاهه، وأحمرت عيناه، ونهض من مكانه، وسار مترنحاً بين أرجاء المكان، ونظر إلى «يامن» و«أسيل» في ذهول، وترنح مجدداً، وأمسك برقبته كأنه يخشى، وقد برزت عيناه، و«أسيل» تناديه وقد تاقطت دموعها:

«خالد».. عليك أن تصمد.. لم يفعل أحد من قبل مثلاً فعلت.  
«خالد».. ستصمد.. إنك قوي.. أعلم أنك ستصمد.. ستصمد..  
ثم أمسكه «يامن»:

«خالد».. ستعود إلى بلدك.. ستعود قريباً كما كنت.. ستسرجع ثروتك..

و«خالد» ما زال يتحرك، ويهذي، ولا يحس بشيء من حوله، وينظر إلى ذراعه التي أصبحت صفراء شاحبة، وإلى كفيه اللتين ارتعشتا قليلاً.. ثم أراد أن يتجه نحو الباب، وما إن تحرك خطوات نحوه حتى سقط على الأرض، وظل جسده يتفرض، وقد ضمت «أسيل» رأسه إلى صدرها، ورجلاه تنتفضان بقوة، حتى هداًناً رويداً رويداً، وأغمض عينيه.. فنظرت «أسيل» باكية إلى «يامن»:

كنت أعلم أن ذلك سيصيه.. ولكني لم أعلم أنني لن أستطيع أن أراه هكذا.. وزادت دموعها، ومررت يدها فوق شعره، وأكملت:

إن اليوم سيكون أصعب أيامه في زيكولا.. إن غزونه الآن لا يزيد  
عن مائة وحدة.. عليه أن يأخذ قسطاً كبيراً من الراحة اليوم..  
فرد «يامن» :

حسناً.. سأتركه ينام حتى الغد، وأنا سأذهب كي أرى عملاً  
الجديد.. لا بد وأن نعمل من الغد.. لقد أصبح هدي الآن أن يستعيد  
«خالد» ذكاه قبل أن يغادر زيكولا.. وسأتابع مع «إياد» أيضاً حفر  
ذلك النفق.. فابتسمت «أسيل»، وما زالت دموعها على خديها  
- حسناً.. عليك أن تحمله إلى سرير.. الآن.. وأنا سأظل بجواره حتى  
تعود..



غادر «يامن» بيت ضيافة الطيبة بعدما حمل «خالد» إلى سرير..  
وترك بجواره «أسيل» التي ظلت تنظر إليه، وتحاول أن تتمالك نفسها  
من البكاء مجدداً، وتسكب القليل من الماء البارد على يدها ثم تمررها على  
وجهه وعلى لحية الناعمة، ثم على شعره الناعم.. و«خالد» مُغلقة  
عيناه، ويهذي بكلمات غير مفهومة، و«أسيل» تنظر إليه، وتذكر حين  
اصطدم حصان عربتها به ورأته لأول مرة.. ثم تذكر حين قرأت

كلماته التي كتبها عنها، وأنها حورية زيكولا، وتمسح مجدداً وجهه بالماء،  
وابتسمت حين تذكرت حديثه إليها حين رأى نجماً لامعاً فريداً،  
وأخبرها بأنه قد سماه «أسيل».. تشعر بأنها تراه أمامها كما رآته حين  
وقف أمام عمال المنطقة الشرقية كفاندهم، وجعلهم -بكلمات منه-  
يتخلّون عن خوفهم، ويتحدّون ضدّ أخذي وحدات الحماية.. وبدأت  
تتحدث إليه بصوت هادي:

- ستكون على مايرام يا «خالد».. ستكون بخير

ثم نهضت لتحضر المزيد من الماء، فوجدته يهذي، ويعلو صوته:  
جدي.. «منى».. «منى».. «منى».. جدي

فتوقفت قدماها حين سمعته.. ثم أكملت طريقها لتحضر الماء..  
حتى عاد «يامن»، وظلّ بجواره ساعات طويلة دون أن يغفّر لها  
جفن.. حتى مرّ ذلك اليوم..

في صباح اليوم التالي، فتح «خالد» عينه فوجد «أسيل» و«يامن»  
بجواره فضحك، فألهم:

- لماذا تجلسون هكذا؟!

فابتسم «يامن»، وابتسمت «أسيل»، وردّت:

- لقد أصابنا القلق فحسب..

قصت «خالد»، ولم يتحدث بعدما نظر إلى ذراعه ثم نظر إلى

«يامن»، وحذّته بصوت هادئ:

- هل بدأوا العمل؟

فأجابه:

- نعم.. لقد بدأوا بالأمس..

فسأله مجدداً:

- ونحن لماذا لا نعمل معهم؟!!

فابتسم «يامن»:

- لدينا عملنا..

فصاح به في غضب:

- ولماذا تجلس هنا؟!

فابتسمت «أسيل»، ونظرت إلى «يامن»:

- نعم.. لماذا تجلسان؟.. هيا انهما إلى عملكما؟

فنظر «خالد» إلى «أسيل» مندهشاً:

- ألن نساعدك؟

فابتسمت:

كنت أتمنى ذلك.. ولكن مرضى تلك المنطقة أغلبهم من النساء..

لقد وجد «يامن» لك عملاً ستوفر منه ست وحدات باليوم

فركل «يامن» بقدمه:

- حسنًا.. هيا بنا إلى العمل..

فضحك «يامن»:

- حسنًا يا صديقي.. انتظر حتى أغسل وجهي بالماء.. أراك أصبحت

متسرّعًا قليلًا..



انجبه «خالد» مع «يامن» إلى عملهما الجديد في المنطقة الغربية..

و«خالد» يسير واجتأ، وقد بطأت حركته وكلما سار بمكان ما؛ تلفت

حوله كثيرًا، وظل يسأل «يامن» الكثير من الأسئلة والتي أجابها له

«يامن» من قبل، و«يامن» ينسم، ويحييه مجددًا.. حتى وصلا إلى عملهما

الجديد.

- فتحدث إليه «يامن»:

- هنا سنكر الصخور مثلها كنا نكرها في المنطقة الشرقية.. أتذكر؟

فرد «خالد»:

- نعم.. أتذكر

فأكمل «يامن»

حسنًا.. أعلم أن كفاءتك ستكون أقل.. ولكن ما عليك سوى أن

تفقدني في عملي.. إنه عمل لا يحتاج إلى ذكاء.. وحين تنتهي من عملنا

سننال أجرنا.. ثم نذهب إلى «إياد» لنرى نفقك يا صديقي..

بدأ «خالد» يعمل مع «يامن».. وكانت كفاءته أقل كما أخبره..

وكلما اشتد عمله زاد تعبهُ، وإنهاكه، وأراد أن يستريح.. فيحدثه «يامن»

بأن يعمل مجددًا، ويحمّسه:

هيا يا «خالد».. هيا.. إنك بحاجة إلى كل وحدة.. فيعمل مجددًا،

ويحاول أن يتنافس «يامن»، ولكنه لا يستطيع.. فيهدأ «يامن» من عمله،

ويكسر مثله ببطء.. ثم يوحى إليه بأنه من تفوق في تلك المناقصة.. حتى

انتهيا من عملهما، وأخذوا أجرهما، واتجها إلى ذلك البيت الذي

استأجره.. فوجدوا «إياد» هناك بمفرده، وعمال الحضر قد انصرفوا،

فأله:

«خالد» في غضب:

- أين العمال؟

فأجابه «إياد»:

إنهم قد انصرفوا.. لن يستطيعوا أن يعملوا مع هدوء الليل.. إن ضجيج النهار يستر خلقه ضجيج الحفر..

- فصاح به «خالد» غاضبًا:

-إننا نريد أن نرعى..

فأشار «يامن» إلى «إياد» بأن يُهدأ من حديثه.. وأن «خالد» ليس كطبيعته، ثم أمسك يده، وتحرك بهما إلى إحدى غرف الطابق السفلي بالبيت:

انظرا.. لقد تخلصوا اليوم من أرضية تلك الغرفة، ومعها الطبقة الصخرية الصلبة.. إنها أصعب ما في الأمر.. بعد ذلك اعتقد أن الحفر سيكون سهلاً.. وسيتهي في موعده بعد عشرين يومًا.. ثم نظر إلى «خالد»:

اطمنن.. سأجعلهم يعملون ليلاً أيضًا، ولكن مع اقترابهم من نهاية النفق.. ثم ضحك:



من سيزيل تلك الصخور والرمال التي سيخرجونها من النفق،  
غيرهم؟!!

- فهذا «خالد» ، وهم للمخادرة:

- افعلوا ما تشاؤون.. ثم نظر إلى «يامن»:

- «يامن».. أريد أن أعود إلى المسكن..

- فابسم إليه «يامن» في هدوء:

- حسنًا يا «خالد».. سنعود.. ثم نظر إلى «إياد»:

- «إياد».. إن مصير «خالد» مصيري.. لن أوصيك..

- فضحك «إياد»: - لا أنسى أنني سأنال أجرًا متابعه هؤلاء العمال..



توالت الأيام يومًا تلو الآخر، و«خالد» يعمل مع «يامن»، ويترك  
كل ما يريد أن يأخذ قرارًا بشأنه إليه ولا يناقشه بشيء.. ما يريد فقط أن  
يعمل، وينال أجره.. ثم يتجه إلى «إياد» ومن معه من عمال، وتأتي  
إليهم «أسيل» حين تنتهي من عملها، و«خالد» ينظر إلى ما يفعلونه من  
بعيد.. ولا يتدخل بعملهم مطلقًا.. وقد تعمقوا بالأرض.. مسافة  
عمودية قد تصل إلى مترين، ووضعوا بها سلمًا خشبيًا صغيرًا.. ومنها

بدأوا يحفرون نفقًا أفقيًا.. وقد اندهشت «أسيل» حين نزلت تلك الحفرة، ونظرت إلى النفق الأفقي.. وتعجبت من تلك البراعة التي يحفرون بها.. وكلّما حفروا مسافة معينة دَعَموها بالأخشاب حتى لا ينهار ما فعلوه.. وتنظر إلى «خالد» ضاحكة:

لقد بدأ العمل بحق يا «خالد».. ستحقق أملك قريبًا.. ثم نظرت إلى «إياد»، وطلبت أن تتحدث إليه بعيدًا عن «خالد» ثم سألته:

- هل سيتمطيع أن يسير بذلك النفق..

- فضحك «إياد»..

بالطبع لا.. إن ارتفاع النفق ليس كبيرًا.. لا يتجاوز مترًا.. عليه أن يزحف به.. أو يتحرك على ركبته.. إنها ليست مسافة كبيرة.. فصمت «أسيل» ثم سأله مجددًا:

- حسنًا.. وماذا عن تهويته.. أخشى أن يختنق داخله، فابسم «إياد»:

أرى أنك تحشين عليه كثيرًا.. لا أرى أنها مشكلة على الإطلاق..

إن النفق سيكون مفتوحًا من الجانبين.. وهذا بالطبع سيمرر الهواء..

أعلم أن النفق لا يصلح للسير به.. ولكن في الوقت ذاته لن يكون ضيقًا للغاية حتى يسبب اختناق «خالد».. فردت «أسيل»:

- أتمنى ذلك..

واستمرت الساعات في مرورها.. ومرت الأيام معها.. و«خالد»  
يواصل عمله.. والعمال يحفرون نفقه.. ويسرعون في عملهم دون أن  
يدري أحد بما يحدث تحت الأرض الخالية بين سور زيكولا والبيت  
القريب منه.. يحفرون نهائرا، ويتخلصون من صخور الحفر ليلاً..  
و«يامن» يزداد الأمل أمامه، وكلما نزل ذلك النفق، وزحف على ركبتيه  
أمتاراً به، ومعه شعلة من النار يضحك، ويتحدث إلى «خالد» الذي  
ينتظره عند فمحه ذلك النفق.. ويعلو صوته إليه:

انظر يا «خالد».. لم يعد سوى مسافة قليلة إلى سور زيكولا.. انظر  
يا «خالد».. ستخرج من زيكولا كما تريد.. و«خالد» يستمع إليه،  
ويتسم، ويتحدث إلى نفسه:

- سأخرج يا «يامن».. سأخرج..

وتمر الأيام أكثر وأكثر، و«أسيل» تنهي عملها كل يوم لتذهب إلى  
ذلك النفق.. فتجد «خالد» و«يامن» هناك فتجلس بجوارهما، ويداعبان  
«خالد» ولا يتركانه حتى يعود معها إلى ذلك المسكن.. دار الطبيب..  
بعدما رفض أن يسكن بالطابق العلوي بالبيت ذاته.. وقد وافقاه فيما  
أراد..

حتى جاء اليوم الثامن عشر من بداية الحفر، وكان «خالد» يجلس مع «يامن» بمفردهما، فتنظر إليه:

- «يامن».. لقد أخبرتك من قبل أنني أحب «أسيل».. فرد «يامن» مبتسماً:

- نعم..

فأكمل «خالد»:

لم يعد يتبقى على إتمام ذلك النفق ومروءه أسفل سور زيكولا سوى القليل.. وأنا أود أن أخبر «أسيل» بأنني أحبها.. وأن أطلب منها أن تأتي معي إلى بلدي..  
- فابتسم «يامن»:

- مازال هناك وقت حتى يوم زيكولا..

فصمت «خالد» ثم نظر إليه:

اعتقد أنني تأخرت كثيراً كي أخبرها بذلك.. أرى أن الوقت قد حان لتعلم كم أحبها..

فساله «يامن»:

-هل تريد أن تخبرها بذلك الآن؟

فأجابه:

-لا أعلم.. ما أعلمه أنني لا أملك من الذكاء سوى مااتي وحدة أو

أكثر بقليل.. وأخشى ألا أكون ذكيًا في حديثي معها..

فابتسم «يامن»:

-إنها تعلم من أنت يا «خالد».. وهي تحبك..

فابتسم «خالد» ابتسامة حزينة:

أريدك فقط أن تخبرني ماذا أفعل.. كنت أظن الأمر سهلًا..

ولكنني لا أجده بتلك السهولة.. أخشى أن يكون تواجدنا معي

تعاطفًا ليس حبًّا فصمت «يامن» قليلًا، ثم ضحك:

- حسنًا.. سأخبرك ماذا تفعل، ثم سأله:

- أين أوراقك التي كنت تكتبها؟

فأشار «خالد» إلى أغراضه:

- إنها هناك بين أغراضي..

فأله مجددًا:

- أكتبت بينها أنك تحب «أسيل»؟

فأجابه «خالد»:

- نعم..

فأله مبتأ:

- وهل قرأتها «أسيل»؟

فأجابه:

- لا.. إنها قرأت الأوراق الأولى فقط.. حين كنت أمدحها.. ولكنها لم

تقرأ أنني أحبها منذ دخولي إلى زيكولا..

فابتسم «يامن»:

حسنًا سأخذ تلك الأوراق، وسأجعلها تقرأها وستأكد من حبك

لها، ولن تنتظر حتى تذهب إليها.. أراهنك بخمسة وحدات من

الذكاء.. أنها حين تقرأ تلك الأوراق ستأتي إليك بسرعة وتقول..

أحبك يا «خالد»..

- فابتسم «خالد»:

حسنًا، افعل ما تشاء.. أما أنا فأريد أن أذهب إلى «إياد» ومن معه

من عمال.. الآن.. ثم أتحول بين شوارع المنطقة قليلًا.. لا أريد أن أنام

الليلة.. أشعر أنها ليلة مختلفة.. لم يعد سوى يومان على انتهاء العشرين يوماً التي أخبرني بها «أياد».. بعدها أخرج.. أما «يامن» فقد حمل أوراقه، واتجه بها إلى غرفة «أسيل»، وطرق بابها برفق.. ففتحت فابتسم، وأظهر إليها أوراق «خالد»، وتحدث:

إن «خالد» قد خرج ولا أعلم أين هو.. وأنا سأخرج الآن.. حين يأتي، أريدك أن تخبريه بأنني قد وجدت أوراقه مبعثرة.. ثم أعطاها لها، فابتسمت «أسيل»:

- حسناً سأعطيها لـ «خالد» حين يعود:

ثم أخذتها، وأغلقت بابها على الفور، وأسرعت إلى سريرها، وبعثرت الأوراق أمامها في سعادة.. تريد أن تقرأ ما كتبه «خالد» عنها.. وزادت من إضاءة غرفتها، وأمسكتهم ورقة ورقة.. وكلما انتهت من قراءة إحداهن تناولت الأخرى.. وظلت تقرأ ما كتبه «خالد» عنها في البداية، والذي قرأته من قبل، وأنها حورية زيكولا.. ثم بدأت تقرأ ما كتبه «خالد» عن زيكولا، وعن أهلها، وعن مناطقها.. حتى قاطع تركيزها الشديد صوت طرقات شديدة على باب غرفتها، وحين نهضت وفتحت بابها مجدداً.. فوجئت ببعض الجنود، وقائدهم يتحدث

- أيتها الطيبة.. إننا من حراس الحاكم.. لابد أن نأتي معنا على الفور..

- فسألته في دهشة:

- لماذا؟

فأجابها:

- لا أعلم سيدي.. لقد أمرني سيدي الحاكم أن آتي بك على الفور..

يبدو أن سيدي ليست على مايرام..

فهدأت «أسيل»:

- حنّ.. سآتي معاك..

ثم أغلقت باب حجرتها مرة أخرى، وبدلت ملابسها، ولممت أوراق «خالد» سريعاً لتحملها معها.. ولم تدبر أن هناك ورقة قد أسقطتها دون أن تشعر..



خرجت «أسيل» ممرعة مع حراس الحاكم.. وأرادت أن تخبر «خالد» أو «يامن» بأنها ستذهب إلى المنطقة الوسطى فلم تجد أي منهما.. فركبت العربية الفخمة التي جاءوها بها، وبدأت العربية في التحرك،



وهي تنظر عبر نافذتها لعلها تجد «خالد»، ولكن دون جدوى..  
فابتسمت، وحدثت نفسها:

-إن المنطقة الوسطى ليست بعيدة.. سأذهب إلى هناك، وسأعود على  
الفور..

ثم طلبت من قائد الحراس الذي كان يجلس أمامها في العربية أن  
يزيد من إضاءة المصباح النّاري كي تتمكن من قراءة باقي أوراق  
«خالد» التي أحضرها معها حتى تصل إلى قصر الحاكم.. وقد بدأت  
تقرأ ما كتبه مجدّدًا بينما تسير العربية، وقد بدأ السرور على وجهها.. حتى  
وصلت إلى آخر ورقة معها، وقد زادت ضربات قلبها حين وجدت  
«خالد» قد كتب بها أنه قابل فتاة أثناء عمله بتكسير الصخور تشبه  
«منى» حبيته، التي أحبها ست سنوات، وكادت دموعها تسقط حين  
انتهت الورقة، وقد كتب «خالد»: (ما أعلمه جيدًا أنني لم أحبّ غير  
«منى» طوال عمري)

وانتهت الأوراق معها، فحاولت أن تنمالك نفسها.. حتى شعر  
قائد الحراس بذلك بعدما بدأ التوتر على وجهها، ولمعت عيناها بالدموع  
وتسارعت أنفاسها، وكأن صدمة أصابتها فسأله:

- أهناك مكروه، سيدتي؟

فأجابته في حزن:

لا شيء... ثم نظرت عبر النافذة، ولم تحرك ساكناً.. في الوقت ذاته عاد «يامن» إلى المسكن مجدداً، وقد وجد فتاة تخرج من حجرة «أسيل» كانت تقوم بتنظيفها؛ فساها:

- أين الطيبة «أسيل»؟

فأجابته:

- إنني لا أعلم.. لقد خرجت مع جنود الحاكم.. ثم أكملت، وقد أخرجت ورقة صفراء:

- وقد نساقطت منها تلك الورقة يا سيدي..

فأمسك «يامن» بالورقة فوجد بها إحدى أوراق «خالد»، والتي كُتب بيدايتها: (لم أحب غيرها طوال عمري قبل أن آتي إلى زيكونا.. حتى وجدت «أسيل» التي يزداد شعوري كل يوم بحبها لي.. أما أنا فأشعر تجاهها بحب لم أشعر بمثله من قبل).

فظهرت خيبة الأمل على وجهه ثم سأل الفتاة مجدداً:

- ألا تعلمين لماذا جاءها جنود الحاكم في ذلك التوقيت المفاجئ؟

فأجابته:

- لا أعلم يا سيدي..



مر الوقت قليلاً، وقد خرج «خالد» إلى شوارع المنطقة الغربية..  
يسير في هدوء ليلها بعدما نزل ذلك النفق الذي أوشك على انتهائه  
وخرج منه.. يتمنى أن ينتهي حفرة، وأن تمر الأيام سريعاً، ويستكمل  
جزءاً من ذكائه حتى يخرج من زيكولا، وظل يسير، ويفكر هل قرأت  
«أسيل» أوراقه.. هل علمت بمدى حبه لها.. حتى فوجئ بالكثير من  
الجنود يقتربون منه ويحيطون به، ويمسكونه فسالهم على الفور:  
- لماذا تمسكون بي؟!.. إننى لم أفعل شيئاً..

- فأجابه قائدهم في غلظة:

- نعم.. إنك لم تفعل شيئاً.. ثم أكمل:

- لقد وضعت زوجة الحاكم ولدها الليلة أيها الفقير.. وسيكون يوم  
زيكولا بعد سبعة أيام من اليوم..

فصاح «خالد»:

- ماذا.. لا.. مازال هناك شهران على وضعها.. فضحك القائد ساخراً إلى جنوده..

- أرى أنه أفقر من قبلنا.. ثم سأله:

ألا تعلم أن هناك من يولدون بعد سبعة أشهر فقط، ثم أشار إلى جنوده، وقد استدار بحصانه:

- أمكوا به، وضعوه مع غيره من فقراء منطقتنا.. حتى يُعرضوا على أطباء زيكولا..



كان ما حدث من أمر الجنود صدمة بالنسبة لـ «خالد».. وقد وقعت كلمات قائد الجنود على سمعه كالصاعقة التي أنست كل شيء من حوله.. وحاول أن يتملص من الجنود المسكين به ولكنه لم يستطع، واقتادوه معهم إلى قصر كبير يوجد بالقرب من الطرف الشرقي للمنطقة الغربية.. ثم أدخلوه إحدى غرف القصر الخالية بالطابق السفلي.. وأوصدوا بابها الحديدي من خلفه، فأصبحت إضاءتها شاحبة يغلبها الظلام.. فجلس بأحد أركانها، ووضع رأسه بين يديه، وكان صدمته قد شلت تفكيره.. لكنه نهض مجدداً، واتجه نحو الباب الحديدي، وصاح:

- لا بد أنكم مخطئون.. لا بد أنكم مخطئون.. لا بد أن أعاد.. حتى سيكت فجأة حين سمع صوت من خلفه:

- تغادر إلى أين؟!



التفت «خالد» فوجد رجلاً يجلس بركن بعيد بالغرفة، ولم تكن ملامحه قد ظهرت حتى اقترب منه فبدأت ملامحه في الظهور شيئاً

فشيئاً، ووجدته رجلاً يبدو من هيته أنه في الأربعين من عمره.. يتخلل  
شعره الأسود القليل من الشيب، كما تخلل لحيته وشاربته .. وجده  
عريض، ولكنه يصغر «خالد» قليلاً فسأله:

- من أنت؟

فرد الرجل في هدوء:

- فقير مثلك..

فصمت «خالد» حتى سأله الرجل:

- لماذا لا تجلس؟!

فأجابته:

- أريد أن أخرج من هنا.. لا بد أن أخرج..

فابتسم الرجل وقال:

لينا نخرج جميعاً.. اجلس لا تضيع وقتك.. طالما جئت هنا لم يعد

لك أمل سوى أن يكون هناك من هو أكثر فقراً منك.. ثم تابع بعدما

صمت برهة:

- أو يكون لك حظٌّ مع الزيكولا..

فجلس «خالد» بجواره ثم سأله:

- ما اسمك؟

فرد الرجل: - أنا «جواد» ..

فأكمل «خالد»: - ألا يوجد غيرنا؟!

فأجاب جواد:

- انتظر .. ما زال أمامهم يومٌ آخر حتى يأتينا أطباء منطقتنا .. وإلى أن يأتي

الأطباء سيحضرون هنا الكثيرون من الفقراء .. ألم تشاهد تلك الأيام من

قبل؟!

فأجابه «خالد»:

لا .. إنني أشاهدها للمرة الأولى .. إنني لست من أهل زيكولا ..

فصمت «جواد» ثم ابتسم، وأكمل:

- كان لابد أن تحافظ على مخزونك من ذكائك ليوم مثل هذا .. فسأله

«خالد» ساخراً:

- ولماذا لم تحافظ أنت على ذكائك؟!

فأخرج «جواد» زفيراً طويلاً ثم نظر إليه:

تستطيع أن تقول إنه القدر .. من كان يراي منذ أيام لم يكن ليظن لحظة واحدة أن أكون من فقراء زيكولا .. ولكنه الزمان ينقلب رأساً على عقب دون مقدمات ..

- فقاطعه «خالد» في حزن:

تذكرني بنفسى .. كنت أمتلك كثيراً من الذكاء، وقد فقدته أيضاً فجأة ولكن لسبب قوي .. فقدته من أجل عرودي إلى وطني .. أمّا أنت فلماذا فقدت ثروتك؟

فأجابه جواد:

إنها قصة طويلة .. قد تحكيها لمن تعرفهم إن نجوت .. تعلم، عندي ثلاث وأربعون سنة .. ثم تنهد، وأكمل:

مثلي مثل رجال زيكولا .. كنت أعمل من أجل أن أعيش ولا آتي إلى تلك الغرفة يوماً .. لم أكن غنياً، ولم أكن فقيراً أبصاً .. كنت أعمل يوماً بيوم، وأقضي حاجاتي التي تكفي لعيشي سعيداً دون أن أذخر شيئاً زائد عن حاجتي .. وطالما كان هناك الأفقر مني فلم يشغل لي الفقر بالآ .. حتى جاء يوم وأحببت فتاة هنا .. فتاة تسكن بتلك المنطقة، وأصبح حلمي أن أتزوجها، ثم صمت فسأله «خالد» أن يكمل، فأكمل:



كنت جريئًا للغاية، فذهبت إليها، وأخبرتها أنني أريد أن أتزوجها.. ولكن أبوها طلب مهرًا باهظًا للغاية، فابتسم «خالد»، وقاطعه:

أعلم البقية.. ظلمت تعمل من أجل هذا المهر، حتى أعطيتَه لأبيها، فجاء يوم زيكولا.. فأومأ «جواد» برأسه موافقًا على ما قاله «خالد» الذي أكمل قائلاً:

إنها تشبه قصتي.. كلانا سعى من أجل ذلك المهر.. أنت من أجل حبيبك.. وأنا من أجل عودتي إلى وطني.. فتابع «جواد»:

- إنها تنتظري.. إن خرجت من هنا ستزوج.. إنها تحبني للغاية، لقد أخبرتني أنها تريد أن تنجب أطفالًا يكونوا من أثرياء زيكولا..  
- فسأله «خالد» مندهشًا: - هل ستترك أطفالك يعيشون هنا في زيكولا؟!!

فأجابه «جواد»: - بالطبع..  
فتابع «خالد»:

- كنت أظن بعد وجودك هنا أنك إن نجوت من تلك المحنة، ستغادر  
زيكولا بعدها..

فسأله «جواد» متعجباً: - إلى أين؟!!! إن زيكولا وطنا ونحن نحبها..  
فنظر إليه «خالد»: - إنكم تقتلون في وطنكم هذا..

فصمت «جواد» قليلاً، وطال صمته تلك المرة.. ثم أكمل:

ربما نظن ذلك.. ولكن رغم ما أنا به، فلا أعتقد أنني سأجد أفضل  
منها وطني.. ولأولادي.. لقد أعطنا زيكولا الكثير.. أعطنا القوة  
والفخر بأننا أبناءها.. فخرٌ يشعر به الغني والفقير.. ثم ابتسم، وكأنه  
يتذكر:

حين يذهب منا المرء يوم فتح باب زيكولا إلى مدينة أخرى فإنه  
يتباهى أنه زيكولي، والجميع يقدم له وافر الاحترام.. لا يستطيع أحد  
مساس شعرة من رأسه.. ثم أكمل:

أنا فقير اليوم.. وربما يجتازني الأطباء بين الأكثر فقراً، وربما أذبح..  
ولكنني سأذبح من أجل سعادة حاكمنا بولده، وكم نحب حاكمنا..  
لعلنا جعلنا حكامنا أقرباء.. فقاطعه «خالد» مندهشاً:

- لماذا لا أراك قلقاً أو حزيناً؟!! كيف تمتلك هذا البرود؟

- فأجابه «جواد»:

لا أخفي عليك، كنت ممن يعملون بحرص ألا يأتوا هنا يوماً..  
وسأفرح كثيراً إن نجوت.. ولكنني أرى من العار أن أحزن إن لم أنج  
ثم نهض، وتحرك خطوات مبتعداً عنه فسأله «خالد»:

- ألا تريد أن تعود إلى حبيبتك؟!

فتوقف «جواد»:

لقد عملت ما في وسعي، وهي الآن تعلم كم أحبها، وأعلم أنها  
ستفخر بي باقي عمرها، إن كنت أنا الذبيح.. إنها تعلم أنني لم أكن  
كولاً يوماً..

- فتحدث إليه «خالد» في هدوء:

أتمنى أن تعود إليها وتتجبا أطفالاً ينعمون بذلك الحب.. ثم نهض  
هو الآخر، وتحرك إلى ركن بعيد بالغرفة، وأكمل بصوت يشوبه الحزن:  
- ولكنني لا أريد أن أذبح.. أنا لست منكم.. أريد أن أعود إلى بلدي..  
إلى أهلي.. سأشعر بالفخر حين أعود إليهم..

ثم سكث حين فتح باب الغرفة، وزج أحد الجنود بشخص  
شاحب اللون إليهم ثم أوصد الباب من خلفه..

كانت شوارع المنطقة الغربية مزدحمة بالكثير من أهاليها حين علموا بوضع زوجة الحاكم مولودها، وحلول يوم زيكولا بعد أيام قليلة.. و«يامن» يتحرك بينهم يبحث عن «خالد» بكل مكان بعدما لم يعد إلى المسكن الخاص بـ«أسيل» منذ خروجه، وظل يأل من يقابله عن «خالد».. ذلك الشاب الطويل العريض ذو الشعر الأسود الطويل واللحية السمراء الناعمة، ولكن لم يجبه أحد.. وبدأ القلق ينسرب إلى قلبه بعدما وجد جنود المنطقة يتشرون بشوارعها، ويبحثون عن الأكثر فقراً بينهم.. حتى تبقنت شكوكه حين أخبره فتى صغير بأنه قد رأى «خالد» والجنود يجرونه نحو قصر الفقراء.. فتسمرت قدماء دون أن يدري ماذا يفعل..



عاد «يامن» إلى المسكن الخاص بـ«أسيل» على الفور.. وسأل خادمة هناك إن كانت «أسيل» قد عادت، فأجابته بأنها لم تعد بعد.. فزاد توتره وضيقه، ولم يشغل باله سوى «خالد» الذي قد يُذبح بعد أيام، ومصيره بيد «أسيل»، وظل يتحرك جيئة وذهاباً لا يستطيع أن يتمالك نفسه.. بعدها أمسك بالورقة التي أسقطتها «أسيل»، وخرج مسرعاً

خارج المسكن إلى أطراف المنطقة الغربية حتى وصل إلى الطريق الممهّد إلى المنطقة الوسطى، وظل واقفاً على جانبه حتى تمر عربة متجهة إلى تلك المنطقة.. يعلم أن الوقت قد تأخر، والليل يكسو زيכולاً ولكنه لم يفقد أمله في ذلك.. حتى مرت أمامه عربة فطلب من صاحبها أن يصطحبه معه فرفض، وكلما مرت عربة إما أن يرفض سائقها أو يجبره بأنه لن يمر بالمنطقة الوسطى.. حتى جاءت عربة يركبها عجوز قد يتجاوز عمره الثمانين فأوقفه «يامن»:

- أريد أن أذهب معك إلى المنطقة الوسطى..

فأجابه العجوز الذي ضحك وظهرت أسنانه المتآكلة:

- إنني لا أصطحب غرباء.. ثم أكمل:

- ما لكم أيها الشباب، لماذا لا تسبّرون؟!.. إنني كنت في مثل عمركم أجوب زيكولا على قدمي..

فأجابه «يامن»: - حسناً.. سأجوبها على قدمي..

فأمر العجوز حصانه أن يواصل حركته، وتحمم بكلمات وكأنه يسب «يامن»، وتحركت العربة قليلاً، و«يامن» ينظر إليه حانقاً.. حتى ابتعدت العربة عنه فأسرع خلفها، وتثبت بمؤخرتها، وظلت رجلاه

تهرولان كي تجاري سرعة حصان العربية، وكلها حاول أن يسنداها على لوح خشبي بمؤخرة العربية تغلطان.. حتى استطاع أن ينشبت جيدًا، وظل متشبثًا بها بينما يجلس العجوز بمقدمتها، ويضرب حصانه كي يسرع، وبدأ يغني بصوته الضعيف المتقطع، وكأنه يريد أن يؤنس وحدته، و«يامن» يستمع إليه، ويريد أن يضحك، ولكنه خشي أن يعلم بوجوده.. فأثر أن يكتم ضحكاته بداخله..



مر الوقت، و«خالد» حيس بغرفة الفقراء، وقد تزايد عددهم، وبين الحين والآخر يُفْتَح باب الغرفة ليرجَّ فقير جديد إليهم ثم يوصد مجددًا.. و«خالد» يجلس بركته صامتًا، وينظر إلى «جواد» الذي كلما حلَّ فقير بالغرفة يذهب إليه ليعرف قصته.. ثم يتحدث إلى نفسه، ويسألها: - ماذا يفعل «يامن»؟، وماذا تفعل «أسيل»؟، وهل ستنتهي حياته في زيكولا أم أن هناك أملًا قد يغير هذا المصير..

وصلت عربّة العجوز إلى المنطقة الوسطى، والتي سادها الهدوء والصمت.. ولم يكن بشوارعها إلا قليل من الجنود وحراس القصور المتواجدين بها والذين تظهر ملامحهم واضحة مع المصابيح النارية التي

تير شوارع تلك المنطقة.. وما إن أبطأت العربة حتى قفز «يامن»، وترك  
المعجوز يكمل طريقه دون أن يدري بوجوده.. ثم عدل من ملايه،  
ونفض عنها ما أصابها من غبار، وأسرع إلى قصر الحاكم فقابله أحد  
حراس القصر وسأله على الفور:

- من أنت؟

فأجابه «يامن»، وقد علا صوته وتحدث بنقمة:

- أنا مساعد الطبيب.. ثم صاح به:

- ألم تعلم من أنا؟! من أنت كي تسألني؟!

فأجابه الجندي:

- اعتذر.. لم أكن أعرفك..

فرفع «يامن» رأسه:

- حسنًا.. هيا أدخلني، وإلا أثرت غضبي.. وأنت تعلم أنني بعمل هذا

قد أجملك أفقر شخصًا بزيكولا.. هيا..

فبدأ التوتر على وجه الجندي:

- حسنًا سيدي.. تفضل إنها بحجرتها، ولكن لا بد وأنها نائمة.. إن

الشروق قد قارب..

قصت «يامن» ثم أكمل:

- إنني لا أستطيع الانتظار.. أخبر إحدى الوصيفات بأن تخبرها أن  
ماعدتها ينتظرها بالأسفل لأمر هام..  
فرد الجندي:

- حسنًا.. تفضل إلى أولى حجرات الطابق السفلي، وستأتيك إلى هناك



كانت «أسيل» بحجرتها تجلس، وتقلب أوراق «خالد» من جديد،  
ويكسو وجهها حزن شديد.. حتى سمعت طرقات على باب حجرتها  
ثم وجدت إحدى الوصيفات تدلف إليها، وتخبرها بأن ماعدتها  
ينتظرها بالأسفل، ويريد أن يخبرها بأمر هام، فنفقت «أسيل» على  
المقور:

- «خالد» !!

ثم تماكنت نفسها، وسألت الوصيفة:

- ماذا يريد؟

فأجابتها:

- لا أعلم سيدتي.. إنه ينتظرك بالأسفل..



قصت «أسيل» برهة ثم أشارت إلى الوصيفة:

- حنا.. فغادرت الوصيفة .. وظلت «أسيل» كما هي تفكر، وتسال نفسها:

- ماذا جاء بك إلى هنا يا «خالد»!!؟

- أعلمت أن أوراقك جاءت إلي صدفه فتريد أن تخبرني أنها ليست أوراقك .. أم تريد أن تخبرني أنك حقاً تحب تلك الفتاة، أمّا أنا فلا أمتل لك سوى شخصاً تحب مساعدته .. ثم نظرت إلى مرآة أمامها، وابتسمت:

- ربما كانت ليست أوراقه حقاً..

- ربما كان يريد أن يختبر مدى حبي وغبرقي..

ثم عادت لتسأل نفسها مجدداً:

- وماذا لو كانت تلك هي الحقيقة؟ .. ماذا لو كان يحب الفتاة

الأخرى؟ .. ماذا تفعلين؟..

ثم نظرت نحو باب غرفتها:

- حسناً.. سأنزّل لأرى ماذا تريد يا «خالد»..

ثم بدلت ملابسها، وغادرت حجرتها، وهبطت السلم إلى الطابق السفلي، واتجهت نحو الغرفة التي أخبروها بأن مساعدتها ينتظرها بها.. وما إن دلفت إليها وكادت تحدث حتى فوجئت بأنه «يامن»:-  
- «يامن»؟؟

فأجابها: نعم.. أعتذر أنني جيتك في هذا الوقت المتأخر..  
فأكملت:- حسبك «خالد»..

فصمت ثم أكمل:

- لقد أمكروا به «خالد» من أجل يوم زيكولا..  
فردت:- ماذا؟؟

فأكمل «يامن» وأجأ:

- نعم.. لقد أمك به الجنود عندما كان يتجول بين شوارع المنطقة الغربية..

فصمت «أسيل» حتى أكمل «يامن»:-

- إنك تعلمين أنه لا يستحق ذلك.. لا بد أن ناعده.. لا بد وأن يخرج.. لا بد أن يعود إلى بلده يا «أسيل».. لقد وعدناه بذلك..  
فأجابت «أسيل» في برود:

- ماذا نفعل.. أنت تعلم قوانين زيكونا أكثر مني..

فصاح بها «يامن»:

- نعم أعرفها.. ولكن عليك أن تفعل المستحيل كي ينجو من تلك

المحنة.. كيف أراك بهذا الهدوء.. وأنت تعلمين كم يجبك؟؟!!

فصاحت به «أسيل»:

- يجنني؟؟.. ثم ضحكت ساخرة:

- تقصد أنه لم يجب في حياته سوى «منى».. حبيبة عمره.. أم تريد أن

تكذب ما كتبه بين أوراقه..

فصمت «يامن» مفكراً ثم أخرج ورقة من ملبسه:

- اقربي هذه الورقة.. إنها أيضاً كتبها، ولكنها سقطت منك حين

جاءك جنود الحاكم.. ثم أعطاها الورقة، وأكمل وهو يتجه نحو باب

الغرفة:

لوعلمت أن أحداً يجنني هذا الحب.. لفعلت المستحيل من

أجله.. ثم غادر، وأمكت «أسيل» الورقة، وقرأت ما بها، وعلمت أنها

تكملة لحديثه في الورقة السابقة لها.. وأنه يحبها منذ أن جاء إلى زيكونا..

فلم تستطع أن تتمالك نفسها، وتساقطت دموعها بغزارة ثم أسرعت إلى

غرفتها بقصر الحاكم.. تصعد بخطى سريعة درجات السلم، ودموعها على وجهها وسط دهشة وصيقات القصر الذي يملؤه الفرح منذ قدوم المولود الجديد... ثم دلفت إلى حجرتها، ووضعت رأسها على سريرها، وواصلت بكاءها..



أشرقَت الشمس، وتبعها نهار بطي، مرَّ على «خالد» كسلحفاة تسير وانتشرت الأخبار في كافة أرجاء المدينة بأن فقراء زيكولا من الرجال والنساء قد جُمعوا بكل مناطقها، وجميعهم ينتظرون الأطباء حتى يقلصوا عددهم إلى أكثرهم فقراً، ومن بعدهم تقول الطيبة «أسيل» كلمتها بشأن الفقراء الثلاثة الذين يتنافسون أمام الزيكولا.. و«يامن» لا يستطيع أن يتمالك أعصابه، وينتظر ماذا سيكون قرار أطباء المنطقة الغربية في اليوم التالي.. و«أسيل» تنتظر في قصر الحاكم، وتتوسل إلى الوقت كي يمر سريعاً، والجميع يلاحظون توترها وتغيرها المفاجئ منذ قدوم ماعدها إليها..



في اليوم التالي كان «خالد» ومن معه من فقراء حيسين بغرفتهم..  
حتى نُفِخَ بابها فجأة، ودخل إليهم قائد الجنود:  
- هيا.. سَتُعَرَّضُونَ الآن على الأطباء..

اصطفَ الجنود صَفَيْنِ، وبينهما عمر أمام الغرفة، وبدأ «خالد» ومن  
معه يمرون بين هذين الصَفَيْنِ.. حتى وصلوا إلى رِدْهة واسعة،  
واصطفوا بها كما أمرهم قائد الجنود، وقد لاحظ «خالد» بأن هناك نساء  
شاحبات سيمرضن معهم على الأطباء.. وعلم أنهم قد حُيسِنَ بغرفة  
أخرى، وبمنظرة منه وجد عدد الفقراء والفقيرات لا يتجاوز العشرين  
فردًا.. ثم نظر إلى جانبه فوجد «جواد»، فهمس إليه:

- كم سيختارون منا؟

فأجابه:

- لا أعلم.. سيختارون أقلنا ثروة..

حتى صاح به أحد الجنود بأن يصمت ثم دخل رجلان، وعلم من  
يقفون بأنهما الطبيبان حين وجدوا زيجتهما الأنيق، وقمصانها الراقية،  
ونعالهما الفخمة..

ثم أشارا إليهم بأن يجلسوا، وسأل أحدهما قائد الجنود بأن يأتي بالفقراء واحدًا تلو الآخر..



بدأ الفقراء يتجهون إلى الطيِّين واحدًا تلو الآخر.. و«خالد» يراقب من بعيد ما يفعلانه، وينظر إليهما، وهما يفعلان مثلما كانت تفعل «أميل» حينما كانت تمسك بثية من جلده لتخبره كم يمتلك من وحدات ذكاء.. ويراقبها حين يمسك أحدهما بقلم ويدون شيئًا بأوراقه بعدما ينتهي من فحص أحد الفقراء، وكأنه يدون ملاحظاته عن ذلك الفقير.. وقلب «خالد» يدق بقوة، وينظر إلى جلد ذراعيه، ويقارن شحوبه بشحوب من معه ثم ينظر إلى السماء، ويدعو ربه أن ينجِّيه من هذه المحنة حتى أمره جندي بأن يتقدم إلى الطيِّين، وما إن تقدم إليهما حتى سأله أحدهما:

- هل أنت مريض؟

فأجابه «خالد»:

- لا..

ثم أمسك الطبيب بثنية من جلده، وأمسك الآخر بثنية أخرى من جلد ذراعه بين أصبعيه.. ثم نظرا إليه بتأملاته، ثم أمراءه أن يعود إلى مكانه مجدداً.. فعاد وقد تحرك إليهما «جواد» الذي قابله مبسماً.. وظل الطبيان يواصلان عملهما، والوجوم على وجوه الكثيرين من الفقراء والفقيرات.. حتى نهض الطبيان مجدداً، ونظرا إلى أوراقهما، وما دوناهما من ملاحظات، ثم تحدّثا إلى قائد الجنود، والذي بدوره اتجه إلى «خالد» ومن معه من رجال ونساء ثم نظر إليهم:

- لقد أخبرنا الطبيان من منكم الأكثر فقراً..

- من ينجو اليوم عليه أن يعمل بجهد مجدداً كي لا يعود إلى هنا مرة أخرى.. ومن اختاره الأطباء منصطحبه غداً إلى المنطقة الوسطى حتى يُعرض على طيبة الحاكم بعد غد.. وأتمنى أن يجد من هو أفقر منه هناك ثم نظر إليهم مجدداً، وقد احتبست أنفاس «خالد» حين أشار إلى «جواد»:

- أنت.. ستأتي معي إلى المنطقة الوسطى..

ثم أشار إلى «خالد»:

- وأنت أيضًا.. ستأتي إلى المنطقة الوسطى.. أمّا الباقون فعليكم  
أن تعودوا إلى بيوتكم، واحتفلوا مع أصدقائكم بمولود الحاكم..  
فسقط «خالد» على ركبتيه :

- أنا؟!!

فأجابه القائد:

- نعم إنكم الأكثر فقرًا هنا.. هيا انهض.. ما زال أمامك فرصتان كي  
تنجو..

- فنظر «جواد» إلى «خالد»، وقد قلّ بروده، وبدأ متوترًا قليلًا:

- يبدو أن أحدهما سيكون الذبيح أيها الصديق...





عاد «خالد» إلى غرفة الفقراء مرة أخرى ومعه «جواد»، وقد أغلق الباب الحديدي من الخارج.. وظلّت أنفاسه متارعة، وزاد قلقه وتوتره كثيرًا، وكلّمًا حاول «جواد» أن يتحدث إليه لم يجبه.. ولا تتوقف رأسه عن التفكير.. لا يرى أمامه سوى ما رآه يوم زيكولا السابق حين ذبح الفقير وشط احتفالات أهل زيكولا.. أما «أسيل» فما زالت في قصر الحاكم تمني أن تجد «يامن» الذي اختفى منذ مجيئه إليها في المرة السابقة.. لا تعلم ماذا حدث بالمنطقة الغربية.. تريد أن تعلم هل عاد «خالد» إلى حرّيته مجددًا أم تجده أمامها يوم تختار الثلاثة الأكثر فقرًا.. تتمنى أن تغادر القصر إلى المنطقة الغربية، ولكنها لا تستطيع أن تترك زوجة الحاكم في هذا التوقيت.. فلم تجد أمامها سوى أن تنتظر حتى يمر ذلك اليوم وما يليه، ووقتها سيتضح كل شيء..



الموسيقى تنتشر في كافة أرجاء زيكولا، والأخبار تتناقل بين هذا وذاك.. الجميع يتحدثون عن فقراء زيكولا، ويتهامسون بأن أطباءها قد

اختاروا فقيرين بكل منطقة بها.. ويتنظرون طيبينهم الأولى حتى تعطي كلمتها الأخيرة.. يريدون أن يفرحوا.. يريدون أن يهتئوا حاكمهم بهذا اليوم.. الجميع في أوج سعادتهم طالما ابتعدوا عن منصة الذبح.. يعملون نهارًا، ويتراقصون ليلاً.. يعلمون أنها أيام وستمر، وسيعودون مجددًا إلى حياتهم، وأعمالهم الشاقة.. فأرادوا أن يقتصوا كل ذرة سعادة في تلك الأيام.. حتى سور زيكولا قد بدا وكأنه في أيام غرسه بعدما عُلفت فوقه رايات عديدة مختلفة الألوان ترفرف بقوة، وتتوسطها نيران مشتعلة تعلن عن احتفال أهل مدينته، والذين بدأوا يتجهون إلى المنطقة الوسطى أفواجًا متتالية ليشاهدوا منافسة الزيكولا ومعهم ما يكفيهم من طعام حتى ذلك اليوم، وحتى يوم زيكولا حين ينقلون إلى المنطقة الشرقية حيث أرض الاحتفال ومنصة ذبح الفقير..

أما أهالي المنطقة الغربية فقد تجتمعوا أمام القصر الذي حُبس به «خالد» و«جواد» حين اصطف أمامه العديد من الجنود إيذانًا برحيل الفقيرين إلى المنطقة الوسطى حيث قصر الحاكم، وقد صاحوا وهللوا حين رأوا «خالد» وجواد مُكبَّلين يداً وقدمًا، ويتقدمهم قائد الجنود إلى

عربة تقف أمام القصر .. ثم بدأت العربة في التحرك في طريقها لمغادرة تلك المنطقة ..



تسير العربة وتشق طريقها، و«خالد» بداخلها ينظر عبر نافذتها إلى الصحراء الشاسعة على جانب الطريق، وكلما حاول «جواد» أن يتحدث إليه لا يرد مجددًا، ويظل مجددًا خارج العربة حتى ابتسم «جواد»، وتحدث في هدوء:

- أعلم أنك حزين للغاية، وأعلم أنك تسخط على حاكمنا وولده .. ولكن لا تيأس يا صديق .. ما زال أمامك فرصتان كي تنجو بحياتك .. و«خالد» يواصل صمته ولا يرد .. ثم تحدث «جواد» مجددًا:

- أهدنا سينجر بالطبع .. وقد ينجو كلانا ثم صمت، وأكمل:

- أريد أن أطلب منك شيئاً .. ثم تابع:

- إن نجوت وكنْتُ أنا من سيذبح، وجاء يوم زيكولا ووقفت بين من يحتفلون بذبحي، ورأيت سيدة تبكي وسط من يفرحون، فاذهب إليها وأخبرها أنني لم أحب بحياتي مثلما أحببتها ..

ثم سألت بعض دموعه على وجهه فالتفت إليه «خالده»، ووضع  
كفه على ركبته، وابتمس إليه:

- ستعود إليها يا «جواد».. وستنجبان أطفالاً تعيش وتفخر  
بزيكولا.. فابتمس «جواد»، والدموع تلمع على وجهه، وأكمل:

- وأنت؟.. لا تريد أن توصيني بشيء؟..

فصمت «خالده» قليلاً ثم نظر عبر النافذة مجدداً، وعاد لينظر لـ «جواد»:

- إن وجدت شاباً في مثل عمري يدعى «يامن»، ويقف حزيناً فأخبره

بأنني لم أجد صديقاً وأخاً مثله، ثم صمت مجدداً، وأكمل:

- وإن رأيت طيبة زيكولا تنظر كثيراً إلى السماء ليلاً تبحث عن

نجم بها.. فأخبرها أنها أفضل حقاً من ذلك النجم..

فسأله «جواد» على الفور:

- هل تعرفك طيبة زيكولا؟

فأجابه «خالده»:

- نعم..

فابتمس، وأكمل:

- هل تحبها؟

فردة «خالد»:

- نعم..

فسأله مجدداً:

- وهي؟.. هل تحبك؟

فصمت «خالد» ثم أجابه:

- لا أدري..

فأكمل «جواد»:

- إن كانت تحبك فلن تتركك لتكون ذبيح زيكولا..

فصمت «خالد» مرة أخرى ثم عاد هائلاً يتأمل الطريق عبر نافذة  
العربة.. وأكملت العربة سيرها، وقد أمر سائقها حصانه بأن يسرع  
ولسعه بسوط بيده.. حتى وصلت مع اقتراب غروب الشمس إلى  
المنطقة الوسطى، والتي أصبحت شوارعها مزدحمة بالكثير من الناس  
وواصلت العربة تحركها.. حتى توقفت أمام قصر الحاكم..



كانت «أسيل» تجلس بغرفتها حين أخبرتها وصيفتها بأن فقراء مناطق زيكولا قد بدأوا في القدوم.. فدق قلبها بقوة، وسألتها على الفور:

- هل وصل فقراء المنطقة الغربية؟

فأجابت الوصيعة:

- نعم سيدي..

فسألتها «أسيل» مجدداً:

- هل رأيتها؟

فأجبتها:

- لا.. لم أرها.. إنها قد وصلا منذ لحظات قليلة، وسيتمجهان

نحو بهو القصر..

ثم أكملت:

- أستطيع أن أشاهدكما من تلك الشرفة.. ثم أشارت إلى شرفة الغرفة،

وأكملت:

- وهم يمرون نحو بهو القصر..

فالتفتت «أسيل» إلى الشرفة:

- لا.. عليك أن تغادري الآن.. وأخبريني حين يكتملون..

فابتسمت الوصيقة:

- حسناً سيدتي.. ثم غادرت ..

أما «أسيل» فأسرعت إلى الشرفة، ووقفت أمامها تنتظر أن يمر فقراء مناطق زيكولا.. تنتظر وتتسارع أنفاسها.. تحشى أن يكون ما تظنه حقيقة.. وتسال نفسها مجدداً:

- أين «يامن»؟.. ولماذا لم يأتيها ليخبرها بما حدث لـ «خالد»؟! وكلما مر أحد بالأسفل نظرت إليه في لهفة، وتشعر بسعادة حينها تتحقق أنه ليس «خالد».. حتى انتفض قلبها، وكأنه انتزع منها حين وجدت أحد الجنود يتقدم، ويأتي من خلفه «خالد» مطأطأ الرأس، ويسير ببطأ ومعه فقير غيره قد كُتِلَ مع بعضهما، ويصبح بهما الجندي:  
- أسرعا أيها الفقيران..

فأمسكت برأسها، وعادت خطوات إلى الخلف، ووضعت يدها على فمها من الصدمة.. ثم نهضت وتحركت نحو الشرفة مجدداً، وظلت تنظر إلى «خالد» وهو يتحرك بصعوبة خلف الجندي إلى بهو القصر.. فصارعت أنفاسها، ولملت عيناها بالدموع، وتحدثت إلى نفسها:

- ماذا أفعل؟ .. ماذا لو كان «خالد» أكثرهم فقراً؟! .. ماذا؟ ..

تنظر إلى وريقاته المبعثرة في غرفتها، وتقرأ كلماته .. أنه لم يحب غيرها ثم  
حدثت نفسها بصوت مسموع:

- إن «مصير» بيدي الآن ..

وتتحرك جيئة وذهاباً بالغرفة، وتسال نفسها حين تقف أمام المرأة:

- ماذا أفعل؟

ثم نظرت إلى الأوراق مجدداً، وكأنها تحذنها:

- «خالد» ماذا لو كنت الأفقر بينهم؟ ماذا تريدني أن أقرر يا «خالد»؟

وتعود إلى حركتها جيئة وذهاباً، وتمسك برأسها، وتمرر يدها فوق  
شعرها ثم تنظر عبر الشرفة، وترى الفقراء الآخرين الذين يتجهون  
نحو بهو القصر .. حتى سمعت طرقات على باب غرفتها، ودلفت إليها  
وصبتها:

- سيدي لقد اكتمل عدد الفقراء بهو القصر، والجميع في انتظارك ..

فزاد انتفاض قلبها ثم حدثتها:

- حسناً .. سأتي على الفور ..



فأغلقت الوصيفة باب الغرفة مجددًا، وجلست «أسيل» على سريرها، ووضعت رأسها بين يديها وكأنها لا تدري ماذا تقرر.. ثم نهضت مجددًا، واتجهت مرة أخرى نحو الشرفة، ولكنها لم تنظر إلى أسفل.. بل نظرت إلى السماء التي امتلأت بشفق الغروب، وبدأت تتحدث والدموع على وجهها:

- رأيت «خالد» كثيرًا ينظر إلى السماء كلما وقع في محنة، وسمعتة يقول..  
يارب ساعدي..

- أنا أنظر مثلما كان يفعل الآن.. وأقول مثله.. يارب.. يارب ساعدي..  
أريدك أن تساعدني.. ثم أغضت عينيها، وزادت دموعها.. وأكملت:  
- ساعدي.. لا أريد أن أفقد «خالد» ثم تابعت:  
- ولا أريد أن أظلم أحدًا.. لا أريد أن أظلم أحدًا..



كان الصمت يود بهو قصر الحاكم، وكأنه لا يوجد أحد به..  
الجميع صامتون، كل يفكر بمصيره ويتظر أن تأتي الطيبة.. عشرة من  
الفقراء.. سبعة رجال، وثلاث فتيات.. يتظرون أن يمر الوقت  
سريعًا.. أي منهم سينجو، وأي منهم ستختاره الطيبة لمنافسة

الزيكولا، و«خالد» يقف وينظر إليهم في صمت.. ثم ينظر إلى أعلى وكأنه يناجي ربه.. حتى كُسر ذلك الصمت حين دلفت «أسيل» بفستانها الفضفاض إلى بهو القصر، ومعها قائد حرس الحاكم الذي قد أتاها ليلة وضعت زوجته الحاكم، وقد تحدث بصوت غليظ:

- ستختار سيدتي الآن الثلاثة الأكثر فقرًا..

فتقدمت «أسيل» في صمت، ومرت أمامهم، و«خالد» ينظر إليها، وقد تعمدت ألا تنظر إليه حتى أنها أرادت أن تلمحه بطرف عينها، ولكنها أبعدت نظرها على الفور.. ثم همست إلى قائد الحرس أن يقدم إليها فقيرًا تلو الآخر..



بدأت «أسيل» تفحص كل من يتقدم إليها وتتأمله، وتضع ثنية من جلده بين إصبعيها، ثم تسأله إن كان قد مرض من قبل، وإن أجابها بأنه قد مرض تسأله المزيد من الأسئلة عن ذلك المرض، وتزيد من فحصها لأكثر من مكان بجسده حتى تعلم إن كان قد مرض حقًا أم أنه يفتعل ذلك كي ينجو.. حتى تقدم إليها «جواد»، وبدأت تفحصه، وقد نظرت إلى «خالد» بطرف عيناها فابتسم «جواد»، وتحدث:

- إنه يحبك أيضًا..

ف نظرت إليه، ولم تحدث، ثم أمرت أن يأتي من بعده.. فوجدت «خالد» يتقدم إليها فدق قلبها بقوة، ولامت وجهه ويدها ترتعش قليلاً.. و«خالد» ينظر إلى عينيها دون أن يتنطق ببنت شفة.. وتحدث نفسها.. ماذا أفعل يا «خالد» إن كنت الأفقر.. ماذا أفعل؟.. ثم نظرت إلى قائد الحرس أن يأتي بمن بعد «خالد»، والذي فوجئ بعدما استغرق فحوص «خالد» وقتاً أقل كثيراً مما فحوصوا قبله، ولكنه طلب من فقير آخر أن يتقدم إلى الطيبة، وظلت «أسيل» تفحص جميع الفقراء المتواجدين باليهو حتى انتهت.. ثم عادت لتجلس على أحد الكراسي الممخمة المتراصة، وأمسكت بقلم وبعض الورقات، وبدأت تدون بعض كلماتها.. والجميع ينظرون إليها في صمت.. لا يُسمع فقط سوى صوت الأنفاس المتسارعة من بعضهم.. حتى نهضت مجدداً، وتحركت نحوهم.. ثم تحركت أمامهم جيئة وذهاباً ونظرت إلى فتاة:

- أنت.. اخرجي إلى أهلك..

فصرخت الفتاة من الفرحة ثم نظرت «أسيل» إلى فقير آخر:

- وانت.. عد إلى أهلك..

فصاح فرحاً.. وواصلت «أسيل» تحركها بينهم، وكلها تحركت تشير إلى أحدهم بأن يعود إلى أهله.. حتى توقفت مكانها بعدما لم يتيق سوى أربعة فقراء فقط.. بينهم «خالد» و«جواد»، واحتبست الأنفاس مجددًا، والجميع يتظرون من هو الأخير الذي سيعود إلى أهله..

«أسيل» تقف أمامهم، و«خالد» ينظر إليها في ترقب، و«جواد» ينظر إلى «خالد» وكأنه يوقن بأنه من ستختاره «أسيل»، ويقف بجوارهما فقيران يزداد الوجوم على وجهيهما.. حتى نظرت إليهم «أسيل»، وأشارت إلى جواد:

- أنت عد إلى أهلك..

ثم نظرت إلى «خالد» والفقيرين الآخرين:

- أنتم الأكثر فقرًا بينهم.. الزيكولا ستحدد من منكم ذبيح يومنا..

فسقط «خالد» على ركبته، ونظر إلى «أسيل»، وكأنه لا يصدق ما سمعه أذناه.. وصاح بصوته:

- «أسيل»..

فغادرت «أسيل» على الفور، وانتهت إلى غرفتها، وما إن دلفت إليها حتى واصلت بكاءها مجددًا، وتحدثت إلى نفسها بصوت عالٍ:

- لم أجد أمامي سوى ما فعلته.. لا أستطيع أن أظلم أحدا.. لا أستطيع..

ثم أغمضت عينيها، وتحدثت:

- ستنجو من الزيكولا يا «خالد».. ستنجيك الزيكولا.. إنك لا تستحق أن تذبح في مدينتنا.. ستنجو.. ستنجو..

أما «خالد» فقد أمره قائد الحرس بأن يتبعه هو ومن معه إلى قصر مجاور لقصر الحاكم، وسمع «جواد» الذي مازال يقف بجواره يهمس إليه:

- سندهون إلى قصر النحاتين الآن..

فنظر إليه «خالد» دون أن يرد، ثم تابع «جواد»:

- إن كانت الطيبة تحبك لأبعدتك عن ذلك المصير..

فصاح به قائد الحرس:

- هيا.. أنت.. عليك أن تغادر القصر..

فتحدث «خالد» إليه:

- عد إلى حبيبتي يا «جواد».. وإن ميتٌ فابحث عن «يامن»، وأخبره  
كما قلت لك..

فأبسم «جواد» ثم تركه وغادر، وتحرك «خالد» مُكبِل اليدين  
والقدمين خلف قائد الحرس الذي طالبه بأن يسرع.. حتى غادروا قصر  
الحاكم، واتجهوا إلى قصر مجاور وسط تجمع كبير من أهالي زيكولا الذين  
وقفوا أمام القصر ليَرَوْا من الذين سيخوضون تلك المنافسة رغم حلول  
الليل، وما إن رأوا «خالد» والفقيرين الآخرين مكبَّلين ويتجهون نحو  
قصر النحاتين حتى صاحوا، وصاح أحدهم بصوت مميز:  
- إنه الغريب الذي كان يعمل معنا بتقطيع الصخور..  
وصاحت أخرى:

- لقد رأيته من قبل يبحث عن مالك لكتاب غريب..

والجنود يحاولون أن يبعدوا الناس عنهم حتى وصلوا إلى قصر  
مجاور، ودلفوا إليه، وعلم «خالد» منذ دخوله إلى ذلك المكان بأنه قلعة  
النحاتين.. حيث يصنع تماثيل من الصلصال لكل فقير منهم..



كان قصر النحاتين ذا واجهة فخمة، ونقوش خارجية على هيئة  
تماثيل لأشخاص وحيوانات تظهر خلف النيران المضيئة، والتي  
توهجت بقوة مع ظلام الليل مما أعطته جمالاً خاصاً كان ليل إعجاب

«خالد» إن لم يكن بتلك المحنة.. أما داخله فقد أنير بمصابيح نارية عديدة، وكان النهار قد حل به، ولكنه لم يكن يمتلك ذلك الجمال بالخارج، ولم تكن به سوى بضعة ثماثيل قديمة يبدو أنها نُجِنت لفقراء من قبل.. وكتل طينية بأركان صالاته الكبرى، ورائحة الصلصال نفوح بارجائه.. حتى توقفوا جميعًا حين ناداهم شخص قصير القامة ممتلئ البطن، ورأسه صلعاء، ولحيته طويلة جعل منها ضفيرات صغيرة متعددة :

- عليكم أن تمكثوا هنا.. ثم أكمل :

- سيتولى كل نحات بعد قليل صناعة تمثال كل منكم..

فتوقفوا جميعهم عن الحركة، وبعد لحظات وجدوا ثلاثة رجال ترواح أعمارهم ما بين الشباب والكهولة، وقد وقف كل منهم أمام فقير من الثلاثة، و«خالد» ينظر إلى من يقف أمامه وكأنه في حلم عميق، وهز رأسه لعله يفيق من ذلك الحلم حتى ناداه من يقف أمامه، ويمسك بأدوات النحت في يده :

- عليك ألا تتحرك أيها الفقير.. أتريد تمثالك مشوها؟! ثم ضحك

ساخرًا.. وتابع :

- الزم السكون.. أمامك أمهر وأسرع نحّات بزيكولا.. سأنتهي من تمثالك في زمن قياسي..

فنظر إليه «خالد»، وقد أخرج زفيرًا قويًا.. ثم بدأ النحّات عمله، وجلب كتلة ضخمة من الصلصال، وبدأ يشكل أجزائها بعدما يلمح بطرف عينه «خالد»، وبين الحين والآخر يقترب منه ليضع يده على رأسه، وكأنه يستخدمها للمقارنة بين قياساته.. ثم يعود مجددًا إلى تمثاله الذي بدأت ملامحه تظهر شيئًا فشيئًا..



النحّاتون يعملون بمهارة وسرعة فائقة.. ويقف «خالد» ومن معه دون حراك.. ينتظر كل منهم أن ينتهي من صنع تمثاله عليه يغادر ذلك المكان، وأسرع الوقت من مروره، حتى انتهى النحّاتون من عملهم مع شروق الشمس، وقد صنعوا ثلاثة تماثيل من الصلصال يشبهون أصحابهم، وقد نظر «خالد» إلى تمثاله الذي كان يقف شامخًا، وتعتلي وجهه نظرة حزن واضحة، وهز رأسه في حزن ثم نظر إلى أحد الفقيرين بجواره:

- ماذا سنفعل الآن بعد نحت تماثيلنا؟



فرد الفقير بصوت واهن:

- لم يعد لنا سوى أن نخوض منافسة الزيكولا..

فسأله «خالد»:

- هل سنخوضها الآن؟

فرد قائد الحرس:

- لماذا تتعجل أيها الفقير؟!

إنَّ الوقت مازال باكراً.. ستكون المنافسة بعد ساعات من الآن..

حين تكون الشمس عمودية.. أي منتصف النهار.. ثم أكمل:

مع شروق شمس اليوم فُتح باب زيكولا، وهناك الكثيرون ممن كانوا بخارجها، واشتاقوا إلى احتفالاتنا مرة أخرى، وسيستغرق مجيئهم إلى هنا العديد من الساعات..

فتمتم «خالد»:

- فُتح باب زيكولا؟؟؟!

ثم تجاهل ذلك الأمر، وسأل قائد الحرس:

- إنني لا أتذكر جيداً ماذا ستفعل في تلك المنافسة.. لقد أخبرني

أصدقائي من قبل عنها.. ولكنني لم أعد أتذكر..

فضحك القائد ساخراً:

- أيها الفقير ستحدد الزيكولا مصيرك.. كي لا تقول إن الطبيعة هي من اختارت لك الموت.. ما عليك سوى أن تختار ثلاثة أماكن من تمثالك هذا، وتحميمهم بدروع صغيرة، وستُطلق سهام الزيكولا نحو تمثالك.. وإن أصابتك سهام أكثر من غيرك كنت أنت ذبيح يومنا..

قصمت «خالد» مجدداً، ونظر إلى أعلى:

- يارب ساعدني..



مر الوقت، واقتربت الشمس من نعامدها ظهراً على الأرض، واجتمعت الألوف من أهالي زيكولا بإحاطة كبيرة بالمنطقة الوسطى، واصطفوا أمام منصة خشبية عالية، وأخذوا يرقصون، ويغنون، ويشدون الأهازيج، وحمل الكثيرون منهم أطفالهم فوق أكتافهم حتى أشار أحدهم إلى طفله:

- أنظر.. إنها الزيكولا..

ثم أشار إلى المنصة حين قام مجموعة من الجنود بإزاحة قطعة قماشية كبيرة.. كانت تحفي أسفلها عمودين خشبيين سميكين

ومتوازَيْن، ويصل طول كل منهما إلى ثلاثة أمتار، وبينهما قرص خشبي دائري يصل قطره إلى ما يقارب مترًا واحدًا، وتبرز منه ثلاثة أسهم طويلة، وتظهر من خلفه تروس حديدية تتباين أحجامها، ويزداد لمعانها تحت أشعة الشمس، ويجوار تلك الآلة يقف رجل ضخم حليق الرأس، لا يرتدي سوى بنطالًا واسعًا، وتبرز عضلاته القوية، وذراعه الضخم الذي يمسك بذراع حديدي قد امتد من أحد العمودين الخشبيين للزبكيولا، ويمسك ذراعه الآخر بذراع خشبي أقل طولًا، ويتصل مباشرة بشرائط يخرج من القرص الخشبي.. حتى صاح الجميع حين دُقَّت الطبول، وظهر الحاكم بشرقة قصره.. تجاوره زوجته وعل ذراعيها رضيعها، وتجاورهما «أسيل»، والتي وقفت واجهة والقلق يبعث من عينيها.. ثم جلسوا جميعًا يتظرون بدء المناقشة..



الجميع يتظرون.. الجميع يتراقصون، و«أسيل» تنتظر أن ترى «خالد».. يدق قلبها بقوة.. تنظر إلى السماء مجددًا، وتتحرك شفاتها متمتعة بهمسات غير مسموعة.. حتى وجدت الجنود يحملون التماثيل الثلاثة، ويصعدون بها إلى المنصة الخشبية، ويسير من خلفهم «خالد»

ومن معه فتارعت أنفاسها، وهللت الألواف المتواجدة حين وجدوهم يصعدون المنصة..

بعدها التفت قائد الحرس إلى شرفة قصر الحاكم، وانحنى إليه فأشار إليه بأن تبدأ المناقشة، فالتفت مجددًا إلى «عالم» والفقيرين معه.. ثم أشار إلى أحد الفقيرين:

- تبدأ أنت.. أين ستضع دروعك الثلاثة؟

فنظر إليه الفقير في صمت.. ثم تقدم بعدما فكّت قيوده، ونظر إلى الزيكولا، ثم التفت إلى تمثاله، ونطق:

سأحي ذراع تمثالي الأيمن من أعلى، وغخذ تمثالي الأيسر، وأسفل بطنه فصاح قائد الحرس بأحد جنوده:

- ضع دروعه كما أراد..

فوضع الجندي دروعًا جديدة صغيرة ثلاث الأركان التي أرادها الفقير.. ثم حمل التمثال ومعه جندي آخر إلى أمام الزيكولا.. لا تفصلهما سوى أمتار قليلة..

صمت الأهازيج، وصمت من يتواجدون، وكان أنفاسهم قد حُبِيت، ثم نطق قائد الحرس مجددًا إلى الفقير:

- سيطلق كل سهم من سهامك الثلاث حين تشير إلى حارس الزيكولا..

فرد الفقير بصوت واهن:

- حسنًا..

ثم أشار القائد مجددًا إلى الرجل الضخم الذي يمسك بذراع الزيكولا الحديدي بأن يحرك أحد ذراعيها.. فابتسم الرجل مبرزًا أسنانه الصفراء الكبيرة.. ثم جذب الذراع الحديدي نحوه فبدأت التروس الحديدية تتحرك ببطء، وتسرع من حركتها شيئًا فشيئًا، ويتحرك معها القرص الخشبي وما عليه من سهام، حتى زادت سرعته كثيرًا، وأصبح يدور دون أن تظهر ما عليه من سهام، ويدور حول نفسه ثم يتنقل بين العمودين الخشبيين في حركة عشوائية، لا يستطيع أحد توقعها، و«خالد» ينظر إلى ذلك القرص، وقلبه يدق بقوة، ويحدث نفسه:

- مستحيل أن أحدد اتجاه السهام..

حتى أشار الفقير الأول إلى حارس الزيكولا فجذب الرجل الذراع الخشبي القصير على الفور.. فانطلق السهم الأول نحو ثمالة فأصاب عنق التمثال.. فصاح الحضور.. ثم أكمل القرص دورانه،

وبعد لحظات أشار الفقير مجدداً إلى الحارس فانطلق السهم الثاني فاخترق ذراعه الأيسر، فصاح الناس مجدداً، وظهر التوتر على وجه الفقير، ونظر إلى الزيكولا كثيراً، وإلى فرصها الذي يدور .. ثم أشار إلى الحارس من جديد فانطلق سهمه الأخير فاصطدم بدرعه الحديدي فوق أسفل بطن ثمالة.. فراد صباح أهالي زيكولا، ودقت الطبول، وابتسم الفقير قليلاً بعدما لم يصب ثمالة سوى سهمان.. ثم أشار قائد الحارس إلى الفقير الآخر:

- هيا تقدم لتحمي ثمالك..

فتقدم هو الآخر، وفعل مثلما فعل الفقير الأول، وكلما أشار إلى حارس الزيكولا صاح الناس مجدداً.. حتى صاحوا حين انتهى من سهامه الثلاث، ولم يصب ثمالة سوى سهم واحد اخترق بطنه السفلي، وقد رقص فرحاً مع دقات الطبول بعدما أيقن أنه قد نجا بذلك.. حتى أشار قائد الحرس إلى «خالد»:

هيا، لم يعد سواك.. إما أن تنجو بآلا يصب ثمالك سهام، أو يصبه سهم واحد.. أو يصبك سهمان فتُعاد المنافسة بينك وبينه.. ثم أشار إلى الفقير الأول.. أما غير ذلك فستكون ذبيح غد..

فتقدم «خالد» نحو تمثاله، ووقف أمامه دون أن يفعل شيئاً..

فصاح به القائد مجدداً:

- هيا.. أسرع..

فتنظر «خالد» إلى قرص الزيكولا، والذي رُفعت به السهام من

جديد.. ثم نظر عالياً إلى شرفة قصر الحاكم حيث تجلس «أسيل»..

بعدها نظر إلى تمثاله، وأغمض عينيه، وتمتم بآيات قرآنية ثم فتحهما،

ونظر إلى القائد:

- أريد أن أضع دروعي كي تحمي صدر تمثالي، وعضد ذراعه

الأيسر.. ثم صمت مجدداً، ونظر إلى الزيكولا ثم التفت إلى تمثاله:

- وأريد أن أحمي رأس تمثالي..

فأشار القائد إلى جنوده بأن ينقلوا تمثاله أمام الزيكولا، وأن يضعوا

دروعه مثلما أراد.. ثم أمر حارس الزيكولا بأن يبدأ دوران قرصها..

فبدأت التروس تتحرك من جديد، و«خالد» يراقب القرص الذي يدور

مسرّعاً، ويتحرك بين العمودين الخشبيين.. حتى سمى الله ثم أشار إليه

فانطلق السهم الأول فصاح الجميع حين أصاب فخذ تمثاله الأيمن..

فدق قلب «خالد» بقوة، ودق قلب «أسيل»، وانفض وكأنها تسمع

دقّانه، والقرص يواصل دورانه، و«خالد» لا يعلم ماذا يصنع.. لا يرى تلك السهام بالقرص، وأبهما سينطلق.. ثم أشار إلى الحارس مجددًا فانطلق السهم الثاني فأصاب فخذَه الأيمن مرة أخرى.. فأمسك «خالد» برأسه، وحدث نفسه، وكأن أنفاسه قد تقطعت:

- ثمّالك يا «خالد».. ثمّالك..

- عليك أن تفكر قليلًا.. لم يعد سوى سهم واحد.. إما أن تُعاد

المنافسة.. وإما إن تكون ذبيح غد..

و«أسيل» تحدّث نفسها:

- ثمّالك يا «خالد».. ثمّالك..

ثم نظر إلى القرص مجددًا، والجميع أنفاسهم محتبسة.. ينتظرون إشارته الأخيرة، وحارس الزيكولا يتنسم، ويتأهب كي يجذب ذراعها، وما زالت عينا «خالد» تتحرك بسرعة بين قرص الزيكولا وبين ثمّاله الواقف أمامه، و«أسيل» تنتمم وتتحرك شفتاها في توتر، وتلمع عيناها بالدموع.. حتى أنها لم تستطع أن تواصل جلوسها، ونهضت لتقف مكانها، وأغمضت عيناها بعدما وجدت «خالد» يشير إلى حارس الزيكولا بأن يطلق سهمه الأخير...



أشار «خالد» إلى حارس الزيكولا بأن يطلق سهمه الأخير.. وقد احتبت أنفاسه حين بدأت يد الحارس تجذب ذراع الزيكولا ثم انطلق السهم الثالث فأصاب فخذ تمثاله الأيمن مرة أخرى.. فصاحت الألف المتواجدة بأنه ذبيح زيكولا، ودقت الطبول من جديد وقد اختلفت دقاتها عما قبل المنافسة، و«خالد» ينظر إلى تمثاله في ذهول وقد أحمر وجهه وزاد العرق على جبينه، ثم نظر إلى من يرقصون ويحتفلون وكأنه لا يصدق نفسه، وحدث نفسه في ذهول:

- أنا؟! سأذبح غذا؟!!

تسارع أنفاسه، ويدق قلبه بقوة، ويضع يده حول رقبته يتحسها وكأنه في كابوس يود أن ينتهي منه، أما «أسيل» فقد غادرت شرفة الحاكم على الفور بعدما لم يستطع «خالد» النجاة من الزيكولا، وقد أثار مفادرتها فجأة دهشة الحاكم وزوجته، وأسرعت إلى حجرتها تحدث نفسها:

- لو وضعت دروعك لتحمي فخذ تمثالك الأيمن لنجوت..

- ماذا أفعل؟ .. سيذبح غداً..

ودموعها على وجهها، وترع وعقلها لا يتوقف عن التفكير،  
وتتحدث الى نفسها مجدداً بصوت مسموع:

- أنا من سبب كل ذلك..

- أنا من أخبرته عن مكان رأس المثلث..

- أنا من تركته يدفع من وحداته الكثير دفعة واحدة دون أن أوقفه..

- كان لي الحق أن أعترض على ذلك..

- أنا من دفعت به إلى الزيكولا..

ثم دلفت إلى حجرتها، وما زالت تصيح إلى نفسها..

- ماذا أفعل؟ .. ماذا أفعل؟ .. سيذبح من أحبه غداً..

- ثم وضعت رأسها بين يديها، وصمتت وكأن أصابها الهدوء..



أصبح الطريق الممهد بين المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية  
مزدهم بالكثير من العربات والأحصنة والمشاة من أهالي زيكولا بعدما  
بدأ الكثيرون منهم ينتقلون إلى المنطقة الشرقية حيث أرض الاحضال،

وكانت بينهم عربة بها «خالد» مكبل اليدين والقدمين، وأمامه قائد  
حرس المحاكم، والذي نظر إلى «خالد»:

- ستبيت الليلة ببيت فقراء المنطقة الشرقية..

فلم يرد «خالد»، وظل صامتًا فأكمل القائد:

- عليك أن تسعد بها أنت به.. مشموت فداءً لمولود المحاكم..

- ترى كم ستجلب السعادة لكل هؤلاء الأشخاص..

ثم أشار إلى خارج العربة، وصمت ثم أكمل بعد لحظات:

- أترى ذلك الزحام؟.. إنه ليس الزحام الأكبر.. إن الكثيرين لم

يحضروا الزيكولا اليوم.. هناك من خرجوا بعد فتح باب زيكولا..

ولكن مع شروق شمس غد سيغلق بابها، وسترى كم من أهل زيكولا

سيحتفلون معك بيوم عيدنا..

فصاح به «خالد» غاضبًا:

- أريدك أن تصمت.. أريدك أن تصمت..

فضهر الغضب على وجه قائد الحرس، وتقوست حاجباه ثم

صمت، وتابع «خالد» نظره عبر نافذة العربة..



مر الوقت، وقد وصلت العربية إلى المنطقة الشرقية مع غروب الشمس، ومرت أمام البحيرة التي طالما مكث «خالد» على شاطئها ثم أسرعت بأحد شوارع تلك المنطقة حتى توقفت أمام بيت يتواجد أمامه الكثير من الجنود فنظر القائد إلى «خالد» في غلظة:

- هيا.. لقد وصلنا بيت الفقير..



مازالت «أسيل» بحجرتها يقصر الحاكم.. تجلس على أرضية الحجرة مسندة ظهرها إلى الحائط، وتنظر إلى أوراق «خالد» أمامها حتى نهضت، وأحضرت ورقة جديدة، وأمسكت بقلمها، وأزادت من إضاءة المصباح الناري، وكتبت:

- سيموت من أحبه غذا..

- وأنا من سيحتفل..

ثم توقفت يدها عن الكتابة، ونظرت إلى ما كتبه فمزقت الورقة ثم نهضت لتتحرك جيئة وذهاباً، والتوتر يكسو وجهها حتى نظرت خارج شرفتها فوجدت الظلام قد حل، وبدأت الألعاب النارية تضيء سماء زيكولا، ثم سمعت صوت وصيغتها يأتيها من الخارج:

- سيدي.. سيدي الحاكم يسألك إن كنت تودين الذهاب ضمن موكبه  
غداً إلى المنطقة الشرقية..  
فلم تجبها «أسيل» ثم حملت أوراق «خالد» وأوراقاً أخرى معها،  
وهمت لمغادرة الحجرة..



رَجَّع به «خالد» إلى إحدى غرف بيت الفقير بالمنطقة الشرقية، وظل  
قابعاً بها وسط ظلامها.. ينام على جنبه، لا يستطيع أن يفكر في شيء..  
يستمع إلى صوت الألعاب النارية بالخارج، وإلى احتفالات الأهالي،  
ولكنه لا يرى أمامه سوى الذبيح الذي أطاح السيف برأسه.. لا يعلم  
هل يريد أن يمر الوقت سريعاً كي تنتهي تلك اللحظات التي يعيشها..  
أم يمر ببطء، لعل تلك اللحظات تحمل أملاً جديداً.. حتى قُتِح باب  
الغرفة، ودلف إليه أحد الجنود، ومعه رجل آخر قصير القامة، وتحدث  
الجندي إلى «خالد»:

- أيها الفقير.. انهض..

- ستحلق رأسك الآن..

فرد «خالد» مندهشاً: - ماذا؟!!

فأكمل الجندي: - لا بد وأن يكون ذبيح زيكولا حليق الرأس..

فصمت «خالد».. ثم أشار الجندي إلى من معه بأن يستعد لبده عمله فاقترب من «خالد»، والذي بدا عليه اليأس والاستسلام، ولم يتحرك.. ثم وضع على رأسه مادة خضراء لزجة أخرجها من وعاء زجاجي بحقييته، وبدأ يدلّكها بين شعر «خالد» الطويل، ويضع المزيد منها، ويزيد من تشبّع الشعر بها، ثم وضع القليل منها على لحيته، ودلّكها هي الأخرى، ثم أخرج آلة حادة تشبه الكين الصغير، ولكنها أقلّ سُمكًا، وبدأ يخلق شعر «خالد» والذي بدا عليه الاستسلام كصاحبه، وتساقت خصلاته بجواره متلاصقة، و«خالد» يجلس صامتًا.. ينظر إلى الجندي أمامه، وكلما سأله الحلاق عن شيء لم يجبه.. حتى انتهى الحلاق من رأسه، ثم أسرع فقصّ لحيته، وابتسم إلى «خالد»:

- لقد انتهينا أيها الفقير..

ثم أخرج سطلها لامعًا من حقييته:

- انظر إلى نفسك..

ثم وضعه أمامه بمكان تتخلّله الإضاءة عبر باب الغرفة، فلمح «خالد» نفسه وقد أزيل شعر رأسه ولحيته بالكامل.. وبدا وكأنه أصلع

الرأس فهزّ «خالد» رأسه في حزن، ثم تحرك بجسمه إلى ركن الغرفة، ونام على جنبه مجدداً واضعاً ذراعيه أسفل رأسه..



مرّت ساعات قليلة، واقترب فجر يوم زيكولا، وقد سيطرت الدهشة على قصر الحاكم بعدما اختفت الطيبة فجأة، ولا أحد يعلم أين ذهبت.. إن غادرت فلماذا تركت أغراضها بحجرتها؟!.. لا يعلمون أنها قد وصلت إلى المنطقة الشرقية، واتجهت إلى بيت الفقير حتى أوقفها أحد الجنود فابتسمت إليه:

- أنا طيبة زيكولا، وأريد أن أرى الفقير الآن..

- فصمت الجندي ثم أجابها:

- حسناً سيدتي.. ولكن عليكى المغادرة سريعاً..

ثم فتح باب الغرفة، ودلفت إليها.. فوجدت «خالد» نائماً فأنحأ عييه بأحد أركانها، وقد خلّق رأسه.. فحاولت أن تتمالك نفسها، وأن تمنع سقوط دموعها.. ثم جلست بركن آخر بالغرفة دون أن تتحدث، ومرت دقائق وهي تنظر إليه، وكلما أرادت أن تتحدث تصمت مجدداً، و«خالد» ينظر إليها صامتاً.. حتى نظقت:

- كيف حالك يا «خالد»؟

فلم يرد «خالد» فصمتت مجددًا ثم أكملت بصوت هادئ:

- كنت أحذرك دومًا حين كنت تفقد ذكاءك..

- أنقذت الفتى، ولم تأخذ مقابلًا..

- أنقذت الطفل من المرض، ولم تقبل أن تأخذ شيئًا مقابل الخير..

ثم علا صوتها، واختلط صوتها بالدموع:

- أخبرتك أننا في زيكولا.. لابد أن تأخذ مقابلًا لكل شيء..

ثم صمتت قليلًا، ورشفت بعض دموعها:

- أرى أنك غاضب مني.. ثم تابعت:

- ولكنني أعلم أنك تحب الخير..

- أريدك فقط أن تأل نفسك.. هل كنت متظلم أحدًا آخر إن كنت

مكافئ..

ثم نظرت إليه، وعلا صوتها مجددًا:

- لماذا لا تحب؟؟؟

ثم نهضت، وتحركت نحوه، واقتربت منه.. وأكملت:



- أعلم أنك تحبني يا «خالد»، ولكن عليك أن تضعف حبك الكثير من المرات كي تعلم كم أحبك..

فنهض «خالد» من نومه، وجلس في مكانه ثم تابعت «أسيل»:

- «خالد».. لن أتركك تموت هنا..

فرد «خالد» في ضعف، وقد أسند رأسه إلى الحائط:

- ماذا سفعلين؟.. هل ستعطيني من ذكائك؟!!

- وإن كنت ستعطيني.. فمقابل ماذا؟!! لا أملك شيئاً أعطيه لك مقابلًا..

ثم ضحك ساخراً ونظر إلى سقف الغرفة:

- أعلم جيداً أنه في تلك المدينة لا بد أن يكون هناك مقابلًا لانتقال الذكاء..

ثم تحدث في هدوء:

- اذهبي، واحتفلي غداً مع من يحتفلون.. إنهم ينتظرون وِزْدَكَ غداً..  
إنهم ينتظرون ابتساماتك إليهم..

- فصمت «أسيل» حتى دلف الجندي إلى الغرفة، ونظر إليها:

- سيدتي.. عليك أن ترحلي الآن..

فنظرت «أسيل» إلى «خالد» ثم بدأت تخطو خارجة من الغرفة ..  
وما إن وصلت بابها، وكاد الجندي يخلقه حتى أسرعت عائدة إلى  
«خالد»، ونظرت إليه، ووضعت رأسه بين كفيها:  
- «خالد».. أريدك أن تقبلني..

فنظر إليها «خالد»:

- ماذا؟!!

فأكملت:

- أريدك أن تقبلني فحسب..

ثم تساقطت دموعها من جديد:

- أريدك أن تقبلني يا «خالد».. إن كنت تحبني حقا فقبلني..

فصمت «خالد» فابتسم والدموع تملأ عينيها:

- حسناً.. سأقبلك أنا..

ثم بدأت تقبله، والجندي ينظر إلى ما تفعله «أسيل» في دهشة،  
ويبسم وكأنه يتمنى لو كان هو الفقير بعدما طالبت قبله «أسيل» وكأنها  
لا تأبه بشيء مما حولها.. حتى انتهت ثم نظرت إلى «خالد» مرة أخرى،  
وغادرت على الفور..

أشرقَت الشمس، وأغلق باب زيكولا، وتعالَت مع غلقه دقات  
الطبول حتى فُتح باب غرفة «خالد»، وتقدم إليه قائد الحرس:  
- هيا.. سبداً الاحتفالات بعد قليل..

ثم أمر جنوده بأن يحضروه، وأركبوه عربة يغطيها قماش أسود  
اللون يستطيع «خالد» أن يرى الناس من خلال فتحة صغيرة به دون أن  
يراه من خارج العربة.. وتحركت العربة، و«خالد» ينظر إلى الكم الهائل  
من الناس الذين يسرون بانتظام، ويرتدون ملابس تبدو جديدة..  
الرجال يمسكون بأيدي النساء.. والفتيان يمسكون بأيدي الفتيات..  
ويسرون في فرحة شديدة.. يضع كل منهم حول رقبته عقدًا من الورد،  
وتظلمهم الموسيقى التي يعزفها مجموعة من الأشخاص أصحاب زي  
مختلف.. ثم نظر حزينًا إلى الشبان الذين يمتطون أحصنتهم وخلف كل  
شاب فتاته تلف يدها اليسرى حول خصره واليمينى تمسك بها ورد  
وتلوح بها.. ينظر إلى الحركات البهلوانية ويزيد حزنه بأنهم يحتفلون  
بذبحه.. يتحدث إلى نفسه بأنه قد احتفل معهم منذ شهور بذبح فقير  
غيره.. إنهم لا يشعرون بما يشعر به الآن..

تسير العربة وسط الزحام، وقلب «خالد» يدق بقوة حين يجد  
الصبيان يشيرون إلى عربته ذات القماش الأسود، ويصيحون:  
- انظروا.. إنها عربة الذبيح..  
والذين صاحوا مجدداً حين أشاروا إلى عربة فخمة تسير بالموكب:  
- إنها عربة الطيبة.. هيا لننقط الورد..

و«خالد» ينظر إليهم في أسى، ويتذكر حين التقط وردة «أسيل»  
وابتسمت إليه حتى أصابته الدهشة بعدما ظهرت فتاة أخرى غير  
«أسيل»، وبدأت تلقى بالورد وسط تعجب من يشيرون، وأكمل  
الموكب مسيره.. حتى وصل الجميع إلى ساحة الاحتفال..



ألف من أهالي زيكولا متواجدون.. الجميع يقفون أمام منصة  
الذبيح ينتظرون وصول الحاكم كي يبدأوا الاحتفال.. و«خالد» يمكث  
بعربته، يعلم أنها لحظات وسيتهي كل شيء.. الجميع يتراقصون..  
الفتيان يداعبون الفتيات، والفتيات ترقصن وتهتز أجسادهن مع  
الموسيقى، وتبدو عليهن السعادة الشديدة، والزحام بكافة أرجاء ساحة  
الاحتفال، وبينهم «يامن» الذي يتحرك بصعوبة، ويريد أن يصل إلى

الصفوف الأمامية القريبة من المنصة، وقد بدا عليه التعب الشديد، وربما كان الوحيد بين من يحتفلون، الذي لا يرتدي ملابس تليق بذلك الاحتفال.. بل كانت ملابسه بالية ثلاثم وجهه الذي يكسوه الحزن.. حتى سألته فتاة:

- لماذا لا ترفص؟!

فلم يجيبها، وأكمل سيره وسط الزحام.. حتى دقت الطبول، وعلا معها صوت النفير بعدما وصل الحاكم وزوجته ومساعديه، واتخذوا أماكنهم بسرادق فخمة مرتفع أمام منصة الذبيح ثم صعد رجل ضخم إلى المنصة الخشبية ويده سيف طويل، ونظر إلى الحاكم وانحنى له.. بعدها دقت الطبول كثيرًا، وصمتت الموسيقى، وصعد جنديان أقرباء بحيران «خالد» حليق الرأس، مكبل اليدين والقدمين.. فدقت الطبول مرة أخرى، ونزل أهل المدينة جميعهم على ركبهم بعدما أسقط «خالد» على ركبتيه، والناس ينظرون إليه، وبينهم «يامن» الذي أثار أن يغمض عينيه ثم نظر السيف مجددًا إلى الحاكم فأشار إليه بأن يتابع عمله، وكاد يوجز ظهر «خالد» كي يشهق برأسه.. حتى صاح فتى بين من يقفون:

- إنه غني.. إنه غني..

فنظر إليه «خالد» فوجده ذلك الفتى الذي أنقذه من الغرق من

قبل.. ثم صاح رجل آخر:

- نعم.. إنه ليس فقيرًا..

فتفتح «يامن» عينيه.. ثم نظر إلى «خالد» فوجده ليس شاحبًا..

فصاح هو الآخر:

- نعم.. إنه ليس فقيرًا..

و«خالد» ينظر إلى ذراعيه في دهشة، وقد زال شحوبهما، ثم وجد

الفتى يسرع إلى المنصة ويجثو على ركبتيه بجواره، ويتحدث إلى الحاكم

ومن معه، وقد علا صوته:

انظروا إليه.. إنه ليس فقيرًا.. وأنا أيضًا لست فقيرًا.. إن كنتم

تريدون إن تذبحوا من ليسوا فقراء احتفالًا بمولودكم.. فاذبحوني

معه..

ثم فرجى «خالد» بأم الصبي الذي أنقذه من ضربة الشمس تسرع

مع طفلها إلى المنصة، وتجثو على ركبتيها، وصاحت:

- لقد أنقذ هذا الشاب ولدي، ولن أتركه يموت ظلمًا.. حنا أنا

وولدي لنا فقراء أيضًا.. فاذبحونا معه..

ثم صاحبت فتاة بين من يقفون بالأسفل، وكانت فتاة الليل بالمنطقة الشمالية:

- أقسم أنه ليس فقير.. أنا أعرف هذا الشخص جيدًا.. أنظروا إلى جلده.. كيف يكون هذا جلد فقير..

ثم صاح «يامن» مجددًا:

- منذ متى يذبح الأغنياء هنا..

حتى فوجئ بجميع من كانوا يعملون معه بتكسير الصخور يصيحون جميعًا:

- إنه ليس فقيرًا.. إنه ليس فقيرًا..

وسادت الضوضاء ساحة الاحتفال، وصعد الكثيرون إلى المنصة، وسقطوا على ركبهم بجوار «خالد»، وجميعهم يقولون إن كان سيذبح فإنهم يريدون أن يذبحوهم أيضًا طالما تواجد الظلم بذلك اليوم.. حتى نظر الياف إلى الحاكم، وكأنه لا يدري ماذا يفعل بعدما امتلأت المنصة بالكثير من عمال زيكولا.. فهض الحاكم، وسأل أحد ماعديه:

- أين طيبة زيكولا؟

فأجابته إحدى الوصيفات:

- ليس لها وجود منذ الأمس سيدي..

فصاح إلى مساعده:

- أريد طيب تلك المنطقة على الفور..

فتقدم أحد الأشخاص، وانحنى إليه ثم تحدث:

- أنا طيب المنطقة الشرقية بعد الطيبة «أسيل»..

فنظر إليه الحاكم:

- أريدك أن تخبرني كم يمتلك هذا الشاب من ذكاء..

فانحنى إليه الطيب مجددًا:

- حسنًا سيدي..

ثم اتجه الطيب إلى المنصة، واقترب من «خالد»، والصمت قد

خيم على الجميع.. يترقبون ذلك الطيب، وقلب «يامن» ينتفض بقوة

واحسبت أنفاسه.. وهو يراه يضع يده على جلد «خالد»، ويمسك

بشياته ثم نظر إليه كثيرًا.. ثم عاد إلى الحاكم مجددًا:

- سيدي إنه ليس فقيرًا.. إنه يمتلك الكثير من وحدات الذكاء تجعله

أكثر ثروة من الكثير من أهالي زيكولا..

فسأله الحاكم:



- وكيف لم ينج من الزيكولا..

فابتسم الطيب:

- نعلم جميعًا إن الزيكولا تمثل القدر سيدي.. وقد لا يتجو منها أكثرنا  
ثروة..

فصمت الحاكم ثم نظر إلى الطيب مجددًا:

- ولماذا اختارته الطيبة، وهو يمتلك تلك الوحدات من الذكاء.. أتريد  
أن يكون الاحتفال بولدي بأن أظلم أحدًا..  
ثم تابع:

- إنها بما فعلته خائنة لزيكولا..

ثم نظر إلى أحد مساعديه:

- لم تعد تلك الفتاة طيبة زيكولا بعد اليوم.. بل لم يعد لها مكان  
بزيكولا.. لا يوجد بيننا مكان لخائنة..

ثم نظر إلى «خالد» الذي كان يترقب الحاكم دون أن يسمع حديثه  
بينه وبين مساعديه وطيبه:

- لقد عفونا عنك يا بني.. إننا لا نظلم أحدًا.. ليست زيكولا  
أرضًا للظلم.. سيكون مولودي أكثر سعادة وفخرًا باحتفالك معنا..

ثم أمر قائد الحرس بأن يطلق سراحه.. فصاح الجميع مهللين،  
وأصرع «يامن» إلى المنصة، واحتضن «خالد»، ودموعه تتساقط:  
لقد نجوت يا صديقي.. لقد فعلتها.. كنت أعلم أنك ستنجو..  
ثم اقترب «خالد» من ذلك الفتى الذي صعد إلى المنصة فابتسم الفتى،  
واحتضنه:

- مبارك عليك أيها القوي..

فابتسم «خالد»، وعينه تلمعان بالدموع:

- لقد أنقذت حياتي..

فابتسم الفتى:

- أنت من أنقذت حياتي أولاً..

ثم بدأت الاحتفالات من جديد، وتعالى الموسيقى والتي بدت  
وكأنها أكثر بهجة.. وبدأت الفتيات ترقصن من جديد.. والكثير من  
أهل زيكولا يتجهون إلى «خالد» ليصافحوه، و«خالد» يسير بينهم،  
وتقلب عيناه بكل مكان.. يتحرك بين الزحام بصعوبة.. يبحث عن  
شخص واحد لا يريد سوى أن يجده.. إنها «أميل».. يتحرك في كافة  
الاتجاهات يتمنى أن يجدها.. ويسأل كل من يقابله.. هل رأيت

الطبيبة.. والموسيقي تنزايد، و«خالد» يبحث بين الفتيات، وكلما وجد فتاة تشبهها يقترب منها.. حتى يعتذر حين لا يجدها هي.. حتى أصابه اليأس، وغادر ساحة الاحتفال، وجلس على جانب أحد الشوارع وحيداً بعدما فقد «يامن» وسط الزحام، وظل يفكر بما حدث له، وكأنه لا يمي شيئاً مما عاشه، وينظر إلى ذراعيه مجدداً، ويأل نفسه كيف حدث ذلك؟.. وأين «أسيل»؟.. ولماذا لم تحصل مع أهل زيكولا كعادتها؟.. حتى اقتربت منه طفلة صغيرة:

- سيدي.. عليك أن تذهب إلى البحيرة الآن..

فابتسم «خالد» إليها:

- لماذا؟

فابتسمت الطفلة ثم جلست بجواره، وأكملت:

- لا أعلم.. لقد أخبرتني الطبيبة بالأمس.. بأن أخبر من ينجو من الذبح بأن يذهب إلى البحيرة...



اتسعت حديقنا عيني «خالد» بعدما سمع هذه الكلمات:

الطيبة؟؟!! «أسيل» ..

ثم أسرع عَدُوًّا إلى البحيرة.. يذق قلبه بقوة.. لا تنطق شفتاه سوى بكلمة واحدة.. «أسيل».. وينطلق بين من يحتفلون، ويرتطم بهم ثم ينحني لهم ليقدم اعتذاره.. ثم ينطلق مجددًا، وقد ارتسمت البسمة على وجهه .. حتى وصل إلى شاطئ البحيرة، وظل يبحث عنها بكل مكان به، وصاح بصوته.. «أسيل».. «أسيل».. ولكنه لم يجدها، وظل يصيح بصوته يناديها، ولكن دون جدوى حتى اقترب من شجرته التي ظلما جلس بجوارها، وقد بدا على وجهه الحزن، فلمح ورقة قد علقت بتلك الشجرة، وتحرك مع الرياح، فالتفتها على الفور فوجدتها تبدو كرسالة تركها «أسيل».. وقد كتبت بها:

(لا أعلم كيف أبدأ حديثي.. ولكنني أتمنى أن تقرأ كلماتي تلك يا «خالد».. ربما لست ماهرة في الكتابة مثلك.. ولكنني أريد فقط أن أعبر عما يدور بذهني.. أريدك أن تعلم كم كنت أحبك.. لقد أحيتك منذ رأيته تنفذ الفتى من الغرق.. وأنت من جعلني أشعر بالأنانية بعدما لم

أردك أن تغادر وتترك زيكولا.. كنت أظهر لك مساعدتي، ولكنني لم  
أتمن لحظة واحدة أن تغادر...

«خالد» لم استطع أن أراك ذبيح زيكولا، وأظن أنا أحتفل بذلك  
اليوم.. أريدك بعد أن نجوت أن تخبر غيرك بأنك تمتلك أغلى كتاب  
بتاريخ زيكولا.. كما أنك تمتلك أيضًا أغلى قُبلة بتاريخها..

أتذكر حين أخبرني أنك لا تمتلك شيئًا تنال مقابله وحدثات  
ذكا.. إنك لا ترى ما تمتلكه يا «خالد».. لقد رأيت ذلك.. كانت  
تكفيني تلك القُبلة كي أدفع لك أغلى الأثمان مقابلًا لها.. كي تنجو من  
ذلك اليوم، وتعود إلى حبيبتيك ذكيًا كما كنت.. أريدك فقط أن تعود  
إليها وتعيش سعيدين.. أنا أعلم أنها لن تجد مثلك، وأعلم أيضًا أنك لن  
تستطيع العيش هنا، وأعلم جيدًا أنني لن أستطيع العيش بعالمك.. عُد  
إليها، وأتمنى أن تتذكرني بين الحين والآخر..

ربما نجد ذلك النجم بالسماء.. فإن وجدته فأعلم أنني أراه أيضًا  
وأتمنى لك السعادة وقتها.. أعتقد أنني لن أترك السماء ليلة دون أن  
أناقلها بحثًا عن ذلك النجم..

لقد أخبرتك أنني إن تركت زيكولا سأتركها لبب قوي للغاية  
ولا أعتقد أنني سأجد شيئًا أقوى من إيفانك على قيد الحياة، وأريدك أن

تخبر «يامن» أنني أعلم جيدًا أنه من يحب سيفعل كل شيء من أجل من يحبه..

سأذهب إلى بلدي بيجانا، وسأعمل هناك طيبة أيضًا.. أعلم أنهم في حاجة إليّ، وسأخبرهم دومًا عن ذلك الشاب الذي أتى إلى زيكولا، وعمل الكثير من الخير دون أن يتقاضى مقابلًا له..

في النهاية اسمح لي يا «خالد».. لقد احتفظت بأوراقك التي طالما جعلتني أشعر بسعادة لم أذوقها من قبل.. وأتمنى أن تكون قد شعرت بكلماتي، وأعلم أنني لست ماهرة بالكتابة.. ولكن عليّ أن أرحل الآن قبل أن تشرق الشمس، ويفلق باب زيكولا..

فهمس «خالد» إلى نفسه هاتئًا:

- باب زيكولا..

ثم أسرع يعدو تجاه باب زيكولا.. يجري ولا يشعر بشيء من حوله.. يجري ولا تدور برأسه سوى كلمات «أسيل».. يجري مسرعًا كأنه لم يجر من قبل.. يتمنى أن تنقله الرياح إلى ذلك الباب.. من يراه يندهش، ويرتطم بهذا وذاك.. ويواصل عدّوه، ويسقط وينهض ليعدو مرة أخرى.. يستمع إلى أنفاسه المتسارعة، ويكمل عدّوه وسقطت منه

الورقة فتركها.. وأكمل طريقه.. حتى وصل إلى باب زيكولا فوجده مغلقًا، وأمامه حارس ضخّم الجثة فصاح به «خالد»:

- أريد أن أخرج..

فابتسم الحارس:

- ألا ترى؟؟.. لقد أغلق الباب مع شروق شمس اليوم..

فصاح «خالد» مجددًا:

- لا بد أن أخرج..

فظهر الغضب على وجه الحارس حتى صاح «خالد» مرة أخرى، وحاول أن يزيح الحارس بذراعه فدفعه الحارس بدرعه فعاد خطوات إلى الخلف، وسقط ثم نهض مجددًا، وعاد إلى الحارس:

- أريد أن أخرج..

فضربه الحارس ضربة قوية بدرعه أسقطته على ظهره، وجعلت الدماء تتزف من وجهه فاقترب منه «يامن»، وأمسك بكتفيه:

- هيا يا «خالد».. لا بد أن نرحل عن هنا..

فنهض «خالد» مجددًا، ونظر إلى الباب الضخم.. وانتفخت عروق رقبته، وصاح بصوته وكأنه يود أن يهز جدران تلك المنطقة:

- «أسيل».. «أسيل»..

فجذبه «يامن»:

- هيا يا «خالد».. هيا.. لا بد أن نرحل عن هنا..

ثم أعطاه ورقة «أسيل» التي سقطت منه، وابتسم إليه:

- لا تستطيع «أسيل» العودة إلى هنا مجددًا..

- كانت تعلم أنها ستصبح في نظر تلك المدينة خائنة.. ففضلت أن تتركها بكافة ما تمتلكه..

فصاح به «خالد»:

- إنها ليست خائنة..

فابتسم «يامن»:

- أعلم ذلك يا صديقي.. لقد قرأت تلك الورقة ثم نظر إليه:

- لقد ضحكت بكل شيء من أجل حياتك يا «خالد»..

- أنت تعلم ما كتبته إليك.. ما تمنته لك أن تعود إلى حبيبتي في عالمك..

وأن تعيش حياتك سعيدًا.. هذا سيكفل لها السعادة..

- «خالد» عليك أن تفعل ما يجعلها سعيدة الآن..

فنطق «خالد» حزينا:

- كان لا بد أن تعرف أن حبيبتي تلك قد تزوجت.. فصمت «يامن» ثم

ابتسم إليه:



- لن تستطيع «أسيل» العودة إلى هنا.. ولن تستطيع أنت اللحاق بها.. عليك أن تعود إلى بلدك.. لقد فعلنا الكثير كي نتحقق أمنيتك بعودتك إلى بلدك..

فجلس «خالد»، وأمسك برأسه.. وحدث نفسه بصوت مسموع:

- لم أكن لأرضى أن تفعل ذلك..

فصاح به «يامن»:

- ولكنها فعلته، ولم يعد هناك وقت لما تفعله الآن.. هيا انهض..

ثم جذبته:

- أعلم أنك صديقي، ولكن أيتها الصديق لا أريدك أن تظل هنا بلدي.. عليك أن تعود إلى بلدك..

فضحك «خالد» ساخراً:

- بلدي؟! كيف؟

- لا بد وأن صاحب البيت بالمنطقة الغربية قد عاد إليه، وانتهى كل شيء.

فصمت «يامن» ثم أكمل مبسماً:

- أوريها لم يعد بعد..

ثم أكمل:

- سيعود إلى بيته بعد غد..

فنظر إليه «خالد» متعجبًا:

- كيف وقد أخبرنا القنى بأنه سيعود إلى بيته مع يوم زيكولا..  
فأبتم «يامن»:

- أعتقد أن ماتي وحدة ذكاء كافية لتجعله يترك بيته ليلتين..  
فنظر إليه «خالد» في دهشة:

- مائتا وحدة؟؟!  
فأبتم «يامن»:

- نعم..

فأله «خالد» مجددًا:

- أعطيته ماتي وحدة؟!  
فأجابه «يامن»:- نعم..

فنظر إليه «خالد»:

- كيف تدفع تلك الوحدات؟

فأجابه «يامن»، وما زالت الابتسامة على وجهه:

- ليست «أسيل» فقط من تقدم المساعدة.. حين جعلتنا نتخلص  
من آخذي وحدات الحماية كي نأكل دجاجًا، ونوفر وحدتين كل يوم..  
لم أكن أأكل الدجاج.. ثم زادت ابتسامته:

- لم أخبرك من قبل أنني لا أحب الدجاج.. وسأعني لأنني لم  
أحضر منافسة الزيكولا بالأمس.. كان لابد وأن أمكث هنا أمام ذلك  
الباب، وانتظر النهار بأكمله كي أجد صاحب البيت، وأقدم له عرضي  
قبل أن نفقده ويضيع كل شيء..  
فسأله «خالد»:

- وما مقابل تلك الوحدات يا «يامن»؟..  
فنظر إليه «يامن»:

- لا تكفي تلك الوحدات مقابلًا لتلك الشهور التي كنت بها صديقًا  
وفيًا..

فابتسم «خالد» ثم احتضنه، فهمس «يامن» إلى أذنه:

هيا عليك أن ترحل الآن.. الطريق إلى المنطقة الغربية طويل..  
هناك يتظرك «إياد».. ستعطيه ذلك الحصان حين تصل إليه.. ثم أشار  
إلى حصان أسود قد عقله بالقرب منها وتبدو عليه القوة.. فسأله  
«خالد»، وكأنه لا يصدق مفاجآت «يامن»:

- ومن أين لك هذا الحصان أيضًا..  
فابتسم «يامن»:

- لا تقلق، لقد استأجرته كي آتي به إلى هنا.. كان لابد أن أسرع إلى هنا.. ولكنني تذكرت أن الحصان لابد وأن يعود إلى صاحبه بالمنطقة الغربية، وأنا إن ذهبت إلى هناك كي أعيده.. فكيف أعود هنا مجددًا؟!..

ثم أكمل ضاحكًا:

- أنا جئت به.. وأنت ستعود به..

فابتسم «خالد»:

- أكيد مش هلاقي صاحب زيك يا «يامن»..

فابتسم «يامن»:

- هأنت قد عدت إلى لهجتك الجميلة يا صديقي..

- هيا لا تضيع وقتك، وتذكرني دائمًا، وأنا سأظل هنا لأحكي للصغار أن صديقي صاحب أغل كتاب وأغل قُبلة بتاريخ زيكولا.. القُبلة التي أنقذت حياته يوم زيكولا.. ثم أتى بالحصان إلى «خالد» فامتطاه «خالد»، ونظر إليه:

- «يامن».. تعلم أن هناك شابًا قد يكون أخي بالمنطقة الشمالية.. إن قابلته يومًا، وكان في حاجة إلى مساعدة فلا تأخر عنه..  
فابتسم «يامن»:

ثم ضرب مؤخرة الحصان بيده، وصاح:

- هيا إلى طريقك.. سيعطيك «إياد» كتابك حين يجدهك.. أما أنا سأذهب لأحتفل مع أهل زيكولا.. أشعر أنني في حاجة كي أرقص مع إحدى الفتيات.. كفاني تلك الجرعة من الحزن في الأوقات السابقة..



بدأ «خالد» يتحرك بحصانه، وينظر إلى «يامن» الذي يقف مبتسماً ويلوح له بيده، والحصان يتحرك ببطء، و«خالد» ينظر إلى بيوت المنطقة الشرقية وقصورها التي عاش فيها لشهور.. حتى اختفى «يامن» عن أنظاره، وتحرك نحو البحيرة.. فابتسم ثم اقترب منها، وارتجف ونزل ليشرب من مانها.. ثم امتطى حصانه مجدداً، وأمره أن ينطلق في طريقه إلى المنطقة الغربية، والشمس تسطع فوق رأسه الحليق.. يتطاير فميصه مع الهواء، ويسرع حصانه كأنه سهم يشق الطريق نحو الغرب.. بينما تنطلق «أسيل» بحصانها خارج زيكولا تجاه بيجانا نحو الشرق.. يسير كلاهما في طريقه، ويتبعد كل منهما عن الآخر.. «خالد» لا يفكر إلا في كلمات «أسيل»، و«أسيل» لا يدور برأسها سوى «خالد».. يبتسم حين يتذكر حديثه إليها عن التليفزيون، وتبتسم هي بعدما تذكرت احمرار

وجهه حين قبلته .. ينطلق الحصانان كل نحو قدره الذي اختاره صاحبه، وتتحرك فوقها الشمس من الشرق إلى الغرب، وكأنها تراقبها على ظهر تلك الأرض وهما يجتمعان للمرة الأخيرة، و«خالد» يسرع ويقلب عينيه بين صحراء زيكولا وكأنه يودعها، وينظر إلى مناطقها التي يمر عليها ويشير إليها بيده، وكأنه يخبرها بأنه سيرحل .. و«أسيل» تخمض عينها كأنها تتمنى لـ«خالد» أن يحقق ما يريد .. حتى بدأت الشمس في الغروب إيذاناً برحيل ذلك النهار ..

حل الليل، وقد وصل «خالد» إلى أطراف المنطقة الغربية، واتجه نحو البيت الذي يقصده على الفور، وما إن وصله حتى دلف إليه بحصانه، وهناك وجد «إياد» في انتظاره، والذي صاح:  
- لقد سمعت بها حدث اليوم .. هنيئاً لك يا صديق ..

- فابتسم «خالد»:

- شكراً يا صديقي ..

- ثم ارتحل، وأشار إلى حصانه:

- هذا هو الحصان الذي استأجره «يامن» .. إنه أسرع حصان رأيت بزيكولا .. لقد أحسن «يامن» الاختيار تلك المرة ..

فابتسم «إياد» ثم أخرج كتابه:

- وهذا هو كتابك..

فايتسم «خالد»:

- ما زلت أدين لك بأجر متابعة حفر ذلك النفق..

فضحك «إياد»:

- لقد أعطاني «يامن» ذلك الأجر.. لم أطلب الكثير..

فايتسم «خالد»:

- «يامن»..

فسأله «إياد»:

- هل سترحل الآن؟..

فايتسم «خالد»:

- نعم

فأكمل «إياد»:

- لقد قرأت بعض الصفحات من كتابك..

- لقد أسعدك الحظ يا «خالد».. إن الليلة بدر أيضًا.. سيكون سرداب

فوريتك مضاء..

فايتسم «خالد» بعدما تذكر أن السرداب يكون مضاء ليلة البدر

ثم نظر إليه «إياد» وأعطاه مصباحًا ناريًا:

- ذلك المصباح سيلزمك حتى تمر من النفق.. إن التهوية بنفقتنا جيدة، ولكن تعلم أن إنارة ذلك المصباح ستنتهي مع انتهاء زيتة..

فابتسم «خالد»:

- حناً، ولكن عليكم أن تغلقوا طرف ذلك النفق بعد ذهابي..

فابتسم «إياد»:

- بالطبع يا صديقي.. إن اكتشف أحد ما فعلناه فنصبح خائنين لزيكولا..

فوضع «خالد» يده على كتف إياد ثم صافحه، ووضع كتابه بين بطنه وينطاله أسفل قميصه، واتجه إلى فتحة ذلك النفق، ونزل السلم الخشبي بها، وبيده المصباح.. وأشار إلى «إياد» مودّعاً له..



بعدها نظر «خالد» إلى النفق الأفقي فوجد مظلماً.. فسمى الله، وبدأ يزحف على ركبتيه، وبيده المصباح، وينظر أمامه، ويحدث نفسه ليست إلا أمتار وأكون خارج زيكولا.. يتحرك مسرعاً، ويشعر أن نشاطه قد عاد إليه بعدما افتقده الأيام السابقة.. يحدث نفسه:

- أرحل من أجل «أسيل».. أرحل من أجل جدك.. أرحل من أجل «يامن»، ويواصل زحفه، ويتجنب الدعائم الخشبية التي تركها



من صنعوا ذلك النفق.. يتوقف للحظات ليلنقط أنفاسه ثم يشم،  
ويحدث نفسه مجددًا:

- مازلنا في البداية يا «خالد».. هيا.. ثم يكمل تحركه حتى لمح  
الفتحة الأخرى للنفق، والنور يتسرب خلالها فأسرع من تحركه.. يجذبه  
الأمل نحوها.. هيا.. يا «خالد» هيا.. إنها لحظات.. هيا.. هكذا كان  
يحفز نفسه، ويزحف بقوة حتى وصل إلى تلك الفتحة، وقفز إلى  
خارجها، ومازال مصباحه بيده حتى وجد نفسه بأرض رملية يظهرها  
نور البدر الذي يسطع بالسماء، والتفت ليدق قلبه بقوة حين وجد سور  
زيكولا بشموخه خلفه.. فصاح فرحًا:  
- أنا خارج زيكولا.. أنا خارج زيكولا..

وظل يعود بقدمه خطوات للخلف، وينظر إلى سور زيكولا وإلى  
ارتفاعه الشاهق الذي طالما كان عائقًا له.. حتى انزلت قدماه في الرمال  
فجأة، وسقط على ظهره، وسقط المصباح بعيدًا عنه، ومالبت أن يمد  
يده كي يلتقطه حتى وجد جسده يسقط بحفرة وسط الرمال، وظل  
جده يهوي لأسفل، ويرتطم بجدران تلك الحفرة، ويهوي أكثر فأكثر  
دون أن يتوقف، ويمسك برأسه التي ارتطمت كثيرًا، وبدأت الدماء  
تنزف منها.. حتى بدأت حركته تقل شيئًا فشيئًا.. ثم توقف جسده عن

الارتظام لينظر أمامه ليجد نفقًا ممهدًا يتجه بانحناء لأسفل ولاحد  
الاتجاهات فصاح «خالد»:

- نعم.. إنه أحد فرعي سرداب فوريك..

ثم أخرج الكتاب من بظالته وقبله، وصاح:

- إنني لست في حاجة إلى مصباح.. إنه مضاء بنور البدر..

ثم أسرع به يجرى.. الطريق يأخذه لأسفل، ولا يفكر بشيء سوى  
أن يسرع بذلك الطريق.. يريد أن يصل إلى ما يريده.. يعلم أن انحناء  
الطريق لأسفل ربما لب لا يعلمه.. إنه صمم كذلك.. ربما كان سببًا  
كي يحتوي فرعي زيكولا بالكامل.. أو ربما كانت هناك فروع أخرى..  
يتحدث إلى نفسه، وتدور بعقله تفسيرات لا يأبه بها كثيرًا.. حتى سقط  
وتدحرج بجسده مجددًا فابتسم ونهض، وأكمل عذوه، وكلما سقط  
تدحرج جسده قليلًا ثم ينهض مجددًا، ويكمل عذوه، وظل يواصل  
طريقه، والوقت يمر.. وكلما أصابه التعب وقف للحظات كي يلتقط  
أنفاسه ثم يسرع مجددًا، ويحدث نفسه ليحفرها:

- هيا يا «خالد».. هيا.. لم يعد سوى القليل..

حتى زاد تعب فجلس، وأسند ظهره إلى جدار، ومسح بذراعه  
حيات العرق التي أغرقت جبينه.. ثم نهض مجددًا، وسار بضع خطوات

حتى وجد صورة تشبه الصورة التي وجدها حين نزل السرداب لأول مرة، والصورة التي نُقِشت على سور زيكونا بالمنطقة الغربية فوقف أمامها، وابتسم:

- فوريك..

وما إن مرَّ أمامها حتى شعر بذات الهزة العنيفة التي حدثت من قبل حين يجيشه للسرداب للمرة الأولى، ونظر خلفه ليجد جدران السرداب قد بدأت في الانهيار.. فابتسم وبدأ يعدو.. يسرع.. والجدران تنهار من خلفه.. تخطو قدماء بسرعة.. يعلم أن الانهيار من خلفه يدفعه لطريق مقصود.. يسرع ويخشى أن يلحقه الانهيار فتتحطم معه آماله.. هيا يا «خالد».. يحفز نفسه.. هيا.. حتى بدأ الصوت يقل من خلفه، وهدأت الحركة العنيفة، ولم تعد هناك انهيارات للجدران، وما إن نظر أمامه حتى وجد نفسه في طريق للسرداب أكثر اتساعاً، وجدرانه منقوشة بنقوش كثيرة.. فصاح:

- سرداب فوريك.. سرداب فوريك الأساسي..

وأسرع به، وترنطم قدماء بالهياكل العظمية المتشرة بأرضيته، وأكمل جريه حتى وصل إلى سلمه الطويل فأسرع إليه وصعد درجاته.. بخطو العديد منها بخطوة واحدة منه.. يحدث نفسه.. لم يعد سوى

القليل يا «خالد» .. يصعد ولا ينظر خلفه .. ينظر إلى درجات السلم المتبقية، ويخطوها مسرعًا .. حتى وصل إلى أعلاه فتوقف وانحنى بكمك ركبته ليكتظ أنفاسه، وكأنه يفكر، ويتذكر يوم نزوله السرداب للمرة الأولى، وحدث نفسه بصوت يسمعه:

- ها أنا قد مررت من السرداب ..

- الآن النفق ..

- عليك أن تسرع يا «خالد» .. لا يوجد هواء بالداخل ..

ثم صمت وأكمل:

- ولا توجد إضاءة .. عليك أن تتذكر جيدًا كيف كان مارك بهذا النفق ..

ثم اغمض عينيه، وكأنه يتذكر ثم فتحهما مجددًا، ونظر إلى الفتحة ذات ألواح الخشب المتكسرة، والتي تصل سرداب فوريك بالنفق المظلم .. وسمى الله ثم ملأ صدره بالهواء، وأسرع إليها فوجد الظلام يسود بداخله، وأسرع يزيح شبك العنكبوت التي تملؤه، ويسرع، ويتذكر في لحظات طريقه حين نزله .. يسرع في الظلام، وكلما وجد طريقه خاليًا يتقدم أكثر .. يتحرك كأنه يغطس بأعماق محيط .. تحركه كمية الهواء التي التقطها منذ دخوله بعدما لم تكف فتحة ذلك النفق

لتدخل المزيد من الهواء، وكأنه قد صمم ليكون قبرًا للاختناق حتى لو لم يكن مغلقًا بالكامل، وبدأ «خالد» يشعر بالاختناق، ولكنه أكمل طريقه، وتسارعت أنفاسه، ودق قلبه سرعًا، وبرزت عيناه حتى ارتطمت قدماه بشيء صلب، وحين تحس أنه سَلَم النفق فصعد درجاته على الفور حتى اصطدمت رأسه ببابه الفولاذي الذي قد أغلق حين انكسر اللوح الخشبي، فبدأ يدفعه بقوة.. يعلم أنه يستطيع ذلك.. يدفعه ويحاول أن يرفعه.. يحفز نفسه، وقد أخرج ما لديه من هواء - هيا يا «خالد».. إنها لحظات.. هيا..

ويضغط على أسنانه، ويدفع بكتفيه.. حتى بدأ الباب يرتفع قليلًا، واندفع الهواء إلى صدره:  
- هيا يا «خالد»..

حتى ارتفع الباب بأكمله، وقفر «خالد» إلى خارجه، وسقط بجواره، وصدره يعلو ويتخفّض سرعًا.. وصاح:  
- أنا رجعت..

وأمسك برأسه وكأنه لا يصدق نفسه.. يجلس بجوار الباب الفولاذي، وينظر إليه ويتحسس وجهه وكأنه يتيقن أنه ليس نائمًا.. ثم ينظر إلى ملابسه الزيكولية، ويتحسس رأسه ليجده حاليًا فأدرك أنها

حقيقة .. ثم أغلق باب النفق من جديد، وأسرع إلى الخارج فوجد  
الظلام يسود السماء ثم عبر السور العالي الذي يحيط بذلك البيت  
المهجور، وما إن عبره حتى سمع أذان الفجر يهزُّ كافة أرجاء بلدته ..  
البهوفريك .. فابتسم، وبدأ يكرر الأذان كلما سمع كلماته، وأسرع بين  
شوارعها الخالية، وكلما رأى أحد الأشخاص يمر .. حاول أن يتبسم  
حتى لا يراه بهذا الزي .. حتى اقترب من بيته، وما إن وصل إليه، ودقَّ  
الباب بقوة حتى وجده مفتوحًا قليلًا فأدرك أن جده قد فتحه كما دونه مع  
حطول الفجر، ثم دلف إليه فوجد جده يصلي الفجر جالسًا، ويعلم  
صوته بآيات من القرآن، فجلس خلفه في انتظاره، وتناظرت دموعه  
حين سمع دعاءه بأن يعود إليه سالمًا حتى انتهى والتفت فوجد «خالد»  
خلفه فتسارعت أنفاسه وكأنه لا يصدق نفسه، واحتضنه بقوة ودمعت  
عيناه:

- «خالد» ..

أما «خالد» فقد بكى كثيرًا حين احتضنه جده، وكأنه لا يصدق  
نفسه، وظل يحتضنه ويمسح رأسه بكنفه، ويبتسم بينها يرتشف دموعه:  
- كنت بقولك هرجع لك يا «عبد» ..  
قلت لك إني هرجع ..

ثم سقط، وكأنه قد أغشى عليه..



ظل «خالد» نائماً، وبدا عليه أنه لم ينم لأيام طويلة، وبجواره جده.. يجلس لينظر إليه، وقد بدّل له ملابس، ولم يرد أن يفتح ذلك الكتاب الذي أحضره معه «خالد» إلا بعدما يخبره «خالد» بما حدث له أولاً، وقد مر يوم كامل دون أن يستيقظ «خالد» حتى نهض فوجد جده بجواره، ومعه صديقه المعجوز.. يجنون السرداب.. الذي كان أول من يخبره عن حقيقة سرداب فوربك، وما أن رآه قد فتح عينه حتى صاح:

- «خالد» صحي..

فابتسم «خالد»:

- لا بد أنكم قد أصابكم القلق..

فاندّھش الرجل مما سمعه فضحك «خالد»:

- عارف إن لمجنّي أوقات بتتغير.. بس قريب أوي هسعيد لمجنة البهر فوربك..

فقاطعه جده:

- يلا يا «خالد».. احكي لنا اللي حصل لك..

ثم تدخّل الرجل:

- أنت نزلت السرداب فعلًا؟

فايتسم «خالد»:

- من أين تريدون أن أبدأ قصتي..

ثم بدأ «خالد» يحكي عما حدث له منذ نزوله ذلك النفق أسفل البيت المهجور بالقرية، وما حدث له به، ونزوله إلى سرداب فوريك الحقيقي، وتلك الصورة به، وما به من هياكل عظمية ثم خروجه إلى أرض زيكولا، وظل يحكي لهما، وهما يستمعان إلى كل كلمة يقولها.. يحدثنهما عن قوة تلك المدينة، وعن أهلها وعن طقوسها الذي يبدو ثابتًا مع تغير فصول العام.. وعن عمله هناك، وعن يوم زيكولا، وعن «يامن» و«أسيل»، وعن رحلته خلف ذلك الكتاب الذي يوجد بين أيديهم، ولكنه أثر ألا يخبر جده بأن أباه قد قُتل كي يرثه ابنه.. بل إنه لم يذكر سيرة أبيه أو أخيه على الإطلاق، وأثر أن يحتفظ بذلك السر خشية أن يسبب مزيدًا من الحزن لجده، وظل يحكي ويحكي، وعمر الدقائق وتبعها الساعات، ولم يتركاه دون أن يسألاه عن تفاصيل كل جملة يقولها.. حتى انتهى فنظر إلى جده وصاحبه:

- أريد أن يظل حديثنا هذا سرًا بيننا..

فاندھش صديق جده:



- وليه منقولش للناس كلها..أنت بطل..  
فأجابه «خالده»:

- لن يصدقك أحد.. لن يقولوا بطل.. سيقولون مجنون..  
فقاطعه الرجل مجدداً:

- الكتاب أحسن دليل..  
فابتسم «خالده»:

- سيقولون أنك أحضرت ذلك الكتاب من مكان آخر.. أريد فقط أن  
يظل هذا السر بيننا.. أريدكما أن تعداني بذلك..  
فابتسم جده:

- حاضر..

وابتسم الرجل:

- وأنا كما ن بوعدك..

ثم ضحك جده:

- أكيد «منى» هتفرح لما تعرف إنك رجعت.. دي على طول كانت  
بتسأل عليك، وعمرها ما سابتي لوحدي..

فباله «خالد»:

- هي متجاوزتش؟! -

فايتسم جده:

- لا -

ثم أكمل:

- «منى» بتدي لأبيها دروس من جديد.. زي اللي بترد له كل اللي عمله فيك.. كل ما يتقدم لها عريس ترفض.. وتبوظ الجوازة لأي سبب.. وحلفت قدام الناس إنها مش هتجاوز..

فايتسم «خالد»:

- أكيد طالعة مجنونة لأبوها..

فايتسم جده:

- هي مش هتتجاوز إلا أنت يا «خالد»..

فايتسم «خالد»:

- لكني لا أريد الزواج الآن..

حتى فوجئوا بـ «منى» تدخل إليهم فجأة، ونظرت إلى «خالد» في

سعادة:

- «خالد».. أنا عرفت إنك رجعت..

فابتسم «خالد»:

- نعم..

فأكملت:

- أنا مبسوطة أوي إنك رجعت يا «خالد»..

فابتسم:

- شكرًا «منى».. أشكرك لأنك كنت بجوار جدي تلك الفترة..

فضحكت «منى»:

- أنت بتكلم كدة ليه؟.. هو الممفر أثر على كلامك ولا أيه؟

فضحك «خالد»:

- نعم..

ثم نهض جده، وصاحبه، وتركاهما فابتسمت «منى»:

- أنا حلفت لأبويا إن مش هتجوز إلا أنت.. وإن متجوز تكش مش

هأتجوز طول عمري والي بعمله يعمل..

فصمت «خالد» دون أن يرد فتابعته:

- «خالد».. أنا مش شايفاك فرحان بكلامي ليه.. أنت حيت حد نافي

وأنت مافر؟

فابتسم «خالد»:

- «منى».. أنا رجعت من السفر زي ما أنا.. اعتبريني هبدأ من جديد..

فابتسم:

- خلاص.. وأنا موافقة نبدأ سوا..

فنظر إليها «خالد» في هدوء:

- أرجوكي يا «منى».. محتاج شوية وقت عشان أرتب أموري..

فظهر الحزن على وجه «منى» وهمت للمغادرة:

- حاضر يا «خالد» ثم غادرت..



كان «خالد» يعلم أن «منى» تحبه، ولكنه أراد ألا يسرع في حديثه معها، وأراد أن يتحقق من مشاعره تجاهها، وخاصة أنه لم يفتق بعد مما حدث له بزيكولا وبعده عن «أسيل»، وعزم على أن يجد عملاً يحقق له ذاته، وظل يبحث عن عمل ملائم لدراسه، وذهب إلى أماكن كثيرة.. يبحث عن عمله دون أن يصيبه تعب أو ملل، ويتسم حين تضيق الدنيا أمامه، ويحدث نفسه ذاتياً:

لابد وأن هناك أملاً.. ماذا بعد نجاتي من الموت قبل لحظات..  
يبحث نهاراً ويعود إلى شرفة بيته ليلاً ليتأمل سماء بلدته بحثاً عن ذلك  
النجم.. «أسيل».. حتى يغلبه النعاس فيظل نائماً لشرق شمس اليوم  
الذي يليه.. واستمر في بحثه عن عمل لمدة أيام وأيام، وامتدت  
لأسابيع.. حتى وجد عملاً بإحدى فروع شركة كبرى بمدينة المنصورة،  
ومرت شهور، وهو يعمل ويشعر بذاته في ذلك العمل، وكلما واجهته  
مشكلة قابلها بإتامة يحده عليها زملاؤه.. وتزداد بسمته حين يعود  
إلى بيته فيجد جده يقرأ مجدداً بكتاب سرداب فوربك الذي لم يتركه إلا  
لحظات قليلة منذ عودته، ويطلب منه أن يخبره بالمزيد مما حدث له  
بزيكولا.. فيحكى له الكثير والكثير.. ويسأله بعد انتهائه ألا يخبر أحداً  
بذلك.. حتى جاء في يوم، وعاد إلى جده مبتسماً:

- يلا يا عبده.. أنت مش عاوز حفيدك يتجوز؟

فنظر إليه جده فتابع «خالد»:

- احنا هنروح للمرة الأخيرة نخطب «منى».. والله أبوها وافق  
هأتجوزها.. ولو موافقش.. هأتجوزها برضه..

فابتسم جده، واتجه معه إلى بيت والد «منى»، واندهش «خالد» حين وجد والد «منى» قد تغير تمام التغير، وقابلها بكل حفاوة وتقدير، وما إن تحدث جد «خالد» بأنه يريد أن يطلب يد «منى» لـ «خالد» حتى نطق والدها بترحيب:

- يلا نقرأ الفاتحة..

فابتسم «خالد»، وابتسمت «منى» التي كانت تقف أمام باب الحجرة، وعلت الزغاريد بيتها، ونهض «خالد» ليحتضن والدها ثم احتضن جده، وقد حددوا موعدًا قريبًا لإقامة عرسها..



مرت أيام كثيرة، ومرت أسابيع وتبعها بضع شهور، و«خالد» يعمل بقوة كي يستعد ليوم عرسه.. حتى جاء ذلك اليوم الرابع عشر من سبتمبر، وقد علقت الأنوار أمام بيته، واجتمع الكثير من الأهالي ليهتئوا ويهتئوا جده بهذا المرس، وقد حلَّ الليل، وبدأ حفل الزفاف، وكم كان حفلًا رائعًا يراقص به من يعرفون «خالد» و«منى» ومن لا يعرفانها، و«خالد» ينظر إلى الجميع، وتشابك ذراعه بذراع «منى» التي ظلت تمس إليه طوال الاحتفال دون أن يسمع أي شيء، ولكنه كان

هز رأسه مبتسمًا دون أن يدرك عما تحدث.. حتى انتهى الاحتفال،  
ودلفنا إلى شقتيها، وامتلأ وجه «منى» بالخجل بعدما دلفنا إلى حجرة  
نومها.. فضحك «خالد» ثم ضحكت «منى»، ونظرت إليه:  
- «خالد».. باين إننا هنبتي المشاكل من دلوقتي.. «خالد».. الشقة حر  
أوي.. أنا عاوزة تكييف..

فضحك «خالد»، ولم ينطق ثم اتجه نحو شرفة الغرفة، وفتحها كي  
يندفع الهواء إليها حتى نظر إلى السماء فدق قلبه بقوة حين وجد ذلك  
النجم اللامع وحيدًا مميّزًا بها، وهمس إلى نفسه في ذهول:  
- «أسيل»!!

فأكملت «منى»، وهي تجلس بفستان زفافها على سرير الغرفة:  
«خالد».. أنا نفسي نقضي شهر العسل في أي مكان..  
فابتسم «خالد» بعدما سمع كلماتها ثم نظر إلى النجم مجددًا، وقد  
أطال نظره تلك المرة كثيرًا وكأنه يفكر.. ثم نظر إليها:  
- أنا كمان كنت بفكر إننا نقضي شهر العسل في مكان مختلف تمامًا..  
ثم أكمل مبتسمًا:  
- أيه رأيك في مكان التعامل فيه مش بالفلوس؟

فاندهشت «منی»، وسأله:

- أقال بأیه؟!

فضحك «خالد» كثيراً ثم اقترب منها، وهمس إليها:

- هتعرفی لما نروح هنالك..

تمت بحمد الله



منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

يجرى خالد سريعا . . وانهيار الجدران يسرع خلفه، وكأنه فرسة  
بلاحقتها أسد مفترس . . لا يصدق عينيه . . يشعر بأنه في حلم ما ،  
ويسرع . . وتسمع أذناه صوت ارتطام صخور الجدران الضخمة . .  
لو أصابه صخرة واحدة لقتله . . حتى سقطت شظية كفه و ما  
بها . . ولكنه لم يعبأ بذلك . . وواصل عدوه . . تساعد قدماه  
الطويلتان وخطواته الواسعة . . ويجرى إلى حيث لا يعرف مصيره . .  
يجرى إلى الجحيم . . ويصرخ بداخل نفسه . . كيف يعود إلى بلده  
مجددا ؟! . . إنه الهلاك . . إن السرداب ينهار . . ماذا حدث  
بالأعلى . . هل هناك زلزال ما ضرب الأرض بالأعلى ؟! . .

حتى وجد نفسه أمام طريقين قد انقسم إليهما السرداب . . حتى  
اندفع إلى أحدهما ، دون رغبته . . بل دفع إليه بعدما انهار الطريق  
الأخر قبل أن يصل إليه . . وكان الانهيار يتحكم في مساره . . حتى  
فوجئ بنفسه يجري إلى منحدر يتجه للأعلى . . وبلاحقه الانهيار  
أسرع وأسرع يريد أن يبتلعه . .

يحاول أن يقاوم صعوبة الصعود . . ويتقدم ، ومازال النور أمامه  
والظلام من خلفه . . ويخطو بقدميه سريعا . . حتى وجد نور شديدا  
على مرمى بصره ، وكأنه نور النهار الذي يعرفه جيدا حين كان يفتح  
نافذة حجرته صباحا . . فأسرع إليه . . إنها النجاة مجددا . .